

# اَسْبَابُ صَلَاحِ الْاَخْلَاقِ وَالْاِجْتِمَاعِ

عِنْدَ الْاَمْرِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ

تَالِيفَ

السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مَحْسَنِ الْجَالِي

وَلَمْ يَجِدْ اَنْ يَكُنْ اِلَّا فِي رُفْقِ الْاَوَّلِينَ







## هوية الكتاب

الكتاب: أساليب الإصلاحات الاجتماعية عند الإمام السجاد عليه السلام

تأليف: السيد محسن الجلاي

الطبعة: الأولى ١٤٣٦ هـ

الناشر: الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة/ قسم العلاقات العامة

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني: مؤسسة المنتدى - حسن سويدان

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

# أساليب الإصلاحات الاجتماعية عند الإمام السَّجَّاد عليه السلام

تأليف  
السيد محمد مُحسن الجلاي

شبكة كتب الشيعة

الناشر

سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

قسم العلاقات العامة



shiabooks.net

رابطہ یمنیل < mktba.net





## الإهداء

إلى العتبة العالية المقدسة للإمام الرابع  
زين العابدين ومولى الساجدين، الإمام  
علي بن الحسين بن أمير المؤمنين  
علي بن أبي طالب  
«سلام الله عليهم أجمعين»



## شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل من أزرني في كتابة هذا البحث عن أساليب الإصلاحات الاجتماعية التي مارسها الإمام السجاد في عصر إمامته لغرض إنقاذ الأمة من المهاري التي سقطت أو كادت أن تسقط فيها، جراء هيمنة الحكم الأموي الفاشم والتي حاول الطغاة وأعوانهم فيها على إرجاع الأمة إلى ما كانت عليه في الجاهلية الأولى.

وأخص بالذكر سيدي الوالد السيد محمد جواد الجلاي وأساتذتي الكرام وبالأخص الأستاذ المشرف: حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي والأستاذ المساعد: حجة الإسلام والمسلمين السيد موسى الموسوي.

وكل من كان له يد في إثراء هذا البحث من قريب أو بعيد.

فلهم جميعاً مني الشكر والتقدير، ومن الله الأجر الجزيل والثواب الجميل. وكان الله في عون كل مخلص أمين.

محمد محسن الجلاي





## خلاصة الكتاب

هذا الكتاب يتضمن عرضاً للأساليب والسبل التي مارسها الإمام زين العابدين في عصر إمامته في سبيل الإصلاح الاجتماعي.

وفيه بيان لأساليب التبليغ التي سلكها الأئمة المعصومون صلوات الله عليهم في إرشاد الأمة، وقد حاولنا أن نسلط الضوء على أساليب الإمام السجاد الإصلاحية والتي طبقها في ظروف استثنائية من حياة الأمة الإسلامية وتمكن من خلالها توجيه المجتمع نحو الإصلاح والإصلاح.

واعتمدنا فيه على مصادر موثوقة ومعتبرة منها: الموسوعة المتكررة من أربعة عشر مجلداً، بعنوان: «أعلام الهداية» حيث تكفلت ببيان حياة الأئمة الأطهار بشكل بديع، والتي منجد سماحة السيد الخاتمة أي بهذه الموسوعة بقوله: (ان بيان تاريخ مثنان وخمسون عاماً من حياة أهل البيت تحكي من أنهم كانوا نوراً واحداً ينطقون بلسان يفهمه جميع المخاطبين، وقد سكرت في مجموعة تحتوي أكثر من أربعة آلاف صفحة، وفي فصول متنوعة، وبالاعتماد على العديد من المصادر، وهو عمل شاق ظهر في أربعة عشر مجلداً بعنوان «أعلام الهداية»<sup>(١)</sup>.

(١) من أقوال السيد القائد الخاتمة أي بتاريخ ١٣٨٧/٥/٩ هـ.

وقد بدأنا الفصل الأول بإلقاء نظرة اجمالية إلى حياة الإمام السجاد عليه السلام وتكلمنا فيه عن الأساليب الخطائية التي ألقاها الإمام.

وفي الفصل الثاني تكلمنا في أنواع الإصلاح الاجتماعي القولي بمناوين: الموعظة، الحكمة، الاحتجاج، والدعاء.

وفي الفصل الثالث تطرقنا فيه إلى الأساليب العملية والتربوية التي سلكها الإمام تحت عناوين: البكاء، وتنظيف العبد والإمام والتقية.

وفي الخاتمة حاولنا استخلاص النتائج من هذا التحقيق.

نتمنى أن يكون هذا الجهد مرضياً عند الله تعالى وأن يكون سبباً للتوفيق في اتباع الأئمة المعصومين عليه السلام في خدمة الدين.





المجلد الأول

## في الأمور العامة

ويتضمن التعرف على المصطلحات الأساسية المتداولة في هذا الكتاب:

هناك مصطلحات أساسية يكثر تداولها في هذا الكتاب ينبغي الكلام حولها باختصار ليكون القارئ على بينة من معانيها لغة واصطلاحاً عند مروره عليها، نذكر منها:

الطريقة - في اللغة -: بمعنى الأسلوب، القاعدة والمعيار، السبيل، الطريق المستقيم، الدأب، الكيفية، المنوال، السلوك، المذهب، النزع، المنهج، الملة والدين<sup>(١)</sup>.

كما يستعمل بمعنى الحركة المرحلية والسلوك.

وفي الاصطلاح: عبارة عن عملية عقلية أو غير عقلية يقوم بها الذهن لاقتناء المعرفة أو للوقوف على وصف حقيقة من الحقائق.

ويمكن بالاطلاع على الأسلوب التعرف على علل الحقائق عن طريق

(١) (لغت نامه معضداً) قاموس لغوي بالفارسية، مادة: «روش».

العقل أو غيره، كما يمكن بالاطلاع على الأسلوب الاجتناب عن الزلات في الحياة.

ويعنى أوسع: فإن الأسلوب عبارة عن كل وسيلة مناسبة يمكن استخدامها لأجل الوصول إلى المطلوب؛ ويمكن إطلاق الأسلوب على حدد من الطرق التي تؤثر في إرشاد وهداية الانسان إلى كشف المجاهيل، وعلى مجموعة من القواعد التي يستفاد منها في البحث، وعلى سلسلة من الآلات والفنون التي ترشد الانسان وتوصله من المعلومات إلى المجهولات<sup>(١)</sup>.

الإصلاح: يطلق الإصلاح في اللغة بمعنى المصالحة والتوافق والاجادة، التصحيح، الالتئام والشفاء، التنظيم والترتيب، وتنظيم الأمور، وإزالة الفساد وإقامة الشيء. وأصل الإصلاح في اللغة العربية مأخوذ من مادة (ص ل ح)، قال أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة: الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد، يقال: صلح الشيء يصلح صلاحاً، ويقال: صلح بفتح اللام، ويقال: صلح صلوحاً<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن السكيت: صلح الشيء وصلح بصلح ويصلح، والمصدر صلاحاً وصلوحاً، وقد أصلحته. ابن دريد: ليست صلح بثبت، ورجل صالح في دينه ونفسه. ابن الأعرابي: أصلحت الأمر: هيأته. وأصلحت

(١) باقر الساروخاني، روش هاي تطبيق در علوم اجتماعي (ط: طهران: مركز بحث العلوم الانسانية والمطالعات الثقافية، ١٣٧٥، ج ١، ص ٢٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٣: ٣٠٣.

الدابة: أحسنت إليها، صاحب العين: الضلع: السُّلم. وقد تصالح القوم واصطلحوا، وأصلحت بينهم وصالحتهم مُصالحة ومِصلاًحاً<sup>(١)</sup>.

والإصلاح: إما من مادة صلح، فهو بمعنى إيجاد الوثام والملائمة ومحاولة الموائمة وإزالة الخلاف والمخاصمة والمشاجرة بين شخصين أو قبيلتين أو شيئين.

وقد يكون بمعنى الصلاح، فهو ضد الفساد، يستعمل كثيراً ما بمعنى إيجاد الأهلية والقابلية.

وفي الاصطلاح: تطلق كلمة الإصلاح في وقتنا الحاضر على معنى خاص يستعمل في المحادثات السياسية بمعنى يوازي كلمة رفرم [Reform] بالإنكليزية، أي: تغيير الأحوال والنظام، في مقابل: الثورة<sup>(٢)</sup>.

وأما في اصطلاح القرآن والروايات فتستعمل الكلمة بما لها من المعنى اللغوي، وهو ما يكون في قبال الفساد، بمعنى إيجاد النظم والترتيب وإزالة الفساد، وله بهذا المعنى مصاديق كثيرة في القرآن.

وأما الإصلاح عند العرب، فهو بمعنى الخروج من حالة القلق [وهو تغيير الوضع غير الملائم إلى وضع ملائم] وإصلاح المفاصد والقبائح، ودفع الفساد والانحراف.

المجتمع: هو في اللغة بمعنى التجمع، الاتحاد، الجماعة والمجموع، الكثافة، المشاركة، التوافق والتشابه البيولوجي، كما يطلق

(١) راجع: المختصر - ابن سيده ٣٢٣، السفر الثاني عشر، ص ١٦٤.

(٢) (لفت نامة دهغدا) قاموس لغوي بالفارسية، مادة: «إصلاح».

على مجموعة من الحيوانات أو النباتات التي تتواجد في منطقة جغرافية محددة أو في بيئة متماثلة<sup>(١)</sup>.

ومن وجهة نظر علم الاجتماع تطلق على مجموعة من الناس الذين تربطهم علاقات قوية وطويلة الأمد. وقد تطلق على جماعة تعيش في موضع جغرافي مشترك.

كما تطلق على أعضاء المجتمع الواحد المشتركون في منظمة أو في نشاط اجتماعي خاص. وتطلق أيضاً على الأفراد من مجموعة ترتبط فيما بينها بروابط قوية<sup>(٢)</sup>.

الأمة الإسلامية: تطلق في اللغة على المجموعة التي تتبع نبي الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ، أو المجموعة التي آمنت بالنبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وأيضاً تطلق على: القوم، العشيرة، والملة، أو المجتمع الديني الذي يكون تحت راية هداية النبي ﷺ.

وفي الاصطلاح: هي بمعنى جماعة من الناس الذين بعث الله إليهم خاتم النبيين محمد ﷺ وآمنوا به وأسلموا، وعاهدوا الله عهداً بالاستمرار على طريقته وحددوا بذلك علاقتهم مع الله.

(١) آراسته خور، محمد؛ نقد ونگرش بر فرہنگ اصطلاحات علمی - اجتماعی، تهران، گستر، ۱۳۷۰، الطبعة الثانية، ص ۷۴.

(٢) شارع پور، محمود؛ جامعه شناسی شهری، طهران، ط: سمت، ۱۳۸۹، الطبعة الثانية، ص ۱۱.

(٣) (لغت نامه دهخدا) قاموس لغوي بالفارسية، مادة: امت.

## عصر الإمامة:

في الاصطلاح: يكون بمعنى المدة الزمنية والفترة من التاريخ، التي كانت بعد ارتحال النبي الأكرم ﷺ.

والمعصر في اللغة: بمعنى الضغط، وما بعد الظهر من اليوم، وأيضاً يستعمل بمعنى الدهر، والعهد<sup>(١)</sup>.

والإمامة في اللغة: بمعنى القدوة، القيادة، الرئاسة العامة<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً: بمعنى من يؤتم به ومن يقتدى به ومن يتبع<sup>(٣)</sup>.

وفي الاصطلاح: هي بمعنى الخلافة والنيابة عن النبي ﷺ.

والإمام: هو الذي يشترك مع النبي في الوظائف والمسؤوليات الإلهية باستثناء تلقي الوحي.

أما في اصطلاح مذهب الشيعة، فالإمامة هي منصب عام ينصب فيه الإمام من جانب الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

وبعبارة أخرى: الإمامة بمعنى الخلافة والنيابة عن نبي الإسلام في الولاية والزعامة العامة للأمة في شؤون الدين والدنيا، والذي يتعين بأمر الله وبتعيين النبي ﷺ، ووظيفة الإمام هو حراسة وحماية الدين عن الانحراف، واتباع الإمام فرض على عموم الأمة.

الإمام السجّاد: هو أبو محمد علي بن الحسين السجّاد، الإمام

(١) (لغت نامه دهخدا) قاموس لغوي بالفارسية، مادة: «عصر».

(٢) (لغت نامه دهخدا) قاموس لغوي بالفارسية، مادة: «إمام».

(٣) المفردات، للراغب الأصفهاني: ص ٢٤.

(٤) جعفر سبحاني، الالهيات، ج ٢، ص ٥١٠.



الرابع للشيعة. وعرف بالسجّاد [بمعنى الكثير السجود] وزين العابدين،  
ومن القاب: علي الأصغر<sup>(١)</sup>.



(١) تاريخ الطوسي، ج ٢، ص ٢٢٢.

## نظرة إجمالية إلى حياة الإمام السجاد عليه السلام

اسمه:

الإمام علي بن الحسين عليه السلام هو رابع أئمة أهل البيت عليه السلام، وجده:  
الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأول من  
أسلم وآمن برسالة الله<sup>(١)</sup>، وكان منه بمنزلة هارون من موسى، كما صح في  
الحديث عنه<sup>(٢)</sup>.

وجده:

فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وضعت<sup>(٣)</sup>، وفلذة كبده، وسيدة  
نساء العالمين<sup>(٤)</sup> كما وصفها أبوها صلى الله عليه وآله.

وأبوه:

الإمام الحسين عليه السلام أحد سيدي شباب أهل الجنة، سبط الرسول

---

(١) الكافي ٨ : ٣٣٨، مسند أحمد بن حنبل ١ : ٣٢١، فضائل الصحابة : ١٣.

(٢) الكافي ٨ : ١٠٧، مسند أحمد بن حنبل ١ : ١٧٠، صحيح البخاري ٤ : ٢٠٨، صحيح  
مسلم ٧ : ١٢٠.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤ : ٣٢٦، صحيح البخاري ٤ : ٢١٠، صحيح مسلم ٧ : ١٤١.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة : ٢٥٧، مسند أبي داود الطيالسي : ١٩٧، المعتمد ٧ : ٥٢٧.

وريحانته ومن قال فيه جده عليه السلام: «حسين مني وأنا من حسين»<sup>(١)</sup>، والذي استشهد في كربلاء يوم عاشوراء دفاعاً عن الإسلام والمسلمين ومن أوصاه:

الإمام الحسن عليه السلام ثاني سيدي شباب أهل الجنة، سبط الرسول وريحانته ومن قال فيه جده عليه السلام: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه، وأحب من يحبه»<sup>(٢)</sup>، وهو الذي استشهد في المدينة بالسم الذي دسه إليه معاوية بن أبي سفيان.

والإمام السجاد هو أحد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام الذين أشار إليهم النبي صلى الله عليه وآله كما في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما، بقوله: «الخلفاء بعدي اثنا عشر، كلهم من قريش»<sup>(٣)</sup>.  
آله:

المتفق عليه أنّ آله عليهم السلام كانت من بنات ملوك فارس، واختلف في اسمها، فقال في الإرشاد والنهلب: «شاه زنان» وقال الكليني والطبري الإمامي: «شهربانو»، ويشهد له خير أبي نصر في صحيفة فاطمة: «آمه شهربانو بنت يزد جرد».

(١) الإرشاد للعنيد ٢: ١٢٧، مستد أحمد بن حنبل ٤: ١٧٢، سنن ابن ماجه ١: ٥١.

(٢) شرح أصول الكافي - حرره محمد صالح المازندراني ٦: ١٤٨.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله احتق الحسن وقال «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه، وأحب من يحبه». صحيح مسلم ٧: ١٢٩.

(٣) دلائل الإمامة: ١٩، وقد رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٥: ٨٧، باختلاف حيث ورد فيه: «إن هذا الدين لا يزال ظاهراً على من تاراه، لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أممي اثنا عشر خليفة...».

ورواه البخاري في صحيحه مع اختلاف يسير ٨: ١٢٨، وكذلك رواه مسلم النيسابوري في صحيحه ٦: ٣.

وقال النوبختي وابن قتيبة والمحاظ عبد العزيز: «سلافة»، ومن إبراهيم بن اسحاق «غزالة»، وعن بعضهم: «برّة»، وفي إثبات الوصية: «جهانشاه»، و«شهربانو» أختها، تزوّجها الحسن عليه السلام، وجعل النوبختي «جهانشاه» اسمها قبل السبي<sup>(١)</sup>.  
جده من طرف الأم:

قال الشيخ الثمشري قدس سره: واختلف أيضاً في أبيها: فقيل: إنه يزجرد آخر ملوك فارس - صرح به الكليني والمفيد والمسمودي في إثباته والنوبختي - وهو يزجرد بن شهربار كسرى پرويز، وهم الكليني فقال: يزجرد بن شهربار بن شبرويه بن كسرى بن پرويز، وإنما شبرويه أخو شهربار، لا أبوه. وكيف كان، فقل هذا القول عن المبرد أيضاً.

وقال الشيخ في التهذيب: «بنت شبرويه وقيل: بنت النوشجان»، قلت: والاول أصح، لأنه أشهر، ولأنه دل عليه الخبر، واليه ذهب الزمخشري فقال في ربيع الأبرار: «كان عليه السلام يقول: أنا ابن الخيرتين، لأنّ جده رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه بنت يزجرد الملك، وأنشد أبو الأسود: وإنّ هلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نبطت عليه التمام<sup>(٢)</sup>»  
مولده:

اختلف المؤرخون في تحديد مولد السجّاد في يومه وشهره، فقال المفيد في مساره وحنافه والشيخ في مصباحه وصاحب المناقب ومؤلف إعلام الوری ومصنف تاريخ الغفاري: في النصف من جمادى الاولى،

(١) رسالة في نوابغ النبي والآل عليه السلام: ٤٦.

(٢) رسالة في نوابغ النبي والآل عليه السلام، ص ٤٦ - ٧٤، وراجع: الكافي ٢٧٠: ١.

وقال الفضال في روضة الواعظين: في تسع خلون من شعبان. وقال  
الفصول المهمة والدروس وكشف الغمة: في خامس شعبان.

واختلف في ستة أيضاً؛ فقال الكليني والمفيد في إرشاده ومساره  
والشيخ في تهذيبه والفضال وابن الخشاب وفي الفصول والدروس  
والكشف والمناقب وإعلام الوري والتذكرة: إنه في ستة ثمان وثلاثين،  
ورواه ابن الخشاب عن الصادق عليه السلام، وبه قال في إثبات الوصية. وقال  
المفيد في حقائقه والشيخ في مصباحه: في ست وثلاثين، وقيل: في  
سبع وثلاثين، وقيل: في خمس وثلاثين، ولم أفق على قائلهما.  
والتعميل على الأول. فروى الكليني صحيحاً - على الأصح في ابن  
ستان - عن الصادق عليه السلام: أنه قبض وهو ابن سبع وخمسين سنة في عام  
خمس وتسعين<sup>(١)</sup>.

ولا بدغ في وجود أقوال عديدة في تأريخ أئمة الشيعة، الذين نذروا  
أنفسهم للدفاع عن الحق والحقيقة، فعاداهم الطغاة، وحاولوا التعميم  
على كل ما يتعلق بشخصياتهم الالامعة، ولم يكن الإمام السجاد عليه السلام  
بمستثنى من هذا الأمر، ومن هنا اختلف المؤرخون في ولادته ووفاته  
على أقوال عديدة، ووصلتنا في ولادته عليه السلام أقوالاً أهمها ثمانية،  
وهي:

١ - الثامن من ربيع الأول، نقله السيد الإمامي في جنات الخلود:

٢٤.

٢ - منتصف جمادى الأولى، كما في مصباح الشيخ الطوسي: ٧٢٢.

(١) رسالة في تواريخ النبي والأل عليه السلام: ٣٠.

٣ - منتصف جمادى الثانية، كما في إلهام الوري ١ : ٤٨٠.

٤ - الحادي عشر من رجب، نقله السيد الإمامي قولاً في جنات الخلود: ٢٤.

٥ - الخامس من شعبان، ذكره الكفعمي في جدول المصباح: ٥٢٢ والمحدث البحراني في الحقائق ١٧ : ٤٣٥.

٦ - السابع من شعبان، نقله السيد الإمامي قولاً آخر في جنات الخلود: ٢٤.

٧ - الثامن من شعبان، حكاه العلامة المجلسي في البحار ٤٦ : ١٢ و١٣.

٨ - التاسع من شعبان، نقله قولاً، العلامة الطبرسي في إلهام الوري ١ : ٤٨٠.

وعلى هذا الأساس وقع الخلاف في سنة وفاته أيضاً - بعد الاتفاق على أنه كان في شهر محرم الحرام - على أقوال تتراوح بين السنوات ٩٢ إلى ٩٥، كما اختلف في اليوم الذي استشهد فيه<sup>(١)</sup>.

أما في يوم الاستشهاد فاختلف فيه على أقوال، وأهمها خمسة :

(١) قيل : سنة أربع وتسعين، وكان يقال لها : سنة الفناء لكثرة من مات منهم فيها، وقيل سنة خمس وتسعين. (انظر البحار ٤٦ : ١٥١). قال الشيخ التبرسي : وأما وفاة السيد، فلم يتردد الكثير لشهره. وحيث بعضهم في محرم، واختلفوا في التواريخ أطلقه، وقال الشبان في المسار والمصباح : في الخامس والعشرين منه، وفي جدول الكفعمي : في الثاني والعشرين، وفي مناقبي السروي والكنجي : في الثامن عشر.

١ - الثاني عشر من المحرم، ذكره الشيخ البهائي في توضيح المقاصد<sup>(١)</sup>.

٢ - الثامن عشر من المحرم، ذهب إليه الطبرسي في إعلام الوري<sup>(٢)</sup>.

٣ - الثاني والعشرون من المحرم، ذكره الكفعمي في جدول المصباح<sup>(٣)</sup>.

٤ - الخامس والعشرون من المحرم، ذكره الشيخ الطوسي في مصباح المتعبد<sup>(٤)</sup>.

٥ - التاسع والعشرون من المحرم، ذكره السيد محمد علي الشاه عبد العظيم في جدول الإيقاد<sup>(٥)</sup>.

وعلى هذا الأساس اختلف في عمره الشريف عند الوفاة وأنه ﷺ كان له من العمر يومئذ بين خمس وخمسين سنة إلى ثمان وخمسين سنة. فروي الكليني عن سعد بن عبد الله، وعبد الله بن جعفر الحميري،

واختلف في سنة، قال ابن تيمية: سنة اثنين وثميين، وابن هاجر: أربع وثميين، وروي عن أبي فرقة وعن الحسين ابنه، ربه قال الشيخان في السار والمصباح والجزري والنويني، وقال الكليني والآيات والشيخان في الإرشاد والتهديب: أنه في سنة خمس وثميين، ورواه الأول عن أبي بصير عن الصادق ﷺ، فلهذا المؤلف. (رسالة في تواريخ النبي والآل ﷺ: ٤٠).

(١) توضيح المقاصد (حسن مجموعة نفيسة): ٥٦١.

(٢) إعلام الوري ١: ٤٨١.

(٣) مصباح الكفعمي: ٥٢٢.

(٤) مصباح المتعبد: ٧٢٩.

(٥) نقله السيد عبد الرزاق المقرم في الإمام زين العابدين: ١٧٧.

عن إبراهيم بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن مُحَمَّد بن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قال: قَبِضْ عَلَيَّ بن الحسين وهو ابن سبع وخمسين سنة في عام خمس وتسعين، وعاش بعد الحسين خمساً وثلاثين سنة<sup>(١)</sup>.

سيرته:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أَرَأف الناس وأَبَرِّهم وأَرْحَمهم بأهل بيته، وكان لا يُمَيِّزُ عنهم، وقد أثر عنه أَنَّهُ قال: «لَنْ أَدْخُلَ السُّوقَ وَمَعِيَ دِرَاهِمُ ابْتِاعَ بِهَا لِعِيَالِي لَحْماً وَقَدْ قَرَمُوا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَهْتَقَ نَسْماً»<sup>(٢)</sup>.

وكان يَبْكُرُ في خروجه مصحباً لطلب الرزق لعياله، ف قيل له: يا بن رسول الله، أين تذهب؟ فقال: «أَتَصَدَّقُ لِعِيَالِي، قِيلَ لَهُ: أَتَصَدَّقُ؟ قَالَ: مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ صَدَقَةٌ عَلَيْهِمْ»<sup>(٣)</sup>.

وكان عليه السلام يعين أهله في حوائجهم البينة، ولا يأمر أحداً منهم فيما يخصُّ شأناً من شؤونه الخاصة، كما كان يتولَّى بنفسه خدمة نفسه خصوصاً فيما يخصُّ شؤون عبادته، فإنه لم يك يَسْتَعِينُ بها أو يعهد إلى أحد في قضائها.

(١) بحار الأنوار ٤٦ : ١٥٢.

(٢) الكافي ٤ : ١٢، جامع أحاديث الشيعة ٢١ : ٤٦٦. والقرم: شتة الليل والشهرة إلى أكل اللحم. كما في القاموس.

(٣) الكافي ٤ : ١٢، وسائل الشيعة ١٧ : ٩٧.



مع أبويه:

وقابل الإمام المعروف الذي أسدته إليه مربيته بكل ما تمكن عليه من أنواع الإحسان، وقد بلغ من جميل برّه بها أنّه امتنع أن يذاكلها فلامه الناس، وأخذوا يسألونه بالبحاح قائلين: أنت أبرّ الناس وأوصلهم رحماً، فلماذا لا تذاكل أمك؟ فأجابهم جواب من لم تشهد الدنيا مثل أدبه وكماله قائلاً: «أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون حاقاً لها»<sup>(١)</sup>.

ومن برّه لأبويه:

دعاؤه لهما، وهو من أسمى القواعد في التربية الإسلامية الهادفة، وهذه مقاطع من هذه اللوحة الخالدة من دعائه عليه السلام: «... وأخصص اللهم والذي بالكرامة لديك، والصلاة منك يا أرحم الراحمين... وألهمني علم ما يجب لهما عليّ إلهاماً، واجمع لي علم ذلك كلّهُ تماماً، ثم استعملني بما تلهمني منه، ووقفني للتفوذ فيما تبصرني من علمه... اللهم اجعلني أهابهما هبة السلطان الصوف، وأبرهما برّ الأم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالديّ وبرّي بهما أقرّ لعبني من رقة الوسان، وأتّج لصدري من شربة الظمان، حتى أوتر على هواي هواهما، وأقتم على رضاي رضاهما، واستكثر برهما بي وإن قلّ، واستقلّ برّي بهما وإن كثر.

اللهم خفض لهما صوتي، وأطب لهما كلامي، وأبّن لهما هريكتي، واعطف عليهما قلبي، وصبرني بهما رقيقاً وعليهما شقيقاً... اللهم

(١) الكامل للمبرد ١: ٣٠٢، شذرات اللّعب ١: ١٠٥، مناقب آل أبي طالب ١: ١٧٦ عن أمالي النيشابوري، الخصال: ١٨٠ مع اختلاف يسير.

اشكرلهما تربيتي، وأثبهما على تكمّتي، واحفظ لهما ما حفظاه منّي في صغري... اللهم لا تُنسني ذكرهما في أديار صلواتي، وفي إناء من أناء ليلي، وفي كل ساعة من ساعات نهاري... اللهم صلّ على محمد وآله، واغفر لي بدعائي لهما، واغفر لهما بيزهما بي...<sup>(١)</sup>.

مع أبنائه:

أما سلوك الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام مع أبنائه فقد تميّز بالتربية الإسلامية الرفيعة لهم، فغرس في نفوسهم نزّهاته الخيرة وأتجاهاته الإصلاحية العظيمة، وقد صاروا يحكم تربيتهم لهم من ألمع رجال الفكر والعلم والجهاد في الإسلام.

فكان ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام أشهر أنفة المسلمين، وأكثرهم عطاءً للعلم.

وأما ولده عبدالله الباهر فقد كان من أبرز علماء المسلمين في فضله وسنن منزله العلمية.

وأما ولده زيد فقد كان من أجمل علماء المسلمين، وقد برّع في علوم كثيرة كعلم الفقه والحديث والتفسير والكلام وغيرها، وهو الذي نبّئ حقوق المظلومين المضطّهدين، وقاد مسيرتهم الدامية في ثورته التي نشرت الوعي السياسي في المجتمع الإسلامي، وساهمت مساهمة إيجابية وقائلة في الإطاحة بالحكم الأموي<sup>(٢)</sup>.

(١) الصحيفة السجّادية: (دعائه لأبيه): ١٢٨، والصوف: الظلوم، والوسنان: النسان والمريكة: الطيعة.

(٢) حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل: ٥٥ - ٥٦.

وزوّد الإمام عليه السلام أبناءه ببعض الوصايا التربوية لتكون منهجاً يسرون عليه في الحياة، قال عليه السلام:

١ - يا بُنَيَّ، أنظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحدثهم ولا تُرافقهم في طريق.

فقلت له: يا أبا: من هم؟ قال عليه السلام: إِيَّاكَ ومصاحبة الكذّاب، فإنّه بمنزلة السراب، يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب. وإِيَّاكَ ومصاحبة الفاسق، فإنّه باتعك بأكله أو أقلّ من ذلك. وإِيَّاكَ ومصاحبة البخيل، فإنّه يخذلك في ماله، وأنت أحوج ما تكون إليه. وإِيَّاكَ ومصاحبة الأحق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرك. وإِيَّاكَ ومصاحبة الفاطح لرحمه، فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله...<sup>(١)</sup>.

٢ - قال عليه السلام: يا بُنَيَّ، اصبر على النوائب، ولا تتعرض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى الأمر الذي مضرتك عليك أكثر من منفعتك له...<sup>(٢)</sup>.

٣ - وقال عليه السلام: يا بُنَيَّ، إنّ الله لم يرضك لمي فأوصاك بمي، ورضيني لك فحذّرتني منك، واعلم أنّ خير الأبناء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط فيه، وخير الأبناء للأباء من لم يدعه التصبر إلى الحقوق له...<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٣٧٧، تحف العقول: ٢٧٩.

(٢) البيان والبيان ٢: ٧٦، المقصد الفريد ٤: ٨٨، مستدرك الوسائل ١٢: ٣٦٣، مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٠٢، تهذيب الكمال ٢٠: ٣٩٩.

(٣) المقصد الفريد ٣: ٨٩، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٤٦٥ مع اختلاف يسر.

### مع مصاليكه:

وسار الإمام ﷺ مع مصاليكه سيرة تشتم بالرفق والعطف والحنان، فكان يعاملهم كأبنائه، وقد وجدوا في كنفه من الرفق ما لم يجدوا في ظل آبائهم، حتى أنه لم يعاقب أمةً ولا عبداً فيما إذا اختلفا ذنباً<sup>(١)</sup>.

وقد كان له مملوك فدعاه مرتين فلم يجبه، وفي الثالثة قال له الإمام برفق ولطف: «يا بُنَيَّ، أما سمعت صوتي؟» قال: بلى... فقال له ﷺ: «لِمَ لَمْ تُجِبْنِي؟» فقال: أمنت منك، فخرج الإمام وراح يحمد الله ويقول: «الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمتي...»<sup>(٢)</sup>.

### انطباعات عن شخصية الإمام زين العابدين ﷺ:

اتفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين ﷺ وأجمعوا على الاعتراف له بالفضل، وأنه علم شاق في هذه الدنيا، لا يدانيه أحد في فضائله وعلمه وتقواه، وكان من مظاهر تجيلهم له: أنهم كانوا يتركون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم<sup>(٣)</sup>، ولم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه أو التقوا به، وإنما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم، فقد رسموا بإعجاب وإكبار سيرته، وأضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة والنعوت الشريفة.

(١) إنبال الأفعال ١: ٤٤٣ - ٤٤٥ بإسناده عن التلمكيري عن ابن صبلان عن الصادق ﷺ.

وعنه في بحار الأنوار ٤٦: ١٠٣ - ١٠٥، و٩٨: ١٨٦ - ١٨٧.

(٢) الإرشاد ٢: ١٤٧، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٦، تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٨٧.

(٣) المفيد الفريد ٢: ٢٥١.

## أقوال معاصريه فيه:

عبر المعاصرون للإمام عليه السلام من العلماء والفقهاء والمؤرخين بانطباعاتهم من شخصيته، وكلها إكبار وتعظيم له، سواء في ذلك من اخلص له في الود أم أضمر له العداوة والبغضاء، وفيما يلي نبذة من كلماتهم:

١ - قال الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري: ما رُوي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين عليه السلام<sup>(١)</sup>.

٢ - كان عبدالله بن عباس مع تقدمه في السن، يجعل الإمام عليه السلام وينحني خضوعاً له وتكريماً، فإذا رآه قام تعظيماً ورفع صوتاً قائلاً: مرحباً بالحبيب ابن الحبيب<sup>(٢)</sup>.

٣ - وُصف محمد بن مسلم القرشي الزهري بالفقيه، وأحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام<sup>(٣)</sup>، ولم يكن من أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام ولكنه أدلى بمجموعة من الكلمات القيمة أعرب فيها عما يتصف به الإمام عليه السلام من القيم الكريمة والمثل العظيمة، وهذه بعض كلماته:

(١) حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل ١: ١٢٦، الأماشي للشيخ الطوسي: ٦٣٧، وفيه: «والله ما أرى في أولاد الأنبياء...» مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٠ وفيه: «ما أرى من أولاد الأنبياء...».

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣٦: ١٤٧، تذكرة الخواصر: ٣٢٤، الطبقات الكبرى ٥: ٢١٣، البداية والنهاية ٩: ١٢٤.

(٣) تهذيب التهذيب ٩: ٤٤٥.

أ - ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين<sup>(١)</sup>.

ب - لم أدرك من أهل البيت رجلاً كان أفضل من علي بن الحسين.

ج - ... ما رأيت أحداً أفقه منه<sup>(٢)</sup>.

٤ - سعيد بن المسيّب: وهو من الفقهاء البارزين في يثرب، وقال عنه الرواة: إنه ليس في التابعين من هو أوسع منه علماً<sup>(٣)</sup>، وهو قد صحب الإمام ﷺ ووقف على ورعه، وشدة تحرجه في الدين، وقد سَجَّل ما رآه بهذه الكلمات:

أ - ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين ﷺ، وما رأيت قط إلا مَقَّتْ نفسي<sup>(٤)</sup>....

ب - ما رأيت أروع منه<sup>(٥)</sup>.

ج - كان سعيد جالساً وإلى جانبه فتى من قريش، فطلع الإمام ﷺ فسأل القريشي سعيداً عنه، فأجابه سعيد: هذا سيّد العابدين<sup>(٦)</sup>.

٥ - زيد بن أسلم: وكان في طليعة فقهاء المدينة، ومن مفسري القرآن<sup>(٧)</sup>، وقد أدلى بعدة كلمات بشأن الإمام ﷺ، منها:

(١) معرفة الثقات ٢: ١٥٣، تاريخ أسماء الثقات: ١٤١، الجرح والتعميل ٦: ١٧٩.

(٢) شذرات الذهب ١: ١٠٥، تاريخ مدينة دمشق ٤٩: ٣٨٨.

(٣) تهذيب التهذيب ٤: ٨٥.

(٤) تاريخ البقري ٢: ٣٠٢، موسوعة المصطفى والمرتبة ٨: ٢٢٢.

(٥) تهذيب الكمال ٢٠: ٣٨٩، تذكرة الحفاظ ٦: ٧٥، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٩١، تهذيب

التهذيب ٧: ٢٦٩، البداية والنهاية ٩: ١٣٤.

(٦) الفصول المهمة ٢: ٨٦٢، الإرشاد ٢: ١٤٥.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ٤: ٣٧٣، شرح إحقاق الحق ٢٨: ١٦٠.

أ - ما جالست في أهل القبلة مثله<sup>(١)</sup>.

ب - ما رأيت مثل علي بن الحسين فيهم قط - أي: في أهل البيت<sup>(٢)</sup>.

ج - ما رأيت مثل علي بن الحسين قهراً حافظاً<sup>(٣)</sup>.

٦ - حماد بن زيد: وهو من أبرز فقهاء البصرة، ويُعتبر من أئمة المسلمين<sup>(٤)</sup>.

قال فيه: كان علي بن الحسين أفضل هاشمي أدركته<sup>(٥)</sup>.

٧ - يحيى بن سعيد: وهو من كبار التابعين، ومن أفاضل الفقهاء والعلماء<sup>(٦)</sup>.

قال: سمعت علي بن الحسين وكان أفضل هاشمي أدركته<sup>(٧)</sup>.

٨ - لقد اعترف بالفضل للإمام عليه السلام حتى أعداؤه ومبغضوه، فهذا يزيد بن معاوية ويعد أن الخ عليه أهل الشام في أن يسمح للإمام عليه السلام أن يخطب، أبدى مخاوفه منه قائلاً: إنه من أهل

(١) حياة الإمام زين العابدين ١٢٩: ١ عن تاريخ مدينة دمشق ١٢: ١؛ ق: ١؛ الورقة ١٩.

(٢) حياة الإمام زين العابدين ١٢٩: ١ عن تاريخ دمشق ١٢: ١؛ ق: ١؛ الورقة ١٩.

(٣) طبقات الفقهاء ٢: ٣٤.

(٤) تهذيب التهذيب: ٣: ٩.

(٥) تهذيب اللغات والأسماء، القسم الأول: ٣٤٣.

(٦) حياة الإمام زين العابدين دراسة وتحليل ١: ١٣٠ عن تهذيب التهذيب.

(٧) حياة الإمام زين العابدين دراسة وتحليل ١: ١٣٠ عن تهذيب الكمال م: ٧؛ ق: ٢؛ الورقة ٣٣٦.

بيت زُقوا العلم زقاً، إته لا ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي  
مسيان<sup>(١)</sup>..

٩ - عبد الملك بن مروان: وهذا عدوّ آخر يقول للإمام ﷺ: ...  
وإنك لذنو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عسرك، ولقد  
أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك  
ولا قبلك إلا من مضى من سلفك<sup>(٢)</sup>..

١٠ - منصور الموانقي: وهذا عدوّ آخر لأهل البيت ﷺ قد أشاد  
بفضل الإمام ﷺ في رسالته إلى ذي النفس الزكية بقوله: ولم  
يولد فيكم - أي في العلويين - بعد وفاة رسول الله ﷺ مولود  
مثله، أي مثل زين العابدين<sup>(٣)</sup>.

### أقوال العلماء والمؤرخين فيه:

١ - قال اليعقوبي: كان أفضل الناس وأشدهم عبادة، وكان يسمى:  
زين العابدين، وكان يسمى - أيضاً -: ذا الثغفات، لما كان في  
وجهه من أثر السجود<sup>(٤)</sup>.

٢ - قال الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن

(١) نفس المهموم: ٤٤٨ - ٤٥٢ ط: لم، عن مناقب آل أبي طالب ٤: ١٨١ عن كتاب الأحمر  
عن الأوزاعي: الخطبة يدون المقدمة، والمقدمة عن الكامل للبهائي ٢: ٢٩٩ - ٣٠٢ وانظر  
حياة الإمام زين العابدين، للقرشي ١: ١٧٥، بحار الأنوار ٤٥: ١٣٨، معالم المدرستين  
٣: ١٦٥.

(٢) مشترك الرسائل ١: ١٢٥، جامع أحاديث الشيعة ١: ٤٠٣.

(٣) الكامل للمبرور ٢: ٤٦٧، المقفد الفريد ٥: ٣١٠.

(٤) تاريخ البطوني ٣: ٤٦.



عساكر، في ترجمة الإمام عليه السلام: كان علي بن الحسين ثقة مأموناً، كثير الحديث، عالياً رقيقاً<sup>(١)</sup>.

٣ - قال الذهبي: كانت له جلالة هجبية، وحق له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى؛ لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله<sup>(٢)</sup>.

٤ - قال الحافظ أبو نعيم: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام زين العابدين وصار القاتنين، كان عابداً وفتياً وجواداً صفتاً<sup>(٣)</sup>.

٥ - قال صفى الدين: كان زين العابدين عظيم الهدي والسمت الصالح<sup>(٤)</sup>.

٦ - قال النووي: وأجمعوا على جلالة في كل شيء<sup>(٥)</sup>.

٧ - قال عماد الدين إدريس القرشي: كان الإمام علي بن الحسين زين العابدين أفضل أهل بيت رسول الله ﷺ وأشرفهم بعد الحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام جميعاً، وأكثرهم ورعاً وزهداً وعبادة<sup>(٦)</sup>.

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤١ : ٣٩٢٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤ : ٣٩٨.

(٣) حلية الأولياء ٣ : ١٢٣.

(٤) وسيلة العاك في مدّ منافع الآل : ٢٨٠.

(٥) من تهذيب اللغات والأسماء ١ : ٣٤٣، شرح إحقاق الحق ١٢ : ٨، بنابيع المروة ٣ : ١٥٦.

(٦) هيون الأخبار وفنون الآثار : ١٤٤.

٨ - قال النسابة الشهير ابن عنبه: وفضائله ﷺ أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف<sup>(١)</sup>.

٩ - قال الشيخ المفيد: إنّه كان أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً... وقال: وقد روى عنه فقهاء المائة من العلوم ما لا يحصى كثرة، وحُفِظَ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء<sup>(٢)</sup>.

١٠ - وقال ابن تيمية: أمّا عليّ بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً... وله من الخشوع وصدقة السرّ وخير ذلك من الفضائل ما هو معروف<sup>(٣)</sup>.

١١ - قال الشيخ خاني القادري: سيّدنا زين العابدين عليّ بن الحسين بن أبي طالب اشتهرت أباذيه ومكارمه، وطارت بالجوّ في الجود محاسن، عظيم القدر، رحب الساحة والصدر، وله الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناطرة وثبت بالأثار المتواترة<sup>(٤)</sup>.

١٢ - قال محمّد بن طلحة القرشي الشافعي: هذا زين العابدين، قدوة الزاهدين، وسيّد المتقين، وإمام المؤمنين، شبّهت تشهد له أنّه من سلالة رسول الله ﷺ وسُمّيته يثبت مقام قربه من الله

(١) حجة الطالب: ١٩٣.

(٢) الإرشاد ٢: ١٣٨ و ١٥٣.

(٣) منهاج السنّة ٢: ١٢٣.

(٤) الصراط السوي: الورقة ١٩، ولربّ من قاله المتأري في حقّه ﷺ، انظر: جهاد الإمام السّجاد ﷺ: ٣٥.

زلفاً، وثقناته تسجل له كثرة صلاته وتهجّده، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهد فيها، درّت له أخلاف التقوى فضوّقها، وأشرقت لديه أنوار التأييد فاهتدى بها، وآلفته أوراد العبادة فأنسى بصحبته، وحالفت وظائف الطاعة فتحلّى بحليتها، طالما اتّخذ الليل مطيّة ركبها لقطع طريق الآخرة، وظلماً الهواجر دليلاً استرشد به في مغارة المسافرة، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة، وثبت بالأثار المتواترة وشهد له أنّه من ملوك الآخرة<sup>(١)</sup>.

١٣ - قال الشافعي: وجدت عليّ بن الحسين وهو أفقه أهل المدينة<sup>(٢)</sup>.

١٤ - قال الجاحظ: وأما عليّ بن الحسين بن عليّ فلم أرَ الخارجي في أمره إلا كالشيعي، ولم أرَ الشيعي إلا كالمعتزلي، ولم أرَ المعتزلي إلا كالعامي، ولم أرَ العامي إلا كالخاصي، ولم أجد أحداً يتمازى في تفضيله ويشك في تقديمه<sup>(٣)</sup>.

١٥ - قال سبط ابن الجوزي: وهو أبو الأئمة وكنيته أبو الحسن ويلقب بزين العابدين وسماه رسول الله ﷺ سيد العابدين... والسجّاد، وذو الثغثات، والزكي والأمين، والثغثات: ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا امتنأخ وغلظ كالركبتين فكان طول السجود قد أثر في ثغثاته<sup>(٤)</sup>.

(١) مطالب السؤل: ٤٠٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٢٧٤، مناقب أهل البيت ٢٥٨: ٢٥٨.

(٣) صفة الطالب: ١٩٣ - ١٩٤.

(٤) تذكرة الخواص: ٣٢٤.

أحداث هامة في حياة الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

ولد الإمام علي بن الحسين عليه السلام في سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وقبل قبل ذلك بسنة أو سنتين<sup>(١)</sup>.

وعاش سبعة وخمسين سنة تقريباً، قضى ما يقارب سنتين أو ثلاثاً منها في كنف جدّه الإمام علي عليه السلام، ثم ترعرع في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين عليهما السلام سبطي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وارتوى من نيل العلوم النبوية، واستقى من ينبوع أهل البيت الطاهرين عليهم السلام.

برز على الصعيد العلمي إماماً في الدين ومنازلاً في العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى. واعترف المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليته، وانقاد الراهون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيته.

كان للمسلمين عموماً تعلق عاطفي شديد بهذا الإمام، وولاء روحي عميق له، وكانت قواعده الشعبية مستدة في كلّ مكان من العالم الإسلامي، كما يشير إلى ذلك موقف الحجاج الأعظم منه، حينما حجّ هشام بن عبد الملك<sup>(٢)</sup>.

لم تكن ثقة الأمة بالإمام زين العابدين عليه السلام - على اختلاف اتجاهاتها ومذاهبها - مقتصرة على الجانب الفقهي والروحي فحسب، بل

(١) مناقب أهل البيت عليهم السلام: ٢٥٦، وفيات الأعيان: ٢٦٩، شرح إحقاق الحق: ٢٨: ٢٤.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ١٢٩ - ١٣٢ ح ٢٠٧، والجاحظ في البيان والبيان: ١: ٢٨٦، الألهاني: ١١: ٧٥ و ١٩: ٤٠، وابن خلّكان في وفيات الأعيان: ٢: ٣٣٨ ط: إيران، مستدرك الوسائل: ٩: ٣٨٣، شرح الأخبار: ٣: ٢٦٣، الاختصاص: ١٩١، مناقب آل أبي طالب: ٣: ٣٠٦.

كانت تؤمن به مرجعاً وقائداً، ومفرعاً في كلّ مشاكل الحياة وقضاياها، بوصفه امتداداً لأبائه الطاهرين عليهم السلام.

ومن هنا نجد أنّ عبد الملك بن مروان قد استنجد بالإمام زين العابدين عليه السلام لحلّ مشكلة تهدد الملك الروماني له بإذلال المسلمين<sup>(١)</sup>. وعاش الإمام السجّاد في حياته وقائع هائلة في تاريخ الإسلام، وأهمّها:

#### ١ - معنة كربلاء الرهيبة:

حيث حاصرت جيوش الكفر والضلال ريعانة رسول الله صلى الله عليه وآله ومنعوه وأهله من ماء الفرات حتى قضى في سبيل الله عطشاً. واحترق خيامه، وقتل أصحابه وأنصاره، وصيبت بنات الرسالة من بلد إلى بلد بأبشع صورة. وهذه الحادثة الرهيبة معروفة نقلها جميع المؤرخين، وهي أشهر من أن تذكر.

#### ٢ - واقعة الحرّة:

وهي الجريمة النكراء الثانية التي اقترفها بنو أميّة ضد المسلمين، وانتقم فيها يزيد لآل أبي سفيان من الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه، بهجومه البشع على المدينة المنورة ومحاصرتها، ثم إباحتها لجنوده الفؤاة ثلاثة أيام، حيث لم تبق فيها حرمة للمسلمين إلا انتكحت.

وخلاصة هذه الفاجعة: إنّ فسق يزيد اشتهر في بلاد الإسلام بعد واقعة كربلاء، وعلى أثرها وفد جماعة من أهل المدينة إلى الشام، وراوا

(١) انظر: دراسات وبحوث السيّد مرتضى العاملي ١: ١٢٧ - ١٣٧.

ما سمعوه عن يزيد وفسقه بأثم أعينهم، فلما رجعوا إلى المدينة وأخبروا الناس بالحقائق، ثار الناس على عمال بني أمية ومنهم مروان بن الحكم، وأخرجوهم من المدينة.

فلما بلغ خبرهم إلى يزيد استدعى أحد جلاوزته، وهو مسلم بن عقبة المري، وأرسله على رأس جيش كبير إلى المدينة، فنصدي له أهل المدينة، وجرت بينهم ملحمة عظيمة إنكسر على أثرها المدافعون، ودخل جيش يزيد المدينة، ووضع في أهلها السيف بتحريض من مروان بن الحكم، وأخذوا يقتلون كل من يواجهونه من أهل المدينة، وهجموا على من لاذ بالروضة الشريفة، وفيها سبع مئة من وجوه المهاجرين والأنصار والموالي، فقتلوه في الروضة الشريفة، ورائت خيولهم بين القبر والمنبر، ولم يراعوا لرسول الله ﷺ والصحابة والتابعين حرمة. وكم من حرمات انتهكها هذا الطاغية وأعوانه بمد القتل، فقد أباح المدينة للأوياش من جيش يزيد ثلاثة أيام بلياليها، ففعلوا فيها ما يندى له جبين الإنسانية.

وقد تناقل المؤرخون هذه الفاجعة في كتبهم عند ذكرهم لحوادث سنة ٦٣ للهجرة، فقد كانت واقعة الحرة في ٢٨ ذي الحجة من تلك السنة، وذلك قبل موت يزيد بشهرين ونصف.

وفي هذه الفاجعة كان ممن لاذ بقبر النبي ﷺ الإمام زين العابدين، فقد سأل ليث الخزاعي سعيد بن المسيب عن الإغارة على المدينة ونهبها من قبل جيش يزيد، فقال: «إنهم ربطوا خيولهم إلى أساطين مسجد رسول الله ﷺ ورأيت الخيل حول القبر، وانتهبت المدينة ثلاثاً، فكنت أنا وعلي بن الحسين نأتي قبر النبي ﷺ فيتكلم علي بن الحسين بكلام

لم أقف عليه، فيحال ما بيننا وبين القوم، ونصلي [فكنا] نرى القوم وهم لا يروننا، وقام رجل عليه حبل خضر على فرس محذوف اشهب، بيده حرية مع علي بن الحسين عليهما السلام، فكان إذا أوما [أحد] منهم إلى حرم رسول الله ﷺ، يشير ذلك الفارس بالحرية نحوه فيموت من غير أن نصيبه <sup>(١)</sup>.

وروى العلامة المجلسي في البحار: أن مما حفظ من دعاء الإمام السجاد عليه السلام حين بلغه توجه مسلم نحو المدينة: «رب كم من نعمة انعمت بها عليّ قلّ لك عندها شكري، وكم من بليّة ابتليتي بها قلّ لك عندها صبري، فيا من قلّ عند نعمته شكري فلم يحرمني، وقلّ عند بلائه صبري فلم يخذلني، يا ذا المعروف الذي لا يتقطع أبداً، ويا ذا النعماء التي لا تحصى عندها، صلّ على محمد وآل محمد وادفع عني شره، فإني أدرأ بك في نحره وأستعبد بك من شره» <sup>(٢)</sup>.

### ٣ - رمي الكعبة بالمنجنيق وحرق ستارة البيت الحرام:

وهي الجريمة النكراء الثالثة التي اقترفها بنو أمية ضد مقدسات المسلمين، حيث توجه جيش يزيد بعد واقعة الحرة إلى مكة لمقاتلة ابن الزبير، وعلى الجيش الحصين بن نمير فحاصروا مكة ورموا بيت الله الحرام بأحجار الزيت من فوق جبل أبي قبيس فاشتعل النار في ستارة الكعبة وتضعضت أركان البيت الحرام، واستمر الطغاة في جرائمهم في حرم الله الآمن وقتل الطافين والعاكفين حتى وصل إليهم نبأ موت يزيد.

(١) بحار الأنوار ٤٦ : ١٣١.

(٢) بحار الأنوار ٤٦ : ١٣٢.

## شهادته:

كان الوليد بن عبد الملك من أحق الناس على الإمام زين العابدين عليه السلام لأنه كان يرى أنه لا يتم له الملك والسلطان مع وجود الإمام زين العابدين عليه السلام.<sup>(١)</sup>

فقد كان الإمام عليه السلام يتمتع بشعبية كبيرة، حتى تحدث الناس بإعجاب وإكبار عن علمه وفقهه وعبادته، وعتبت الأندية بالتحدث عن صبره وسائر ملكاته، واحتل مكاناً كبيراً في قلوب الناس وعواطفهم، فكان السعيد من يحظى برؤيته، ويتشرف بمقابله والاستماع إلى حديثه، وقد شق على الأمويين عامة هذا المرفق المتميز للإمام عليه السلام وأقضى مضاجعهم، وكان من أعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك، الذي كان يحلم بحكومة المسلمين وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله.

وروى الزهري: عن الوليد أنه قال: لا راحة لي وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا.<sup>(٢)</sup>

فأجمع رأيه على اغتيال الإمام زين العابدين عليه السلام حينما آل إليه الملك، فيحث سناً قاتلاً إلى عامله على المدينة، وأمره أن يدسه للإمام عليه السلام.<sup>(٣)</sup>

(١) نقل الوليد أرفق الملك بعد أبيه عبد الملك بن مروان، وقد وصفه المسعودي بأنه كان جباراً عنيداً ظلوماً غشوماً. (مروج الذهب: ٣: ٩٦)، حتى طعن عمر بن عبد العزيز الأموي في حكمته، فقال فيه: إنه ممن امتلأت الأرض به جوراً. (تاريخ الخلفاء: ٢٢٣). وفي عهد هذا الطاغية الجبار استشهد العالم الإسلامي الكبير سعيد بن جبير على يد المحتاج بن يوسف الظفي أخصي عامل أموي.

(٢) راجع: حياة الإمام زين العابدين: ٩٧٨.

(٣) بحار الأنوار ٤٦: ١٥٤ عن القصور المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٩٤.



ونفذ عامله ذلك، فسمت روح الإمام العظيمة إلى خالقها بعد أن أضاعت آفاق هذه الدنيا بعلومها وعبادتها وجهادها وتجردها من الهوى. وهناك من المؤرخين من يرى أن هشام بن عبد الملك هو الذي دس السم للإمام (١)، ويمكن الجمع بين الرأيين فيكون أحدهما أمراً والآخر متقدماً للجريمة.

### تاريخ الشهادة:

استشهد الإمام السجاد (ع) متأثراً بالسم الذي دس إليه، في المدينة المنورة، ودفن بالبيع عند عمه الحسن بن علي (ع).

وكان يوم وفاته مشهوداً، فقد خرج إلى تشييعه جميع أهل المدينة، وأثنى عليه كلهم (٢).

(١) بحار الأنوار ٤٦ : ١٥٣.

(٢) نقل العلامة المجلسي (في البحار ٤٦ : ١٥٠) رواية مفصلة ترتبط بوفاة الإمام، وإليك نصها : «عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال : كان القوم لا يخرجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين سيد العابدين، فيخرج (ع) فيخرج معه فتزل في بعض المنازل فصلى ركعتين فسبح في سجوده فلم يبق شجر ولا مدر إلا سبحت معه ففزعنا، فرفع رأسه وقال : يا سعيد أفزع؟ قلت : نعم يا بن رسول الله. فقال : هذا الصبيح الاعظم، حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (ص) أنه قال : لا تبغى الفئوب مع هذا الصبيح. قلت : هلنا - إلى أن قال - يا سعيد أخبرني أبي الحسين عن أبيه عن رسول الله (ص) عن جبرئيل عن الله جل جلاله أنه قال : «ما من عبد من عبادي آمن بي وصلى بك وصلى في مسجدك وركعتين على خلا من الناس إلا فزعت له ما تقدم من قبته وما تأخره. فلم أر شاهداً أفضل من علي بن الحسين حيث حدثني بهذا الحديث قلنا أن مات شهد جنازته البر والقاهر وأثنى عليه الصالح والطالح، وإنهال الناس تبعونه حتى وضعت الجنازة قلت : إن أفركت الركعتين يوماً من الدهر فالיום هو، ولم يبق إلا رجل وامرأة. ثم خرجنا إلى الجنازة، ووثقت لاصلي، فبأه تكير من السماء فأجابته تكير من الأرض، فأجابته تكير من السماء فأجابته تكير من الأرض، ففزعت وسقطت على وجهي، فكبر من في السماء سبعاً ومن في»

وقال العلامة المجلسي: ذكر السيد ابن طاوس رحمه الله في كتاب الإقبال<sup>(١)</sup> في الصلاة الكبيرة التي أوردها فيه: وضاعف العذاب على من قتله وهو الوليد. وقال ابن طلحة في الفصول<sup>(٢)</sup>: ويقال: إن الذي سمه الوليد بن عبد الملوك. وقال الشيخ في المحصياح: «اليوم الخامس والعشرين من المحرم سنة أربع وتسعين كانت وفاة زين العابدين عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

### مراحل حياته عليه السلام:

ويمكن تقسيم حياته الكريمة كسائر الأئمة الأطهار، إلى مرحلتين أساسيتين، هما:

أولاً: مرحلة ما قبل تصديه للإمامة.

ثانياً: مرحلة ما بعد تصديه للإمامة.

أما بالنسبة إلى المرحلة الأولى:

فقد عاش الإمام السجاد عليه السلام في أيام خلافة جده أمير المؤمنين عليه السلام. وحينما استشهد أمير المؤمنين عليه السلام في سنة ٤٠ هـ كان له من العمر ستين أو أربع سنوات. حسب الاختلاف المتقدم في سنة ولادته.

«الأرض سبعا وصلّى علي بن الحسين صلوات الله عليهما ودخل الناس المسجد... إلى آخر الرواية». وراجع نص النسخ في اختيار معرفة الرجال: ١١٨ و ١١٩.

(١) الإقبال: ٣٤٥ في أعمال شهر رمضان.

(٢) الفصول المهمة: ١٩٤، وهو تأليف علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ المتوفى سنة ٨٥٥ وليس لابن طلحة، والذي لابن طلحة هو مطالب السؤل وهو مطبوع مكرراً، وليس فيه ما نقله المجلسي نقله عنه.

(٣) بحار الأنوار: للعلامة المجلسي ٤٦: ١٥٣.

وعاش مدة إمامة عمّه الحسن بن علي عليه السلام التي نهض بأعبائها بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، ووقع الصلح بينه وبين معاوية بعد ستة أشهر وثلاثة أيام من استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فعاش الإمام السجاد عليه السلام محنة عمّه الحسن عليه السلام إبان حكم معاوية بن أبي سفيان، حتى مضى عمّه شهيداً في سبيل الله بالسلم الذي دسّه إليه معاوية. وذلك في ليلتين بقيتا من صفر، سنة خمسين من الهجرة. ورأى المظالم والعماسي التي جرت على آل الطاهرين وهو في الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من عمره الشريف. فقد عاش مريض عمّه الحسن أربعين يوماً متأثراً بالسلم، ثم شاهد رشق جنازته بالنبال، ومنع الظالمين من دفنه في جوار جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأيضاً ما جرى على أهل البيت إبان إمامة أبيه الإمام الحسين عليه السلام من سنة ٥٠ هـ إلى سنة ٦٠ هـ حيث عاش تطاول بني أمية، وبني مروان على الحكم، ومسيهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم علناً على رؤوس المنابر، وفي المدينة ذاتها، بل على منبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واستمر به الحال إلى فاجعة كربلاء التي استشهد فيها الإمام وأصحابه بأفظع وجه شهده التاريخ، كل هذه عاشها الإمام السجاد عليه السلام وقد بلغ من العمر ٢٢ أو ٢٤ سنة.

واستقل بأعباء الإمامة بعد استشهاد الإمام الحسين في ١٠ محرم سنة ٦١ هـ، وعاصر في مدة إمامته التي كانت خمساً وثلاثين سنة، ملوكاً عتاة طغاة من آل أبي سفيان وآل مروان.

فقد كان في أيام إمامته ملك يزيد بن معاوية (ت: ٦٤ هـ)، ثم ملك معاوية بن يزيد (ت: ٦٤ هـ)، ثم مروان بن الحكم (ت: ٦٥ هـ)، وعبد

الملك بن مروان (ت: ٨٨٧هـ)، وأخيراً: الوليد بن عبد الملك (ت: ٩٦هـ) الذي غلط لانتهاء حياة الإمام واستشهاده بدم السم اله.

المرحلة الثانية: إمامة الإمام علي بن الحسين ؑ:

قَدَّر للإمام زين العابدين أن يتسلَّم مسؤولياته القيادية والروحية بعد استشهاد أبيه ؑ فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الأول، في مرحلة من أدقِّ المراحل التي مرَّت بها الأمة وقتئذٍ، وهي المرحلة التي أعقبت موجة الفتوحات الأولى، فقد امتدَّت هذه الموجة بزخمها الروحي وحماسها العسكري والعفائدي، فزلزلت عروش الأكاسرة والقياسرة، وضمت شعوباً مختلفة وبلاداً واسعة إلى الدعوة الجديدة، وأصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدِّن وقتئذٍ خلال نصف قرن.

فقد تعرضت الأمة الإسلامية في عصر هذا الإمام ؑ لخطرَيْن كبيرين:

الأول: هو خطر الانفتاح على الثقافات المتنوعة، والذي كاد أن ينتهي بالأمة إلى التميُّج والذويان وفقدان أصالتها، فكان لابدَّ من عمل علمي يؤكد للمسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيتهم التشريعية المتميِّزة المستمدة من الكتاب والسنة. وكان لابدَّ من تأهيل للشخصية الإسلامية، وذلك من خلال زرع بذور الاجتهاد.

وهذا ما قام به الإمام علي بن الحسين ؑ فقد بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول ﷺ وأخذ يحدث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية، من تفسير وحديث وفقه وتربية وعرقان، وراح يفيض عليهم من علوم آباءه الطاهرين ؑ.

وهكذا تخرّج من هذه الحلقة الدراسية عدد مهم من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة المباركة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه الإسلامي، وكانت الأساس لحركة الفقه الناشطة.

الثاني: هو الخطر الناجم عن موجة الرخاء والانسياق مع ملذّات الحياة الدنيا، والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة، وبالتالي غمور الشعوب بالقيم الخلقية.

وقد اتخذ الإمام زين العابدين عليه السلام من الدعاء أساساً لدرء هذا الخطر الكبير، الذي كان ينخر في الشخصية الإسلامية ويهزّها من داخلها هزّاً شديداً، ويحول بينها وبين الاستمرار في أداء رسالتها.

ومن هنا كانت «المصحفة السجادية» تعبيراً صادقاً عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام عليه السلام إضافة إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء، ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، وتزداد إليه حاجة كلما ازداد الشيطان للإنسانية إغراءً، والدنيا فتنة له<sup>(١)</sup>.

وقد تميّز الأئمة المعصومون عليهم السلام بالعلوم الزاخرة والمعارف الباهرة، والتي ظهر شيء منها في الأوساط التي اكتشفتهم، ووصل إليها بعض ما نقل عنهم.

كما أجمع المؤرّعون على أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا من أوسع الناس علماً وأكثرهم دراية في أكثر من مجال علمي.

(١) السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدّس سرّه في مقدمته للمصحفة السجادية.

إنَّ الإمامة والقيادة الرشيدة للأئمة الإسلامية وللإنسانية المفتقرة إلى الهداية الربانية تتطلب إحاطة الإمام بكلِّ علم يرتبط بمجال عمله ودائرة مسؤوليته، وقد أثبت أئمة أهل البيت عليهم السلام هذه الحقيقة بشكل عملي سجّله التاريخ لهم بكلِّ وضوح، ممّا أدّى إلى إثارة التيارات المخالفة لخط أهل البيت عليهم السلام، ولا سيما الخلفاء الذين كانوا يرون الأئمة أنداداً لهم - لا يضاهيهم نداءً ولا شريكاً - باعتبار تفوّقهم علماً وعملاً، وانتهت هذه الإثارات إلى السعي لاختيار الأئمة عليهم السلام في أكثر من مجال وفي أكثر من عصر، بحيث سُجّلت هذه الاختبارات في التاريخ الإسلامي ودخلت مصادر التاريخ، ولم تترك مجالاً للريب في جدارة الأئمة من أهل البيت للقيادة الربانية، باعتبار ما أثبتوه للأئمة بكلِّ وضوح، وحقّقوه من مرجعيّتهم العلمية على مختلف الأصعدة لكلِّ من حاول اختبارهم وأراد الاطلاع على واقع عملهم.

وجاء في نصوص الأحاديث الشريفة: أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ <sup>(١)</sup>، وهو تعبير آخر عمّا جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنقُضْنَا لَهُمُ اللَّعْنَةَ وَلَنَكُونَنَّ لَهُمْ فُجُورًا﴾ <sup>(٢)</sup>، فلا يُعدّ فيما يعتقده الشيعة الإماميّة في أئمتهم عليهم السلام من أنّهم مُلهَمون بإلهام إلهي وتعليم ربّاني، وقد ورّثهم الرسول صلى الله عليه وآله علمه وأدبه وكماله، وهم أهل بيت الوحي والرسالة، فهم أجدر من غيرهم بوراثة العلم والكمال الرباني المتمثّل في شخصيّة الرسول صلى الله عليه وآله القيادة، وفي شخصيّة كلّ إمام من أهل البيت عليهم السلام الذين عينهم الرسول صلى الله عليه وآله بأمر من الله لتلك المهمة الكبرى والمسؤوليّة العظمى، ولا شك في أنّ تعيينهم للقيادة من

(١) راجع: الكافي ١: ٢١٨، ح ٣.

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٨٢.

قِيلَ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَا يَقُولُ شَيْئًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِهِ: ﴿وَمَا يَنطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(١)</sup>.

والعلماء الذين تتلمذوا لأئمة أهل البيت ﷺ ورووا عنهم بعض معارفهم خير شاهد على سعة علوم الأئمة وتمييزها عن علوم غيرهم ممن عُرفوا بالعلم والدراسة.

ويمكن أن نصنّف بعض ما روي عن الإمام زين العابدين ﷺ إلى: علوم القرآن والحديث والفقه والأخلاق والسيرة والتاريخ والمقائد، بالإضافة إلى ما أفاضه في طبّات أدبيته ووصاياه واحتياجاته في علوم: النفس والاجتماع والتربية والعرفان والإدارة والاقتصاد، إلى غيرها من العلوم الطبيعية والإنسانية.

وكنموذج لمعارف الإمام ﷺ وعلومه التي سبّغها لنا التاريخ: «رسالة الحقوق»، حيث تكفّلت تنظيم أنواع العلاقات الفردية والاجتماعية للإنسان في الحياة بنحو يحقق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات، ويجمع لهما عوامل الاستقرار والرفق والازدهار.

فقد نظر الإمام ﷺ بعمق وشمول إلى الإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته.



## بزوغ بوادر الانحراف في عصر الإمام السجاد

وفيه بيان الانحرافات التي سادت المجتمع في عصره ﷺ

عاش الإمام السجاد في فترة عصيبة من تاريخ الإسلام حيث كانت فترة مخاض لأحداث وفتن وحروب داخلية ومناوشات بين القيادة الشرعية والمتآمرين على الإسلام لضربه من الداخل.

فعاش الإمام السجاد مؤازراً للقيادة الشرعية التي كان رائدها جده أمير المؤمنين عليه السلام ومن بعده عمه الإمام الحسن عليه السلام كما عاش أيام المحن التي مزّت على أهل البيت في عصر إمامة أبيه الحسين عليه السلام إلى حين استشهاده في كربلاء سنة ٦١هـ.

وكانت للأحداث والظروف التي عاشها عليه السلام الأثر البالغ في تأهيله لتحمل مسؤولية الإمامة بجدارة بعد إستشهاد أبيه الحسين ومباشرته لقيادة الأمة في تلك الظروف الصعبة.

عاش الإمام السجاد في فترة عصيبة من تاريخ الإسلام حيث كان الأئمة يواجهون موجات عنيفة من الانحرافات التي عصفت بالأمة في تلك الفترة، وعاش الإمام السجاد قمة تلك الموجات في عصره.



فبعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ بدأت موجات عارمة من محاولات المخرضين على تحريف مسيرة الإصلاح التي بدأها الرسول الأعظم ﷺ بتبديل القيادة الشرعية للأمة إلى وسيلة عملية لقمع الحريات والتسلط على مقدرات المسلمين وتحكيم الروح القبلية في المجتمع.

واستمرت الحالة إلى أن استبد معاوية بن أبي سفيان بالحكم في الشام وحوّل الخلافة الإسلامية إلى ملك عضوض يتوارثها الأبناء عن الآباء كالحكم الكسروي والقيصري.

وكان تمرير هذه السياسة يجري خلف الكواليس ولم يظهر إلا في حكم يزيد بن معاوية الذي حكم ثلاث سنوات قام خلالها بثلاث فجائع، أهمها: قتل الإمام الحسين ﷺ في السنة الأولى والهجوم على المدينة المنورة وقتل الصحابة والتابعين فيها في السنة الثانية، ورمي بيت الله الحرام بحمّة بالمنجنيق وإشعال النار فيها في السنة الثالثة من حكمه الغاشم.

وعاش الإمام السَّجَّاد هذه الفجائع وأمثالها وشاهد التمثيل بالمسلمين بقطع الأيدي والأرجل ووسم الصحابة والتابعين في الأيدي والأعناق والقتل والإرهاب الذي أشاعه الحكام في حكمهم ضد الشعب الأهل؛ حيث صار كل ذلك حديث الساعة في الشارع العام.

هذا كله صورة من الحياة التي كانت تعيشها الشعوب المسلمة آنذاك. وأما ما كان يجري في أروقة دور الحكومة وفي أقبية دور الإمارة فكان على عكس ذلك تماماً. حيث كان الأمويون غارقون في الترف والتعجم وملتهون بالرقص والخناء وتبذير الموارد الاقتصادية وجعلها

وسائل لتثبيت دعائم حكمهم الغاشم وبذل أموال المسلمين على الشراء والفساق وشراء الذمم والضمانات<sup>(١)</sup> ومحاولة تغيير السيرة الاجتماعية المبتنية على أساس الحب والاحترام إلى التفكير في الفسق والفجور والإعتداء على حقوق الآخرين والميل إلى الشهوات والفناء وتكريم الشراء بأكثر من الحدود المتعارفة<sup>(٢)</sup>.

وكان هدفهم الأساسي هو تمجيح الروح الإسلامية في حاضرني الإسلام: مكة والمدينة بالذات.

وفي هذا العصر شاع الفناء والموسيقى في المدينة المنورة، بحيث صارت مركزاً لهذه الأمور إبان حكم بني مروان.

ويقول أبو الفرج الإصفهاني في كتابه «الأغاني»: إن الوضع صار على وتيرة منع حتى العلماء والعباد من إمكانية ممارسة دورهم في النهي عن المنكر في المدينة المنورة<sup>(٣)</sup>.

وكانت المدينة آنذاك مركزاً من مراكز تدريب الجوّاري على الرقص والفناء<sup>(٤)</sup>.

وقد سيطر الجو العام على جميع من فيها بحيث لم يتمكن المؤمنون من إبداء رأيهم في الأمر أو ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع.

(١) حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل: ٦٦٥.

(٢) الأغاني ١: ٥٥٠، ٤٠٠: ٤، ١١١: ٥.

(٣) الأغاني ٨: ٢٢٤.

(٤) الأغاني ٢: ٢٢٦، ٣: ٣٠٧، ٤: ٢٢٢.

وهكذا ضيق الخناق على العلماء والمتدينين، وهذه كانت من أهداف الدولة الأموية بأن تقتلع جذور الصحوة الإسلامية من أساسها بدءاً بالمدينة وانتقالاً إلى سائر العواصم والمدن الإسلامية.

وإرجاع الناس إلى ما كانوا عليه في العصر الجاهلي من الانغماس في الملذات والتكر للإنسانية والعدل والأمن.

ذلك لأن الأمويون كانوا يرون أن يفظه الشعوب واستمرارها على الخط الصحيح قد يهدد كياناتهم ويؤدي بدولتهم إلى السقوط وإنما كانوا يسيطرون على الناس على أساس الجهل بالحقائق الإسلامية وعدم إلتفات الجماهير إلى الوظائف الملقة على عاتق الولاة تجاه الشعوب، نتيجة للغفلة عن تعاليم الإسلام وأهداف الدين الحنيف.

ويمكن التعرف على المنهج الأدبي الذي كان سائداً في ذلك العصر من خلال مراجعة المقاطع الشعرية والنصوص التي وصلتنا عن ذلك المقطع من التاريخ.

المقاطع الشعرية التي لم تنطرق بأي شكل من الأشكال إلى المشاكل الاجتماعية التي كان يعيشها المسلمون آنذاك. ولا إلى ما كان يمارسه الحكام من الضغط على الشعوب من أجل الحصول على أكبر كمية من الثروات.

وإرغام الشعوب على بذل أقصى حد من الخراج من أجل تأمين نفقات الحكام في الفساد والمجون.

بل كان الجو العام للأشعار في تلك الحقبة الزمنية تنجّه إلى إثارة التمرات القبلية والتفاخر بالانساب والتكاثر في الثروات والعدة والعدد،

أو كانت تفاق للثيل من كرامة الآخرين وتحقيرهم مما يوجب بزوغ العداوة والحقد فيما بين القبائل والأفراد.

وتؤدي بالنتيجة إلى المشاجرات والمطاحات والحروب الدامية.

هكذا كان عصر الإمام السجّاد وهو يعيش في المدينة المنورة مع كل هذه الظروف المماكة لتوجهاته وتوجيهاته.

أضف إلى كل ذلك الظروف السياسية التي خيمت على المدينة وعموم بلاد المسلمين جرّاء اعلان ابن الزبير تمردّه على حكم يزيد في الشام والذي أدى إلى نصب مسلم بن عقبة أميراً على جيش الشام وإرساله إلى الحرمين الشريفين وألّت إلى سقوط المدينة وتسلط الشاميين على أراض وأموال ونفوس الصحابة والتابعين في المدينة المنورة. وأدى أيضاً إلى إحراق ستارة البيت ورمي الكعبة بالمنجنيق.

ومع كل هذه الأحداث والظروف غير الملائمة استمر الإمام السجّاد في مسيرة الإصلاح ومحاولة انتشال ما أمكن انتشاله من السقوط في أتون الفتن والانحرافات التي سادت بلاد الحرمين. إن الانحراف عن المسير الإسلامي بعد استشهاد الإمام الحسين أصبح في عصر الامويين امراً علنياً، فبعد أن كان الخلفاء السابقين يحاولون التغطية على بعض المفاصل الاجتماعية في عصرهم، حفاظاً على ظاهر حكمهم من النقد، أخذ بنو أمية لا يراعون هذه الناحية ولا يتورعون من اظهار رغباتهم وشهواتهم بصورة علنية، لأنهم لم يروا ما يهدد حكمهم وسلطانهم بعد الوقائع التي فعلوها بمقدسات المسلمين، فلم يكن هناك من يجزّئ على اعلان فسادهم أو يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في حكمهم.

ومن هنا أخذ الانحراف يسري في جميع مفاصل المجتمع بصورة

ملفتة للنظر، ونحن نعرض هنا لبيان بعض الانحرافات في تلك الحقبة الزمنية:

### الانحرافات الثقافية:

يلج الجهل بالأحكام الإسلامية يتفنى في اوساط المجتمع، بحيث لم يعلم الكثير من المسلمين أحكام الإسلام الا ما سمعه من أبيه أو معلمه<sup>(١)</sup>، ووصل الأمر إلى حد قيل ان كثيراً من بني هاشم - الذين كانوا في عداد الطبقة المثقفة في المجتمع آنذاك - لم يكونوا يعرفوا كيفية الصلاة الصحيحة!

وكنموذج لحال أهل تلك الفترة الزمنية نذكر مثالا، فقد نقل عن الحسن البصري أنه قال: لو بعث الرسول الأعظم من جديد في هذا العصر لم ير من تعاليم الإسلام التي علمها للأمة سوى معرفتهم بالكعبة<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأرضية هي التي انتجت شيوع افكار منحرفة بين افراد المجتمع من الغلاة والمشبهة والمجبرة والمرجئة والمتصوفة، مما كان لزاما على الإمام ان يواجه كل هذه الفرق والأفكار المنحرفة ويتصدى لها ويقوم ببيان المنهج الصحيح لمعتقبيها بالأساليب التي سوف نتعرض لبيانها في هذه الدراسة.

وفي مثل هذه الظروف الحرجة كانت المناير والمساجد تحت سيطرة

(١) مرتضى الحائري الطاطري، دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام ٦: ٥٦، ومقال: «الإمام السجاد يبعث الإسلام من جديد».

(٢) المصدر المتقدم.

حكام بني أمية وكان القضاء يحكمون حسب أهواء الولاة، فيقتلون ويسجنون من لا يوافق آراء الولاة، وصدرت المئات من الأحاديث المنسوبة إلى النبي لتبرير مواقف الحكام وتكون وسيلة للدعاية للولاة الأمويين وأخذ علماء البلاط ووعاظ السلاطين يفسرون الأحاديث وحتى الآيات القرآنية بما يصب في مصالح بني أمية وطمعهم.

واستولى على حكم البصرة الحجاج بن يوسف الذي قتل عشرات الآلاف من الناس لمجرد عدم موابنتهم خطط بني أمية وولائهم وصار الناس يهابون الحكام ويتجنبونهم إتقاء شرهم بل أخذ الكثير منهم يشكرون لمعتقداتهم ويخالفون عقائدهم لأجل ذلك وأما الولاة لأهل البيت أو الدين فقد كان جرماً لا يغتفر. ووصل الأمر إلى أن اتهم الشخص بأنه زنديق أو ملحد أهون من اتهامه بأنه من الشيعة<sup>(١)</sup>.

والمهم عند بني أمية، هو الولاء المطلق للحاكم وإن الحاكم هو أفضل منزلة حتى من رسول الله ﷺ حتى أن أحدهم صرح بأن الوليد هو أفضل منزلة حتى من النبي محمد ﷺ لأن النبي رسول والوليد خليفة الله.

### أهم أسباب الانحراف في عصر الإمام السجاد عليه السلام:

يدراسة الوضع الاجتماعي لعصر الإمام السجاد وبالأخص في المدن المقدسة كمكة والمدينة نقف على عوامل عديدة كان لها الأثر البالغ في جر المجتمع إلى السقوط والانحراف، وإليك بعض تلك العوامل:

(١) من مفكرات محسن قرائشي: المجلد الأول.

## ١ - سيرة الملوك الأمويين :

كانت حياة الملوك الأمويين مكللة بالترف والبذخ والفسق والفجور واللبالي الحمراء التي كان يقضيها الحاكم الأموي، وكانت محور الحديث في المجالس العامة.

وأول من أكرم المغنين وجمعهم في ظل حكومته هو يزيد بن معاوية، فقد دعا المغنين إلى الشام لاقامة مجالس الطرب في بلاطه وكان يعلن شرب الخمر ضارباً كل المفاهيم الدينية والأخلاق الإسلامية عرض الحائط<sup>(١)</sup>.

وينقل لنا التاريخ أن يزيد بن عبد الملك دعا ابن عائشة وكان من مشاهير المغنين والمطربين في عصره. فطلب منه أن يغني له، وفي خلال ذلك كان يحتسي الخمر، فطرب وأخذ يتلفظ بألفاظ الكفر والالحاد وطلب من الباقي أن يسقيه الخمر قائلاً: أعطني الخمر بحق السماء الرابعة<sup>(٢)</sup>.

فلذا كان الملوك والحكام يمارسون المجون والخلاعة بهذا الأسلوب، فكيف سيكون حال المجتمع الذي يحكمونه، فمن الطبيعي جداً أن يسلك الناس مسالك ملوكهم ويتحولون إلى نماذج مصغرة نحاول تقليد الحاكم في أسلوب الحياة تدريجياً. وكلما انتشر اللهو والفساد لابد وأن تنقمع العفة والسداد ويتغلى الناس عن الدين والمنهيات والأخلاق.

(١) الأغاني ٨: ٣٢٤.

(٢) مروج الذهب ٢: ٩.

قال المصمودي: إن فساد يزيد سرى إلى البلاط بشكل تدريجي، فصار ممارسة الغناء والطرب أمرا علنيا في مكة والمدينة، وانتشرت مجالس اللهو وشرب الخمر فيها وصارت أمرا علنيا<sup>(١)</sup>.

في مثل هكذا ظروف حرجة سياسيا واجتماعيا عاش الإمام السجاد وتولى قيادة الأمة، ومع كل ذلك حاول بكل جهده القيام بالمسؤولية على أكمل وجه وتمكن من حفظ السيرة النبوية عن أن تناله حالة الاحباط والاجهاض التي أرادها لها أعداء الدين، وتمكن من نشر المعارف الدينية والأخلاق الإسلامية على أوسع نطاق.

### الترويج لبغض أولياء الله:

روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، قول الإمام عليه السلام: ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام، ونقصي ونمتهن ونحرم ونقتل. ولا نأمن على دماثنا ودماء أوليائنا. ووجد الكاذبون والجاحدون لكذبهم وجحودهم موضحا... فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليخضفونا إلى الناس. وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن. فقتلت شيعتنا بكل بلدة. وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة. ومن يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره. ثم لم يزل البلاء يزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين. ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتل وأخذهم بكل ظنة وتهمة. حتى أن الرجل يقال له زنديق أحب إليه من أن يقال: شيعه علي<sup>(٢)</sup>.

(١) مروج الذهب ٣: ٦٧.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤: ٦٣ - ٧٤.



وروي أبو عمر النهدي، قال: سمعت علي بن الحسين يقول: «ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يهيناً»<sup>(١)</sup>.

وروي عن أبي عثمان الجاحظ: أن معاوية كان مما يقوله في آخر خطبة الجمعة: «اللهم إن أبا تراب - يعني الإمام علي رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة - ألحد في دينك، وحصد عن سبيلك، فalcنه لعنا وبببلا، وعذبته عذاباً أليماً». وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات بشار بها على منابر المسلمين، حتى عهد عمر بن عبد العزيز، فآلفاها، ثم عادت مرة أخرى بعد عهد.

وروي أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أملت، فلو كفت عن لعن هذا الرجل (أي الإمام علي) فقال: «لا، والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذكر فضلاً»<sup>(٢)</sup>.

ومما ذكر المؤرخون: أن الحجاج الثففي كان يلعن الإمام علي، ويأمر بلعنه، وقال له متعرض يوماً، وهو راكب: أيها الأمير، إن أهلي حقوني فسموني عطياً، فغير اسمي، وحلفني بما أتبلغ به، فإني فقير، فقال للطف ما توصلت به، قد سميتك كذا، ووليتك العمل الفلاني، فأشخص إليه<sup>(٣)</sup>.

إن ما ذكر عن حال أهل البيت في العصر الأموي - الذي استمر حتى عصر الإمام الباقر - صادق كل الصدق، ولم يذكر الباقر ما اتخذهُ ملوك

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٤: ١٠٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤: ٥٦ - ٥٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤: ٥٧.

بني أمية من سنة لئن إمام الهدى - علي كرم الله وجهه في الجنة - وإنه ليدل على مقدار ما يكنه حكام بني أمية من حقد دفن لآل البيت، ولقد لام كثيرون معاوية على ذلك العمل البالغ أقصى حدود الحقد، ولقد أرسلت أم المؤمنين، السيدة أم سلمة، تقول: إنكم تلعنون الله ورسوله إذ تلعنون علي بن أبي طالب، ومن يحبه، وأشهد أن الله ورسوله يحبانه<sup>(١)</sup>.

وكانت الأوامر تصدر من بغداد إلى أرجاء الإمبراطورية التي تدين لبني العباس ومنها مصر: أن لا يقبل علوي ضيعة ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد (والرقيق يومذاك قوة العمل) وإن كانت بين العلوي وبين أحد خصومه فلا يقبل قول العلوي ويقبل قول خصمه بدون بينة. وكانوا يسفرون من الأطراف إلى العاصمة ليكونوا تحت الرقابة، بل أمر الرشيد أن يضمن العلويون بعضهم بعضاً، وكانوا معرضون على السلطان كل يوم، فمن غاب عوقب، وكان أهل بيت النبي جالية من العدو أو شرذمة من المشبوهين. ولقد كان يكفي للحيلة أقل القليل من حاكم يريد أن يطمئن، وإنما كان ذلك الكيد سياسة إبادة مستمرة، يشترك في تنفيذها الخلفاء، والأشعياء الظلمة، تدفع النافرين إلى أن يشوروا، فيؤخفوا بشوراتهم، أو يؤخذ غيرهم بجرائر تنسب إليهم. أما سياسة أهل البيت فواضحة من شعار أبناء علي في كلمة مسلم بن عقيل «إنا أهل بيت نكروه الفدر». قالها عند ما عرض عليه البعض قتل حبيد الله بن زياد في إحدى زياراته. فنجأ ابن زياد بهذا الشعار ليقتل مسلماً فيما بعد. أما شعار

(١) الإمامة وأهل البيت - محمد يومي مهران ٣ : ٤٨.

حاشية معاوية فكان «إن لله جنوداً من عمل» يقصدون دس السم إلى أعدائهم فيه. ولقد طالما استعمل الطفأة السم في أهل البيت في القرون التالية، فإن لم يكن سم في خفاء فالقتل جهرة، وفي الروايات أن أئمة أهل البيت الاثني عشر ماتوا مسمومين ما عدا أمير المؤمنين علياً وأبا الشهداء الحسين مائتا شهيدين.

واستمرت هذه السبرة إلى أيام الخليفة الهادي (سنة ١٦٩) حيث كان أهل بيت النبي في المدينة يستعرضون كل يوم، لكل واحد منهم كفيل من نسب أو قريب، بل ولّى عليهم واحد من ذرية عمر بن الخطاب هو عبد العزيز بن عبدالله. فولّى بدوره على أهل البيت رجلاً يقال له عيسى الحائك. فحبسهم الحائك في المقصورة فثارت لأجلهم المدينة إذ ثاروا وكسرت السجون<sup>(١)</sup>.

### ب - شيوع اللهو والغناء :

حدّث عباس بن المفضل قاضي المدينة، قال : حدّثني الزبير بن بكار قاضي مكة، عن مصعب بن عبدالله قال : دخل الشعبي على بشر بن مروان وهو والي العراق لأخيه عبد الملك بن مروان، وعنده جارية في حجرها عود؛ فلما دخل الشعبي أمرها فوضعت العود، فقال له الشعبي : لا ينبغي للأمير أن يستحي من عبده. قال : صدقت، ثم قال للجارية : هاتي ما عندك. فأخذت العود وغت :

ومما شجاني أنها يوم ودعت تولّت      وماء العين في الجفن حائر  
فلما أحادت من بعيد بنظرة      التي التفاتاً أسلمته المحاجر

(١) الإمام جعفر الصادق، لعبد الحلیم الجندي : ١٠٨. شرح إحقاق الحق : ٢٨ : ٤٦٠.

فقال الشعبي: الصغير أكيسهما. يريد الزير، ثم قال: يا هذه، أرخي من بكك، وشدي من زيرك. فقال له بشر: وما علمك؟ قال: أظن العمل فيهما. قال: صدقت، ومن لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه<sup>(١)</sup>.

وحدث عن أبي عبدالله البصري قال: غشي رجل في المسجد الحرام وهو مستلق على قفاه صوتاً، ورجل من قريش يصلي في جواره؛ فسمعه خدام المسجد فقالوا: يا عدو الله، تغشي في المسجد الحرام! ورفعوه إلى صاحب الشرطة، فتجوز القرشي في صلاته؛ ثم سلم وأثبته، فقال لصاحب الشرطة: كذبوا عليه أصلحك الله، إنما كان يقرأ! فقال: يا فساق، أتأتوني برجل قرأ القرآن تزعمون أنه غشي؟ خلوا سبيله! فلما خلوه قال له القرشي: والله لو لا إني أحسنت وأجدت ما شهدت لك، اذهب راشداً<sup>(٢)</sup>.

وكان لأبي حنيفة جار من الكياليين مغرم بالشراب، وكان أبو حنيفة يحيي الليل بالقيام، ويحييه جاره الكيال بالشراب، ويغني على شرايه: اضاعوني وأني فسي اضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر فأخذه العس ليلة فوق في الحبس، وفقد أبو حنيفة صوته واستوحش له؛ فقال لأهله: ما فعل جارنا الكيال؟ قالوا: أخذه العس فهو في الحبس. فلما أصبح أبو حنيفة وضع الطويلة على رأسه، وخرج حتى أتى باب عيسى بن موسى، فاستأذن عليه، فأسرع في إفنه - وكان أبو حنيفة قليلاً ما يأتي الملوك - فأقبل عليه عيسى بوجهه، وقال: أمر ما جاء بك أبا حنيفة؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير، جار لي من

(١) الغناء والموسيقى ٣: ٢٤٢٢.

(٢) الغناء والموسيقى ٣: ٢٤٢٤.

الكَيّالين، أخذه عسس الأمير ليلة كذا، فوقع في حبسك. فأمر عيسى بإطلاق كل من أخذ في تلك الليلة، إكراما لأبي حنيفة؛ فأقبل الكَيّال على أبي حنيفة مشكرا له، فلما رآه أبو حنيفة قال: أضعنك يا فتى؟ يعرض له بغيرته؟ قال: لا والله، ولكنك بررت وحفظت<sup>(١)</sup>.

(١) الغناء والموسيقى ٣: ٢٤٢، وورد أيضاً تماثج أخرى في الكتاب المذكور، منها: ما من الأصمعي قال: قدم عراقي يعدل من حصر العراق إلى المدينة، فباعها كلها إلا الرد، فبشكا ذلك إلى الدارمي، وكان قد نكث وترك الشعر ولزم المسجد فقال: ما نجعل في على أن أحتال لك بحيلة تبيعها كلها على حكمك؟ قال: ما شئت؟! قال: فعمد الدارمي إلى ثياب نسك<sup>١</sup> فألقاها عنه وعاد إلى مثل شأنه الأزلي، وقال شعرا وورقه إلى صديق له من المخنئين، فغنى به وكان الشعر:

قل للمصلحة في الخمار الأسود      ما ذا فعلت بزاهد متمجد  
قد كان شمر للمصلحة ثيابه      حتى غطرت له بيباب المسجد  
وقي عليه صلاته وصيامه      لا تقتلبه بحق دين محمد  
فشاع هذا الغناء في المدينة، وقالوا: قد رجع الدارمي وتعلق صاحبة الخمار الأسود. فلم يبق مصلحة بالمدينة إلا اشترت ثيابا سودا، وباع التاجر جميع ما كان معه فجعل إخوان الدارمي من السالك يلقون الدارمي فيقولون: ما ذا صنعت؟ فيقول: متسلمون ثياب بعد حين. فلما أنفذ العراقي ما كان معه، رجع الدارمي إلى نسكه ولبس ثيابه.

وحديث عبيدة بن مسلم بن خبة بغداد، قال: حدثني سهل عن الأصمعي قال: كان عروة بن أذينة يمدّ ثقة ثوبا في المصنبت، روى عنه مالك بن أنس، وكان شاهرا لبثا في شعره غزلا، وكان يصرخ الألعان والغناء على شعره في حداثته ويحلها المثنئين؛ فمن ذلك قوله، وغنى به الحجازيون:

يا هيار الحصى بالأجسمه      لم يبتن رسمها كلمه  
وهو موضع صوته، رثه قوله:

فالت وأبشلتها وجدي ويحت به      قد كنت حندي تحب الشعر فاستر  
ألت تبصر من حولي فقلت لها      عكبي هواك وما ألقى على بصري  
قال: فوفقت عليه امرأة وحوله التلاسل، فقالت: أنت الذي يقال فيك: الرجل الصالح، وأنت القاتل:

إذا وجدت أوار الحب في كبدي      حسدت نحو صفاء القوم أبترد  
هيني يردت ببرد الماء ظاهره      فمن أثار على الأحشاء تشدد

وقد كان بعض السامعين يفتات السماع فيجعله قوته ويتقوى به على زيادة طيِّبه<sup>(١)</sup> وكان أحدهم يطوي اليومين والثلاثة فإذا تآقت نفسه إلى القوت عدل بها إلى السماع فأثار منه مواجيدته وأهاج فيه أذكاره فجعله ذلك [كذا] عن الطعام وأغناء عن الأنعام، فهذا لا يصلح إلا لقلب صاف

لا والله ما قال هذا رجل صالح قديراً.

قال: وكان عبد الرحمن الملقب بالقسّ عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة، وإنه مرّ يوماً بسلامة وهي تفتي، فقام يستمع خاتماً، فرآه مولاها فقال له: هل لك أن تدخل فتسمع؟ فأبى، فلم يزل به حتى دخل، فقال له: أوقفك في موضع بحيث نراها ولا تراك، ففتته فأصعبته، فقال لها مولاها: هل لك في أن أحولها إليك؟ فأبى ذلك عليه، فلم يزل به حتى أجابه، فلم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغب بها، ولما شمرت لحظه لآها غشته:

رَبِّ رَسُولَيْنِ لَنَا بَلْغَا      رسالة من قبل أن يبرحنا  
لَمْ يَمْسَلَا عَمَّا وَلَا حَاضِرَا      ولا لساناً بالهوى مفصفاً  
حَتَّى اسْتَقْبَلَا بِجَوَابِيهِمَا      بالطائر الميمون قد أنجحنا  
الطُورَ وَالطُّورَ بِمَشْنَاهِمَا      فقبلاً حاجباً وما صرنا  
قَالَ: فَأَخْبَنِي عَلَيْهِ وَكَادَ أَنْ يَهْلِكَ، فَقَالَتْ لَهُ يَوْمًا: وَاللَّهِ إِنِّي أَحْبَبْتُكَ قَالَ لَهَا: وَأَنَا وَاللَّهِ أَحْبَبْتُكَ قَالَتْ: وَأَحَبُّ أَنْ أَصْبِحَ نَفْسِي عَلَى لَهْمِكَ. قَالَ: وَأَنَا وَاللَّهِ.

وذكر رجل من أهل المدينة أن ابن أبي عتيق - وهو عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - دخل على عائشة أم المؤمنين - وهي حنته - فوضع رأسه في حجرها - أو على ركبتيها - ثم رفع عقبرته يفتي:

وَمَقْبَرُ حَبِيبِ جُودٍ يَرْجِيهِ      بعد الهدى له قوائم أربع  
فَأُطْرِبَ زَمَانُ اللُّهُورِ مِنْ زَمَنِ الْعُضْبَا      وانزع إذا قالوا أسي لا ينزع  
فَلَمَّا نَبِئْتُ صَاحِبَكَ يَوْمًا مَرَّةً      يبكي عليك مفتعلاً لا تسمع  
قَالَتْ حَائِثَةً: يَا بَنِيَّ، فَاتَّقِ ذَلِكَ الْيَوْمَ. (الغناء والموسيقى ٣: ٢٤٢٤ - ٢٤٢٦).

(١) يقال: طوى من الجوع يطوى يطوى فهو طاو: أي خالي البطن جائع لم يأكل. وطوى يطوى إذا نعد ذلك. ومنه الحديث: بيت شعبان وجاره طاو. والحديث الآخر: يطوى بطنه من جاره أي يبيع نفسه ويؤثر جاره بطعامه. والحديث الآخر: أنه كان يطوى يومين أي لا يأكل فيهما ولا يشرب. (النهاية في غريب الحديث والأثر - لمجد الدين ابن الأثير ٣: ١٢٦).

من الأكدار نقي نظيف من الأثام ومن شهد فيه خلقاً فذلك علامة كدر قلبه، ومن أحدث فيه لعباً ولهاواً فهو دليل نقص لبه. حدثني بعض الشيوخ عن شيخ له قال: رأيت أبا العباس الخضر فقلت: ما تقول في هذا السماع الذي يختلف فيه أصحابنا؟ فقال: هو الصفا الزلال لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء<sup>(١)</sup>.

وهكذا حاول الأمويون - ولأجل إخماد ثورة الإسلام في نفوس الناس - ترويع الفحشاء والمنكر، والفسجور والخمور، والظلم والخيانة، حتى ضرب بهم المثل في خرق المعهود والمواثيق، وتجاوز الأعراف والموازن المقبولة بين الناس، وتلاعبوا بكل المقدرات والمقررات، وانغمسوا - وجروا الناس معهم - في الرذيلة واللعب، ومعهم الجيل الناشئ من الأمة، الذي نما على هذه الروح الطاغية اللاهية. حتى جعلوا من مدينة الرسول الطيبة، مركزاً للفساد.

قال أبو الفرج الأصبهاني: إن الغناء في المدينة لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم<sup>(٢)</sup> وحتى كانت يثرب تمتع بالمغنيات.

ومن المؤسف - حقاً - أن مدينة النبي ﷺ صارت - في العصر الأموي - مركزاً للحياة العائنة، وكان من المؤمل أن تصبح معبداً للظافة الدينية، ومصدراً للإشعاع الفكري والحضاري في العالم الإسلامي، إلا أن الأمويين سلّبوها هذه القابلية، وأفقدوها مركزيتها الدينية والسياسية<sup>(٣)</sup>.

(١) الغناء والموسيقى ٣: ٢٤٢٤.

(٢) الأغانى - طبع دار الكتب - (٨: ٢٢٤) ولا حظ (٤: ٢٢٢) فيه موقف مالك بن نويرة من المدينة، وانظر العقد الفريد (٣: ٢٢٢ و ٢٤٥).

(٣) جهاد الإمام السجاد ﷺ: ١٥٩.

ولما خرج عروة بن الزبير من المدينة واتخذ قصرا بالمعيق، وقال له الناس: قد أجفرت مسجد رسول الله ﷺ! قال: إني رأيت مساجدكم لاهية، وأسواقهم لاغية، والفاحشة في فجاجهم عالية<sup>(١)</sup>.

### ج - تقريب المطربين وأهل الخلاعة والمجون إلى البلاط:

تحدث الزبيريون عن خالد صامة أنه كان من أحسن الناس ضربا بالعود، قال: فقدمت على الوليد بن يزيد وهو في مجلس ناهيك به مجلسا، فألقيته على سريره وبين يديه معبد ومالك بن أبي السمح، وابن عائشة، وأبو كامل غزّيل الدمشقي، فجعلوا يفتنون حتى بلغت النبوة إليّ فغشيت:

سرى هنّي وهمّ المرء يسري      وغار النجم إلا قيد فسر  
أراقب لي المجرّة كلّ نجم      تعرّض أو على المجرة يجري  
لهمّ ما أزال له قرينا      كأن القلب أبطن حرّ جسر  
على بكر أخّي فارقت بكرا      وأي الميش يصلح بعد بكر

فقال لي: أعد يا صام، ففعلت، فقال لي: من يقول هذا الشعر؟ فقلت: هذا يقوله عروة بن أذينة برثي أخاء بكرا. فقال لي الوليد: وأي العيش يصلح بعد بكر هذا العيش الذي نحن فيه، والله لقد تحبّر واسعا على رغم أنه<sup>(٢)</sup>.

وورد في أخبار ابن عائشة ونسبه اسمه وكنيته: أنه لم يعرف لابن عائشة أب، فنسب إلى أمه، فهو محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر،

(١) جهاد الإمام السّجاد عليه السلام: ١٥٩.

(٢) الفناء والموسيقى ٣: ٢٣٩٢.



وكان يلقبه من عاداه أو أراد سبه : ذابن عاة الدارة. وكان هو يزعم أنَّ اسم أبيه جعفرًا وليس يعرف ذلك. وعائشة أمّه كانت مولاة لكثير بن الضلت الكندي حليف فريش. وقيل : إنها كانت مولاة لآل المطلب بن أبي وداعة السهمي، ذكر ذلك إسحاق بن محمد بن سلام. وحكى ابن الكلبي القول الأوّل، وقال إسحاق : هو الصحيح، يعني قول ابن الكلبي. وقال إسحاق فيما رواه لنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه : إنَّ محمد بن معن الخفاري ذكر له عن أبي السائب المخزومي أنَّ ابن عائشة مولى المطلب بن أبي وداعة السهمي وإنه كان تغير رشدة، فأدركت المشيخة وهم إذا سمعوا له صوتا حسنا قالوا : أحسن ابن المرأة.

قال إسحاق : وقال عمران بن هند الأرقمي : بل كان مولى لكثير بن الضلت. سأله الوليد بن يزيد عن نسه لأمه فأجابه. قال إسحاق : قال عبيد الله بن محمد بن عائشة : قال الوليد بن يزيد لابن عائشة : يا محمد، الفية أنت؟ قال : كانت أمي يا أمير المؤمنين ماشطة، وكنت غلاما، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا : ارفعوا هذا لابن عائشة؟ فقلت على نسي.

كان يفتن كل من سمعه وأخذ عن معبد ومالك قال إسحاق : وكان ابن عائشة يفتن كل من سمعه، وكان فتيان من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته. وقد أخذ عن معبد ومالك ولم يبرنا حتى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما<sup>(١)</sup>.

(١) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ٢ : ٤٦٣.

توفي ابن عائشة فيما قيل في أيام هشام بن عبد الملك، وقيل في أيام الوليد. وما أظن الصحيح إلا أنه توفي في أيام الوليد، لأنه أقدمه إليه.

ذكر من زعم أنه توفي في خلافة هشام: أنه إنما وفد على الوليد وهو ولي عهد. قيل: إن الغمر بن يزيد أمره بالغناء فأبى، فأمر برمييه من السطح فمات<sup>(١)</sup>.

وقال: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: ذكر عمران بن هند: أن الغمر بن يزيد خرج إلى الشام، فلما نزل قصر ذي خشب شرب على سطحه، فغنى ابن عائشة صوتا طرب له الغمر، فقال: اردده، فأبى، وكان لا يرد صوتا لسوء خلقه، فأمر به، فطرح من أعلى السطح فمات. ويقال: بل قام من الليل وهو سكران ليبول فسقط من السطح فمات<sup>(٢)</sup>.

وحدثني أبو كامل ذات يوم الوليد بن يزيد في لحن لابن عائشة، وهو: جئباني أذاة كل لبيم إنه ما علمت شر نديم للوليد في أشعار كثيرة، فخلع عليه ثيابه كلها حتى قلنبيته. ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه؛ وزاد فيه أنه أوصى أن تجعل في أكفانه<sup>(٣)</sup>. وفي التذكرة الحمدونية، قيل: خرج ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد غناه في شعر النابغة:

أبعدك محقلا أبني وحصنا قد اهتمني المعازل والحصون

(١) الأغاني ٢: ٤٨٤ - ٤٨٥.

(٢) الأغاني ٢: ٤٨٤ - ٤٨٥.

(٣) الأغاني ٧: ٦٦ - ٦٧.

فأطربه. فأمر له بثلاثين ألف درهم [ويمثل] كارة القصار ثياباً. فبينما ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتري الغناء ويشرب النبيذ، فلما من غلامه وقال: من هذا الراكب؟ قال: ابن عائشة المخشي، فلما منه فقال: جعلت فداك، أنت ابن عائشة أم المؤمنين؟ قال: لا أنا مولى لقريش وعائشة أمي، وحبيبك هذا ولا عليك أن تكثر. قال: وما هذا الذي أراه بين يديك من المال والكسوة؟ قال: غنيت أمير المؤمنين صوتاً فأطربته فكفر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وبهذه الكسوة<sup>(١)</sup>.

#### د - شيوع الفساد في المجتمع:

ساد الفساد في المجتمع العربي، وتهالك الناس على الفسق والفجور، ومن طريف ما ينقل في هذا الموضوع أنه أوتي بشيخ إلى هشام ابن عبد الملك وكان معه قيان وخمر وبربط، فقال: اكسروا الطنبور على رأسه فبكى الشيخ فقال له أحد الجالسين: عليك بالصبر،

(١) التذكرة الحمدونية ٩: ٦٣. وذكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني: أخبر دحمان ونسيه، فقال: كان مغنياً صالحاً مقبول الشهادة ملازماً للصح: دحمان لقب لقب به، واسمه عبد الرحمن بن عمرو، مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. ويكنى أبا عمرو، ويقال له: دحمان الأشقر. قال إسحاق: كان دحمان مع شهرته بالفناء رجلاً صالحاً كبير الصلاة معذلاً الشهادة مدحاً للصح، وكان كثيراً ما يقول: ما رأيت باطلاً أشبه بحق من الفناء. قال إسحاق: وحدثني الزبير بن أنس دحمان شهد عند عبد العزيز بن المقلب بن عبيد الله بن حنظل المخزومي، وهو يلي القضاء لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة، فأجازها وعذله، فقال له العراقي: إنه دحمان؟ قال: أمره، ولو لم أمره لآلت عنه؟ قال: إنه يفتني ويعلم الجوارح الفناء؟ قال: فخر الله لنا ولك، وأنت لا تفتني! انزعج إلى الرجل عن حقه. (الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني ٦: ٣٠٥).

فقال له الشيخ: أتراني أبكي للضرب؟ إنما أبكي لاحتقاره البريط إذ سماه طنبوراً<sup>(١)</sup>.

لقد كانت سيرة الأمويين في جميع أدوارهم امتداداً لسيرة معاوية الذي أشاع حياة اللهو والخلعة في البلاد للقضاء على أصالة الأمة، وسلب وعيها الديني والاجتماعي. إشاعة المجون في الحرمين: وحصد معاوية إلى إشاعة الدعارة والمجون في الحرمين للقضاء على قدسيتهما واسقاط مكانتهما الاجتماعية في نفوس المسلمين، يقول العلافلي: «وشجع الأمويون حياة المجون في مكة والمدينة إلى حد الإباحة، فقد استأجر طوائف من الشعراء والمخشئين من بينهم عمر بن أبي ربيعة لأجل أن يمسحوا عاصمتي مكة والمدينة بمسحة لا تليق، ولا تجعلهما صالحتين للزعامة الدينية. وقد قال الأصمعي: دخلت المدينة فما وجدت إلا المخشئين، ورجلاً يضع الأخبار والطرف. وقد شاعت في شرب مجالس الغناء، وكان الوالي يحضرها ويشارك فيها وانحسرت بذلك روح الأخلاق، وانصرف الناس عن المثل العليا التي جاء بها الإسلام».

#### هـ - الاستخفاف بالقيم الدينية:

واستخف معاوية بكافة القيم الدينية، ولم يعم بجميع ما جاء به الإسلام من الأحكام فاستعمل أواني الذهب والفضة، وأباح الربا، وتطبيب في الأحرار، وعطل الحدود، وقد ألغيت معظم الأحكام الإسلامية في أغلب أدوار الحكم الأموي، وفي ذلك يقول شاعر الإسلام الكمي:

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٠: ٣١٧.

وعطلت الأحكام حتى كأننا  
أهل كتاب نحن فيه وأنتم  
كأن كتاب الله يعني بأمره  
فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم  
وما ضرب الأمثال في الجور قبلنا  
على ملة غير التي نتحمل  
على الحق نقضي بالكتاب ونعدل  
وبالتهي فيه الكودني الميركل  
فحنان حنان المعنا المطول  
لأجور من حكامنا المتمثل<sup>(١)</sup>

وقال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق:

بعث عائشة بنت طلحة بن عبيد الله إلى كثير عزة فجاهها فقالت له:  
ما الذي يدعوك إلى ما تقول في الشعر من عزة وليست على ما تصف من  
الحسن والجمال، فلورشت صرقت ذلك إلى غيرها فمن هو أولى به أنا  
وأمثالي، فأنا أشرف وأفضل من عزة. وإنما أرادت أن تخبره وتبلوه<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عساكر: ولما تزوجها مصعب ودخل بها دعت عائشة عزة  
ونسوانا من قريش، فلما أصبن من طعامها غنتهن ومصعب قائم في  
دهليز الدار<sup>(٣)</sup>.

**إشاعة المحقق على النبي ﷺ وأهل بيته:**

كان معاوية حاقدا على النبي ﷺ فقد مكث في أيام خلافته أربعين  
جمعة لا يصلي عليه، وسأله بعض أصحابه عن ذلك فقال: «لا يمنني  
عن ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها».

وسمع المؤذن يقول: اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله،

(١) حياة الإمام الحسين - الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٤٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق - لابن عساكر ٥٠: ١٠٠.

(٣) تاريخ مدينة دمشق - لابن عساكر ٦٩: ٢٧٥.

فلم يملك اهابه، واندفع يقول: «لله أبوك يا ابن عبدالله لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين».

ومن مظاهر حقه على الرسول الأعظم ﷺ ما رواه مطرف بن المغيرة قال: وفدت مع أبي علي معاوية، فكان أبي يتحدث عنده ثم ينصرف إلي وهو يذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، وأقبل ذات ليلة، وهو غضبان فامسك عن العشاء، فانتظرت ساعة، وقد ظننت أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له:

- مالي أراك مغتما منذ الليلة؟

- يا بني جئتك من عند أخيت الناس.

- ما ذاك؟

- خلوت بمعاوية فقلت له: «إنك قد بلغت منك يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى أخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه...» فثار معاوية واندفع يقول: «هيهات!! هيهات ملك آخر تيم فعدل، وفعل ما فعل فوالله ما هذا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قاتل أبو بكر. ثم ملك آخر عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قاتل عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل به ما عمل فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وأن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: اشهد أن محمدا رسول الله ﷺ فأبي عمل يبقى بعد هذا لا أم لك إلا دفئا دفئا...»<sup>(١)</sup>.

### تبعه لشعبة أهل البيت وإذلالهم:

لقد كان معاوية لا يتعب من الاقدام على اقتراف أية جريمة من اجل ان يضمن ملكه وسلطانه، وقد كانت الشيعة تشكل خطرا على حكومته فاستعمل معهم أصنف الوسائل وأشدّها قسوة من اجل القضاء عليهم، ومن بين الاجراءات القاسية التي استعملها ضدهم ما يلي:

### سنة للقتل الجماعي:

وأمر معاوية إلى حد كبير في سفك دماء الشيعة، فقد عهد إلى الجلادين من قادة جيشه بتتبع الشيعة وقتلهم حيثما كانوا، وقد قتل بسر بن أبي أرطاة - بعد التحكيم - ثلاثين ألفا عدا من أحرقتهم بالنار<sup>(١)</sup> وقتل سمرة بن جندب ثمانية آلاف من أهل البصرة<sup>(٢)</sup> وأما زياد بن أبيه فقد ارتكب أفظع المجازر فقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون، وانزل بالشيعة من صنوف العذاب ما لا يوصف لمرارته وقسوته.

### إبادته للقوى الواحية:

وعهد معاوية إلى إبادته القوى المفكرة والواعية من الشيعة، وقد ساق زمرا منهم إلى ساحات الإعدام، واسكن الشكل والمحدد في بيوتهم، وفيما يلي بعضهم:

١ - حجر بن عدي: لقد رفع حجر بن عدي علم النضال، وكافح عن حقوق المظلومين والمضطهدين، وصحى إرادة الحاكمين من بني أمية

(١) حياة الإمام الحسين - الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٦٦.

(٢) حياة الإمام الحسين - الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٦٦.

الذين تلاعبوا في مقدرات الأمة وحولوها إلى مزرعة جماعية لهم ولعملائهم واتباعهم... لقد استهان حجر من الموت وسخر من الحياة، واستلذ الشهادة في سبيل عقيدته، فكان أحد المؤسسين لمذهب أهل البيت (١).

٢ - عمرو بن الحمق الخزاعي: ومن شهداء العقيدة: الصحابي العظيم عمرو بن الحمق الخزاعي الذي دعا له النبي ﷺ أن يتمه الله بشبابه، واستجاب الله دعاء نبيه فقد اخذ عمرو بعنق الثعالبين عاما ولم تر في كربته شعرة ببضاء وتأثر عمرو بهدي أهل البيت واخذ من علومهم فكان من اعلام شيعتهم (٢)، واحتز رأسه الشريف وأرسل إلى طاغية دمشق فامر ان يطاف به في الشام، ويقول المؤرخون انه أول رأس طيف به في الإسلام، ثم أمر به معاوية ان يحمل إلى زوجته السيدة أمة بنت شريد، وكانت في سجنه، فلم تشعر الا ورأس زوجها قد وضع في حجرها، فذعرت وكادت أن تموت وحملت من السجن إلى معاوية وجرت بينها وبينه معادئات دلت على ضعة معاوية واستهانته بالقيم العربية والإسلامية الفاضية بمعاملة المرأة معاملة كريمة ولا تؤخذ بأي قنب يقترفه زوجها أو غيره (٣).

٣ - أوفى بن حصن: وكان أوفى بن حصن من خيار الشيعة - في الكوفة - واحد اعلامهم النابيين، وهو من أشد الناقمين على معاوية فكان يذبح مساوئه وأحداثه، ولما علم به ابن سمية أوعز إلى الشرطة

(١) حياة الإمام الحسين (ع) - الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٦٦ - ١٦٨.

(٢) حياة الإمام الحسين (ع) - الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧١.

(٣) حياة الإمام الحسين (ع) - الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٠.



بالقاء القبض عليه ولما علم أوفى بذلك اختفى، وفي ذات يوم استعرض زياد الناس فاجتاز عليه أوفى فشك في أمره فسال عنه فأخبر باسمه، فأمر بإحضاره فلما مثل عنده سأله عن سياسته فعابها وأنكرها، فأمر زياد بقتله، فهوى الجلادون عليه بسيوفهم وتركوه جثة هامدة<sup>(١)</sup>.

٤ - الحضرمي مع جماعته: وكان عبدالله الحضرمي من أولياء الإمام أمير المؤمنين ومن خالص شيعته كما كان من شرطة الخميس، وقد قال له الإمام يوم الجمل: «ابشر يا عبدالله فإنك وأباك من شرطة الخميس، لقد أخبرني رسول الله باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس». ولما قتل الإمام جزع عليه الحضرمي وبنى له صومعة يتعبد فيها وانضم إليه جماعة من خيار الشيعة، فأمر ابن سمية بإحضارهم، ولما مثلوا عنده أمر بقتلهم، فقتلوا صبرا<sup>(٢)</sup>.

٥ - جويرية العبدي: ومن عيون شيعة الإمام جويرية بن مسهر العبدي، وفي فترات المحنة الكبرى التي امتحن بها الشيعة أيام ابن سمية، بحث خلفه فأمر بقطع يده ورجله وصلبه على جذع قصير.

٦ - صيفي بن فسيل: ومن أبطال العقيدة الإسلامية صيفي بن فسيل

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام - الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧١.

(٢) وكتب إليه الإمام الحسين عليه السلام: «أولست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه إليك زياد أنه على دين علي عليه السلام فكيف لي به: أن أقتل كل من كان على دين علي، فقتلهم. ومثل فيهم يأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه عليه السلام الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرقك وشرف آباك نجس المرحلتين رحلة الشتاء والصيف، ودلت هذه المذكرة - بوضوح - على أن معاوية قد عهد إلى زياد بقتل كل من كان على دين علي عليه السلام الذي هو دين رسول الله صلى الله عليه وآله، كما طلت على أن زيادا مثل بهؤلاء البررة بعد قتلهم تشفيا منهم، لولا أنهم لعنة رسول الله صلى الله عليه وآله». (حياة الإمام الحسين عليه السلام - الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٢ - ١٧٥).

الذي ضرب أروع الأمثلة للإيمان فقد سعي به إلى الطاغية زياد فلما جئ به إليه صاح به: - يا هندو الله ما تقول في أبي تراب؟ فقال: ما اعرف أبا تراب. قال: ما أعرفك به؟، أما تعرف علي بن أبي طالب؟ قال: بلى. قال: فذاك أبو تراب. فقال: كلا ذاك أبو الحسن والحسين. وانبرى مديبر شرطة زياد منكرا عليه: «يقول لك الأمير: هو أبو تراب، ونقول: أنت لا!!» فصاح به البطل العظيم مستهزئا منه ومن أميره: «إن كذب الأمير، أتريد أن أكذب؟ وأشهد علي باطل كما شهد!!». وتحطم كبرياء الطاغية، وضاعت به الأرض فقال له: «وهذا أيضاً مع ذنبك» وصاح بشرطته عليّ بالعصا، فأتوه بها، فقال له: «ما قولك؟» وانبرى البطل بكل بسالة وإقدام غير حافل به قائلاً: «أحسن قول أنا قائلة في عهد من عباد الله المؤمنين». وأوعز السفاك إلى جلاديه بضرب عاتقه حتى يلتصق بالأرض، فسموا إليه بهراواتهم فضربوه ضرباً مبرحاً حتى وصل عاتقه إلى الأرض، ثم أمرهم بالكف عنه، وقال له: «لله، ما قولك في علي؟» وحسب الطاغية أن وسائل تعذيبه سوف تقلبه عن عقيدته. فقال له: «والله لو شرحتني بالمواسي والمدي، ما قلت إلا ما سمعت مني». وفقد السفاك إهابه فصاح به: «التعنه أو لأضربن عنقك». وهتف صيغري يقول: «إذا تضربها والله قبل ذلك، فإن أبيت إلا أن تضربها رخصت بالله وشقيت أنت». وأمر به أن يوفّر في الحديد، ويلقى في ظلمات السجون ثم يمته مع حجر بن عدي فاستشهد معه<sup>(١)</sup>.

٧ - عبد الرحمن العتري: وكان عبد الرحمن العتري من خيار الشيعة، وقد وقع في قبضة جلاوزة زياد، فطلب منهم مواجهة معاوية

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام - الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٥.

لعله أن يعفو عنه، فاستجابوا له وأرسلوه مخفورا إلى دمشق، فلما مثل عند الطاغية قال له: «إيه أخا ربيعة، ما تقول في علي؟» فقال له: «دعني ولا نسألني فهو خير لك». فقال: «والله لا أدعك»، فأنبرى البطل الفذ يذلي بفضائل الإمام، ويشيد بمقامه قائلاً: «أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً، والآخرين بالحق، والقائمين بالقسط، والمغابن عن الناس». فالتاع معاوية فخرج نحو عثمان، لعله أن ينال منه فيستحل إراقة دمه، فقال له: «ما قولك في عثمان؟» فاجابه عن انطباعاته عن عثمان، فغاظ ذلك معاوية وصاح به: «قتلت نفسك». فقال عبد الرحمن: «بل إياك قتلت، ولا ربيعة بالوادي». وظن عبد الرحمن أن أسرته ستقوم بحمايته وانقاذه، فلم ينبر إليه أحد، ولما أمن منهم معاوية بعثه إلى الطاغية زياد، وأمره بقتله. فبث زياد إلى «قس الناطف»، فدفعه وهو حي<sup>(١)</sup>.

هؤلاء بعض الشهداء من اعلام الشيعة الذين حملوا مشعل الحرية، وأضأوا الطريق لغيرهم من الثوار الذين أسقطوا عبية الحكم الأموي، وعملوا على أنقاذه<sup>(٢)</sup>.

### ترويعه للنساء:

ولم يقتصر معاوية في تنكيله على السادة من رجال الشيعة، وإنما تجاوز ظلمه إلى السيدات من نسائهم، فأشاع فيهم الذعر والإرهاب، فكتب إلى بعض عماله بحمل بعضهن إليه، فحملت له هذه السيدات:

١ - الزرقاء بنت عدي.

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام - الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام - الشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٦.

- ٢ - أم الخير البارقية.
- ٣ - سودة بنت حمارة.
- ٤ - أم البراء بنت صفوان.
- ٥ - بكارة الهلالية.
- ٦ - أروى بنت الحارث.
- ٧ - عكرش بنت الأطرش.
- ٨ - الدارمية الحجونية. وقد قابلهن معاوية بمزيد من التوهين والاستخفاف، وأظهر لهن الجبروت والقدرة على الانتقام غير حافل بوهن المرأة وضعفها، وقد ذكر الشيخ باقر القرشي ما جرى عليهن في مجلسه من التحقير في كتابه حياة الإمام الحسن<sup>(١)</sup>.

### هدم دور الشيعة:

أوعز معاوية إلى جميع عماله بهدم دور الشيعة، فقاموا بتنقضها وتركوا شيعة آل البيت ﷺ بلا مأوى يأوون إليه، ولم يكن هناك أي مبرر لهذه الاجراءات القاسية سوى تحويل الناس عن عترة رسول الله ﷺ.

### حرمان الشيعة من العطاء:

ومن المأسى الكثيرة التي عانتها الشيعة في أيام معاوية أنه كتب إلى جميع عماله نسخة واحدة جاء فيها «انظروا إلى من قامت عليه البيعة انه

(١) حياة الإمام الحسن ﷺ - الشيخ باقر شريف القرشي ٢ : ١٧٦.

يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه وبادر عماله في الفحص في سجلاتهم فمن وجدوه محبا لآل البيت عليه السلام محوا اسمه وأسقطوا عطاءه.

### عدم قبول شهادة الشيعة:

وعند معاوية إلى اسقاط الشيعة اجتماعيا فمهد إلى جميع عماله بعدم قبول شهادتهم في القضاء وغيره مبالغة في اذلالهم وتحقيرهم.

### إبعاد الشيعة إلى خراسان:

وأراد زياد ابن أبيه تصفية الشيعة من الكوفة، وكسر شوكتهم فأجلى خمسين ألفا منهم إلى خراسان المقاطعة الشرقية في فارس. وقد دق زياد بذلك أول سمار في نعش الحكم الأموي، فقد أخذت تلك الجماهير التي أبعدت إلى فارس تعمل على نشر التشيع في تلك البلاد، حتى تحولت إلى مركز للمعارضة ضد الحكم الأموي، وهي التي أطاحت به تحت قيادة أبي مسلم الخراساني.

هذا بعض ما عانت الشيعة في عهد معاوية من صنوف التعذيب والإرهاب، وكان ما جرى عليهم من الماسي الأليمة من أهم الأسباب في ثورة الإمام الحسين، فقد رفع علم الثورة لينقلهم من المحنة الكبرى التي امتحنوا بها ويعيد لهم الأمن والاستقرار.

### إجبار الناس على البيعة ليزيد:

وختم معاوية حياته بأكبر إثم في الإسلام وأفظع جريمة في التاريخ، فقد أقدم غير متحرج على فرض خليفه يزيد خليفة على المسلمين بحيث

في دينهم وديارهم، ويخلد لهم الولايات والخطوب، وقد استخدم معاوية شتى الوسائل المنحطة في جعل الملك وراثية في أبنائه، ويرى الجاحظ أنه تشبه بملوك الفرس والبيزنطيين، فحول الخلافة إلى ملك كسروي، وعصب قيصري<sup>(١)</sup>.

وساعد على هذه المأثم من وعاظ السلاطين أبو هريرة المدوسي، فاخذ يتزلف لمعاوية والحكم الأموي بما يقر به إليهم من المديح والاطراء، ومنها أنه نظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة - وكانت مشهورة بالجمال الفائق - فقال: سبحان الله! ما أحسن ما هذاك أهلك! (والله) ما رأيت وجها أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله<sup>(٢)</sup>.

هذا بعض حال معاوية ويزيد، وأما حال غيرهما من طغاة بني أمية، فاستعرض بعضاً منها محمد بيومي مهران، حيث قال:

(١) وإليك حراً موجزاً لسيرة يزيد، وما ينصف به من القابليات الشخصية التي عجت بلمها كتب التاريخ من يومه حتى يوم الناس هذا، وفيما يلي ذلك. ولادة يزيد: ولد يزيد سنة (٢٥) أو (٢٦)هـ وقد دعت الأرض شلة من نار جهنم وزفيرها تحوط به عاترة سوء وغضب من الله، وهو أغضب أناس وجد في الأرض، فقد خلق للجريمة والإساءة إلى الناس، وأصبح علماً للانحطاط الخلقي والظلم الاجتماعي وعنواناً بتقضا للاحتناء على الأمة وقهر أراقتها في جميع المصور، يقول الشيخ محمد جواد مغنية: «أما كلمة يزيد، فقد كانت من قبل اسماً لابن معاوية، أما هي الآن عند الشيعة فإنها رمز للفساد والاستبداد، والتهتك والخلاعة وعنوان للزندقة والالحاد، فحيث يكون الشر والفساد فثم اسم يزيد، وحيثما يكون الخير والحق والعدل فثم اسم الحسين». وقد أثر عن النبي ﷺ أنه نظر إلى معاوية يتجشع في بركة حبرة وينظر إلى حلقه فقال ﷺ: أي يوم لأمي منك، وأي يوم سوء لفرقتي منك من جرو يخرج من صلبك، يتخذ آيات الله عزوا ويستعمل من حرمتي ما حرم الله عز وجل». (حياء الإمام الحسين ﷺ، للشيخ باقر شريف القرشي ٢: ١٧٦ - ١٨٠).

(٢) شيخ المضيرة أبو هريرة - لمحمود أبو رية: ٢٣٥.

وأما عبد الملك بن مروان فقد كان طاغية جباراً، لا يبالي بما يصنع، وهو القاتل - بعد أن ولي الخلافة - وكان يقرأ في مصحف: هذا فراق بيني وبينك، وقيل: أنه قال: هذا آخر العهد بك، ثم هو الذي خطب الناس فقال: لا يأمرني أحد بتقوى الله، بعد مقامي هذا، إلا ضربت عنقه، ثم هو القاتل: لا أداوي هذه الأمة إلا بالسيف، وهو القاتل: وإنني لست بالخليفة المستضعف (يعني عثمان) ولا الخليفة المذاهن (يعني معاوية) ولا الخليفة المأفون (يعني يزيد بن معاوية).

وفي عهده ظهر الحجاج الثقفي لينشر الخراب والقتل في كل مكان باسم الأمويين، وعبد الملك هذا - كما يقول السبوطي - أول من غدر في الإسلام، وأول من نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء، وأول من نهى عن الأمر بالمعروف، وأما الوليد فكان فاجراً ماجناً فاسقاً، حتى اشتهر بلقب (خليع بني أمية)، بسبب ولعه بالنساء وحتى اتهم بالتحرش الجنسي بأمهات أولاد أبيه، وحتى أن رأسه - بعد أن طيف بها على رمح في دمشق - دفعت إلى أخيه سليمان، فلما نظر إليها قال: بعداً له، أشهد أنه كان شروباً للخمر، ماجناً فاسقاً، ولقد راودني في نفسي الفاسق.

### و - شيوخ شرب الخمر والفسق والفجور:

ولعل أول من شرب المسكر من الخلفاء، إنما هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فقد روي أنه كان لا يمسي إلا سكراناً، ولا يصبح إلا مخموراً، فليل له (يزيد الخمر).

وكان عبد الملك بن مروان يشرب في كل شهر مرة، حتى لا يعقل: أهني السماء أو في الماء؟ وكان يقول: إنما أقصد من هذا إلى إشراق العقل، وتقوية منه الحفظ، وتصفية موضع الفكر، غير أنه إذا بلغ آخر

الشراب - أو السكر - أفرغ ما كان في بطنه حتى لا يبقى في أعضائه منه شيء.

وأما ولده الوليد بن عبد الملك فكان - فيما روي - يشرب يوماً، ويدع يوماً، واعتاد هشام بن عبد الملك الشرب يوم الجمعة من بعد الصلاة.

وأما الوليد الثاني فقد بز الجميع في الشراب والتهتك، وقد حكى أنه اتخذ بركة في قصرة، فكان يملؤها خمراً، ثم ينزع ثيابه ويفتسل فيها، ويشرب منها، ويظل كذلك حتى يظهر التقص في البركة، وكان يقضي معظم أيامه في قصوره في البادية، في قريتين تقعان في منتصف الطريق بين دمشق وتدمر.

وقد أورد صاحب الأغاني خبراً بصور مجلساً من مجالس شربه، رواء شاهد عيان، ووصف فيه ما كان يمارسه هذا الخليفة من التهتك والمجون. ولم يكتف ملوك بني أمية بالشراب، بل استهواهم الغناء والموسيقى وبعض ضروب الرقص، فإذا كان الخليفة ممن لا يريد أن يشهر عنه ذلك، جعل متارة بينه وبين الندماء، ولم يكن الوليد الثاني ممن يتحاشى الرفث والمجون.

### ز - إشاعة الطرب والغناء في الحرمين:

وكان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أول من سن الملاهي، واستجلب المغنين إلى الشام، وكان شاعراً، فجعل يقيم الحفلات الكبرى في بلاطه، ومن ثم فقد أصبح الغناء والشراب صنوئين متآلفين في تاريخ الدولة الإسلامية، وقد شمل عبد الملك بن مروان برعايته (ابن مسجيع) من مغني الحجاز، واستقدم ولده الوليد (ابن شريح) و(معبداً) إلى دمشق،



واحتفى بهما، ثم أعاد الوليد الثاني الشعر والموسيقى إلى البلاط، بعد أن حال دونهما الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز. هذا وقد شاع الغناء في عهد ملوك بني أمية شيوعاً عظيماً، وعظم الشغف به في حواضر الدولة الإسلامية، حتى يزور مخن مثل (حنين) - الحيري النصراني، وكان يعيش في العراق - يزور المدينة، ويستمع الناس في أحد منازل المدينة، ويزدحمون على السطح ويكثرون لسمعه، فيسقط الرواق على من تحته، ويموت المغني (حنين) (حوالي عام ٧٢٠ م) - على أيام يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ = ٧٢٠ - ٧٢٤ م). تحت الهدم.

ويقول الدكتور أحمد أمين: واجتمع في زمن واحد من مشهوري المغنين والمغنيات في الحجاز: جميلة وهيت و(طويس) (٦٣٢ - ٧١٥ م) و(الدلالا) و(برد الفزاد) و(نومة الضحى) و(رحمة) و(هبة) و(معبد) (ت: ٧٤٣ م) و(مالك) و(ابن عائشة) و(نافع بن ظنيرة) و(هزة الميلاء) و(حبابة) و(سلامة) و(بليلة) و(لذة العيش) و(معبدة) و(الزرقاء)... الخ، ويرون أن هؤلاء حجوا فتلقاهم في مكة (سميد بن مسجع) (ت: ٧١٤ م)، و(ابن شريح) (٦٣٤ - ٧٢٦ م) و(الفريضي) - واسمه عبد الملك - و(ابن محرز) (ت: ٧١٥ م)، وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى حسن هيتهم. هذا وقد اشتهر (يزيد بن عبد الملك) باللهو والخلاعة، والتشبيب بالنساء، كما كان يبالغ في المجون بحضرة الندماء، كما سوى بين الطبقة العليا والسفلى، وأذن للندماء في الكلام والضحك والهزل في مجلسه، فلم يتورعوا عن الرد عليه، وحذا حذوه ولده الوليد<sup>(١)</sup>.

(١) الإمامة وأهل البيت - لمحمد بيومي مهران ٢: ٥٩ - ٦٢.

## ح - ترويح وتأييد الفرق الكلامية المنحرفة :

عمد بنو أمية في عصر الإمام السجاد إلى ترويح الفرق الكلامية المنحرفة بغية إيجاد التفرقة في اوساط المسلمين والهائمهم بالمجادلات الكلامية نصرهم عن التفكير السليم والعمل على سلامة وأمن المجتمع الإسلامي، فظهرت المرجئة<sup>(١)</sup> والقدرية<sup>(٢)</sup> ونجم قرن الخوارج<sup>(٣)</sup>

(١) المرجئة: هم المعتقدون بأن الإيمان لا يضره المعصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، سمو بذلك، لاعتقادهم أن الله تعالى أرجأ عليهم أي أخره عنهم، وعن ابن قتيبة: هم الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل. وفي الاخبار: المرجئي يقول: من لم يعمل ولم يهضم ولم يقتل عن جناية وهدم الكعبة ونكح أمه فهو على إيمان جبريل وميكائيل، وقيل: هم الذين يقولون: كل الأعمال من الله تعالى، وربما فسر المرجئي بالأشعري. يقال لمن أخر أمراً: أرجأت الأمر يا رجل، فأنت مرجئ قال الله: «أرجه وأخاه أي أخره» وقال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَكَ مِثْرًا لِّقَوْمٍ أَي مَوْخَرُونَ إِلَى مَشِيئِهِ، وَأَمَّا الرِّجَاءُ فَلَمَّا يُقَالُ: مَتَى رَجُوتَ غَائِبًا رَاجَ، فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ الشَّيْءَ رَاجِيَةً إِلَى الْمَرْجِئَةِ وَالْمَرْجِئَةُ هُمُ الَّذِينَ أَخْرَجُوا الْأَعْمَالُ، وَلَمْ يَحْتَسِبُوا مِنْ فَرَاقِ الْإِيمَانِ، وَقَدْ لَعَنَهُمُ النَّبِيُّ لِمَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ. وَفِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ - العلامة المجلسي ٢٣: ١٨ - ١٩: المرجئة: فرقة من المخالفين يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، سموها مرجئة لأنهم قالوا: إن الله أرجأ عليهم على المعاصي، أي أخره، وقد يطلق على جميع العامة لتأخيرهم أمير المؤمنين عليه السلام من درجته إلى الرابع، والمحرورية: طائفة من الخوارج نسبوا إلى المحرورية موضع قرب الكوفة كان أول اجتماعهم فيه. وفي الكافي والكشي: والقدرية: وقد يطلق على الجبرية والمفوضة كما مر.

(٢) القدرية: وهم غائلون: أن كل أفعالهم مخلوقة لهم وليس لله تعالى فيها قضاء ولا قدر، وفي المصنوع: لا يدخل الجنة قدرية، وهم الذين يقولون: لا يكون ما شاء الله ويكون ما شاء إبليس وربما فسر القدرية بالمعتزلي. نقل ذلك صاحب مسهب المقال من الوحيد فدمس سره.

(٣) الخوارج: هم الذين خرجوا على علي عليه السلام وللفرق الثلاثة أبحاث ضائعة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبخاري فليراجع.

والوعيدة<sup>(١)</sup> والجبرة<sup>(٢)</sup> وغيرهم.

(١) الوعيدية: فرقة من الخوارج يكفرون أصحاب الكبار، والكيرة عندهم كفر يخرج به عن السنة، ويقابلهم المرحمة وهم يقولون: إنه لا يضر مع الإيمان مصيبة كما لا ينفع مع الكفر طاعة وليس العمل على مذبيهم وكنا من الإيمان فعلية معنى الأرجاء تأخير العمل عن التوبة والمغفرة. وقيل: الأرجاء تأخير صاحب الكيرة إلى القيامة فلا يقضى بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار، ويقابلهما القائلون بالمنزلة بين المنزلتين وهم الواصلية أصحاب أبي حنيفة وأصل بن عطاء البصري الغزال التكلم المتوفى في ١٣١، وواصل أول من قال بالمنزلة بين المنزلتين، وأراد بذلك أن صاحب الكيرة لا مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل هو في منزلة بين الكفر والإيمان وذلك أن الإيمان عبارة عن خصال غير إذا اجتمعت سمى المرء مؤمناً، والفاقد لم يستجمع خصال الخير فلا يسمى مؤمناً، وليس بكافر مطلق أيضاً لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه.

(٢) إن عقيدة الجبر هي من بقايا عقائد أهل الكتاب، وقد صرح بها كتبهم المحرقة بصورة واضحة، فراجع: التوراة، والتلمود، والإنجيل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْيَهُودُ اشْرِكُوا بِآلِهِنَا لَقَدَّمَا مَعَنَا بَنُوهُمْ مِنْ تَوَحُّدِنَا وَلَا تَحْشَرْنَا فِي دُفُنِهِمْ فَذُوقُوا عَذَابَ اللَّهِ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا الْإِلَهُ الْقَبِيلَةُ﴾. وقد كان سكان الجزيرة على احتكاك متواصل باليهود، الذين يعتنقون بالجبر، وبخصوصاً الفريسيين منهم، فقد كان: «الفريسيون من اليهود لا يرون للإنسان إرادة، ولا اعتباراً، ولا تأثيراً، ولا جزءاً كسبياً، ولذا لا يرونه جنيراً بالمعصية والثناء، لأن فعل الله فعل يده، الأحكام ومقولة الجبر: وقد راققت مقولة الجبر الإلهي هذه للملك والمسلطين، فسحروا إلى نشرها، وختموا الناس عليها، لأن هذه العقيدة تجعل الناس يستكينون لحكمهم، ويخضعون لسلطانهم، مهما صدر منهم من ظلم وعسف، وبه يبررون للناس كل ما ارتكبوه من جرائم وموبقات، وهم يفرضون على الناس من خلال هذه العقيدة كل ما يحلو لهم، أو يخطر على بالهم، وبه احتج معاوية لصحة ما أقدم عليه من فرض ولده يزيد المجرم والطاغي والفاقد، على الناس من بعده، فقد قال لعائشة تارة ولابن عمر أخرى: «وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء، وليس للعباد غيرة في أمرهم». واحتج به عمر بن سعد «لعله الله»، لفته الإمام الحسين عليه السلام، فقد قال له ابن مطيع: اخترت ممدان والرأي على قتل ابن عصف ١٩ فقال عمر بن سعد «لعله الله»: كانت أموراً قضيت من السماء. وقد أطلعت إلى ابن عبيد قبل الوقت. وحين ذكرت عائشة لأبي قتادة ما قاله النبي «صلى الله عليه وآله»، في حق الخوارج، وأن الذي يقتلهم أحبهم إليّ، أحبهم إلى الله. فقال لها أبو قتادة: يا أم المؤمنين، فأنت تعلمين هذا ظم كان منك ١٩ قالت: يا أبا قتادة! ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِمَّنْ كُفِرُوا بِهِمْ﴾. فهي تبرر حرب الجمل وقتل المئات أو الألوف من المسلمين بالقدر».

«الإلهي»! وحين سألت أم الحارث الأنصارية عمر بن الخطاب عن سبب فراره يوم حنين، قال: أمر الله. وأجاب نسيبة بنت كعب المازنية بملك أهدأ، وكذا الحال بالنسبة لأي فتاة الأنصاري. وبهذه العقيدة استدلل خالد بن الوليد لقتل مالك بن نويرة، ويرد بها حسان نمسكه بالحكم إلى أن قتل، ويرد بها معاوية والمتصور منع الناس حقوقهم في بيت مال المسلمين.. وبها يرد عمر بن الخطاب تمزيقه لكتاب كان قد كتبه في إرث الجفلة. (الصحيح

من سيرة النبي الأعظم ﷺ - السيد جعفر مرتضى العاملي ٢٨: ١٩٥، ١٩٨).  
والجبرية نشروا في الناس الكثير من الأمور التي يابها العقل والوجدان، والقطرة، وتخالق القرآن. مثل: نفي عصمة النبي «صلى الله عليه وآله» إلا في التبليغ، عقيدة الجبر، التجسيم والنسبية، لزوم الخضوع للحاكم الظالم، والمنع من الاعتراض عليه، غير ذلك من أمور ادخلوها في عقائد المسلمين، وفي تاريخهم، وهي مأخوذة في الأكثر من أهل الكتاب (الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ - السيد جعفر مرتضى العاملي ١: ٢٧٠).

وروي عن أبي عبد الرحمن بن يزيد القهري - يقال: اسمه كرز - قال: كنت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حنين في يوم فائظ شديد الحر، فزلنا تحت ظلال الصمر، فلما زالت الشمس لمست لأمي، وركبت فرسي، فأتي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في مضطاط، فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمته. الرواح قد حان، الرواح يا رسول الله. قال: أجل. ثم قال رسول الله: «يا بلال! فأمر من تحت سرة كأن ظله طاف، فقال: ليك وسعدك، وأنا هنا». قال: «أسرج لي فرسي». فأناء بسرج دقناه من ليف ليس فيهما أثر ولا بطر، فركب فرسه، ثم سرنا يومنا، فلقينا العدو، ونشامت الغيلان، فقاتلناهم، فلوئى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى. فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذا النص ما يوجب الإشكال سوى التعبير بكلمة: «الفرسي»، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» كان في حنين يركب بقله لا فرساً كما هو معلوم.

أسباب الهزيمة عند عمر بن الخطاب: والتفسير الذي له دلالاته وغاياته هو تفسير عمر بن الخطاب للهزيمة. فقد قال بعض من حضر تلك الواقعة: «وانهزم المسلمون، فانهمزت معهم، فلما يصر بن الخطاب، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله. ثم تراجع الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله». كما أن أم الحارث الأنصارية قالت لعمر بن الخطاب حين مر عليها: يا عمر، ما هذا؟ قال: أمر الله تعالى. ونقول: إن لنا على هذا النص العديد من الملاحظات، نفكر منها: ١ - إن هذا الذي انهزم مع الجياعة، لم يرض أن ينسب لفقه المشاركة في الهزيمة، فلم يقل: انهزم الناس وانهمزت معهم. بل قال: «انهزم الناس، فانهمزت معهم». فاستعمل الفاء بدلاً من الواو، وكأنه يريد الإيهام بأنه لم يكن يريد هذا الأمر، ولا شارك فيه، بل هم الذين انهزموا، فنجبهم. لأنهم قد اضطروا»

ومن أخطر ما روج له الأمويون الجبرية، فقد جعلوا عقيدة الجبر - الواضح لكل أحد زيفها وسخفها - من العقائد الدينية الإسلامية، من أجل أن يسهلوا على أولئك الحكام استغلال الناس، ولكي يوفروا لهم حماية لتصرفاتهم تلك. التي يندى لها جبين الإنسان الحر المأً وعجلاً، إذ أنهم يكتنون بذلك قد جعلوا كل ما يصدر منهم هو بقضاء من الله وقدره، ولذا غلبس لأحد الحق في أن يشكر عليهم أي تصرف من تصرفاتهم، أو أي جناية من جناياتهم. وكان قد مضى على ترويضهم هذه العقيدة المبتدعة - حتى زمان العأمون - أكثر من قرن ونصفاً، أي من أول خلافة معاوية، بل وحتى قبل ذلك أيضاً. بزمان طويل عقيدة الخروج على سلاطين الجور<sup>(١)</sup>.

### ط - العمل على تجويع الأمة على حساب رفاء أهوان الحكام:

قام عمال بني أمية بتبذير بيت المال وصرفه في مصالحهم الشخصية وبذل الأموال الطائلة على من يعاضدهم ويؤيد سلطانهم تاركين المسلمين في الفقر المدقع، قال أبو الفرج الأصفهاني: أخبرني الحرثي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عبد الرحمن بن عبدالله الزهري قال:

«إلى ذلك.. ٢ - إن كلام عمر يشير: إلى أن الناس لا فنب لهم في هذه الهزيمة، لأن الله تعالى هو الذي فعل ذلك بهم، فإن كان ثمة من اعتراض، فلا بد أن يوجه إليه تعالى، لا على المتهمين. وبذلك يكون قد برأ نفسه من عار الهزيمة، وسلم من نياتها.. ٣ - لم يقدم عمر دليلاً على ما يدّعيه من أن أمر الله هو السبب فيما حصل.. إلا أن من الواضح: أنه اعتمد على عقيدة الجبر الإلهي، وقد قلنا أكثر من مرة: أن هذه العقيدة من بقايا عقائد المشركين، والظاهر أنهم أخذوها من اليهود. (الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ)، للسيد جعفر مرتضى العاملي ٢٤: ١٣٤ - ١٣٦).

(١) الحياة السياسية للإمام الرضا ﷺ - للسيد جعفر مرتضى العاملي: ٣١١.

حدثني عمر بن موسى بن عبد العزيز قال: لَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ  
بِئْتِ إِلَى الْأَحْوَصِ، فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ، فَأَكْرَمَهُ وَأَجَازَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَلَمَّا  
قَدِمَ قَبَاءَ صَبَّ الْمَالُ عَلَى نَطْعٍ وَدَعَا جَمَاعَةً مِنْ قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنِّي قَدْ  
عَمِلْتُ لَكُمْ طَعَامًا. فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ كَشَفَ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْمَالِ، وَقَالَ:  
﴿أَقْبِرُوا هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال أبو الفرج الأصفهاني:

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ قَالَ: كَتَبَ  
إِلَيَّ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوَصَّلِيُّ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ حَدَّثَهُ عَنْ غَيْرٍ وَاحِدٍ مِنْ  
أَهْلِ الْمَدِينَةِ: أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ الْأَحْوَصَ وَصَلَهُ بِمِائَةِ  
أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ يَرْجُو أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ قَدْ عَوَّدَهُ مِنْ كَانَ  
قَبْلَ يَزِيدَ مِنَ الْخُلَفَاءِ أَنْ يُلْقَى عَلَيْهِمْ بِيُوتِ الشَّعْرِ وَيَسْأَلُهُمْ عَنِ الْمَعَانِي.  
فَالْقَى عَلَى يَزِيدَ بَيْنَا وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا يَعْنِي الشَّمَاخُ بِقَوْلِهِ:

فَمَا أَرَوِي وَإِنْ كَرِهْتِ حَلِينَا      بِأَدْنَى مِنْ مَوْغِنَةِ حُرُونِ  
تَطِيفَ عَلَى الرَّمَاةِ فَتُثْقِلُهُمْ      بِأَوْهَالِ مَمْطِنَةِ الْقُرُونِ

فَقَالَ يَزِيدُ: وَمَا بَصُرَ يَا مَاصٍ بِظَرِّ أَمِّهِ أَلَّا يَعْلَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا!  
وَإِنْ أَحْتَاجَ إِلَى عِلْمِهِ سَأَلَ عَبْدًا مِثْلَكَ عَنْهُ! فَنَدِمَ كَثِيرٌ وَسَكَنَتْ مِنْ حَضَرٍ  
مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ قَدْ عَوَّدَهُ مِنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْخُلَفَاءِ أَنْ يُلْقَى  
عَلَيْهِ أَشْبَاءُ هَذَا، وَكَانُوا يَشْتَهَوْنَهُ مِنْهُ وَيَسْأَلُونَهُ إِيَّاهُ؛ فَطَفِئَ عَنْ غَضَبِهِ.  
وَكَانَتْ جَائِزَتُهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَكَانَ يَطْمَعُ فِي أَكْثَرٍ مِنْ جَائِزَةِ الْأَحْوَصِ<sup>(٢)</sup>.

(١) الْأَخْبَانِي - لَأَمِي الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِي ٤ : ٤٢٩، وَالْآيَةُ مِنْ سُورَةِ الطُّورِ ٥٧ : ١٥.

(٢) الْأَخْبَانِي - لَأَمِي الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِي ٩ : ١١٨.

وقال المدائني: فلبت حباية على يزيد وتبنى بها عمر بن هبيرة، فعلت منزلته حتى كان يدخل على يزيد في أي وقت شاء... وحمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل حباية... فلم تزل حباية تعمل له في العراق حتى وليها<sup>(١)</sup>.



(١) الأغانى للأصفهاني ١٥ : ٩٩، وقال الأصفهاني: أراد يزيد بن عبد الملك أن يشبه بعمر بن عبد العزيز... فشق ذلك على حباية... فدمت حباية إلى الأحوص أن يقول أيتها... ومكث جمعة لا يرى حباية... ففتت البيت الأول... ثم غنت: وما العيش إلا ما نلذ وتشتهي، فمدل إليها وقال: صدقت والله فصح الله من لامي إليك... وأقام معها يشرب وتغني وهاد إلى حاله... وقال عمر بن شبة... فقال يزيد: صدقت والله فعلى مسلمة لعنة الله.. ثم قال لها: من يقول هذا الشعر؟ قالت الأحوص... فكتب إليه في نحو من أربعين ألف درهم... واستأذن الأحوص على يزيد فأذن له... فأنشده... فلما سمعها وثب حتى دخل على حباية وهو يتمثل:

وما العيش إلا ما نلذ وتشتهي      وإن لام فيه ذو الشنان ولشعا  
فأعطاه ألف دينار. (الأغانى للأصفهاني ١٥ : ٩٩، وراجع: تشجيع الخلفاء للشعر والفناء، وناسمهم في انتشار الخمور والمجون، نشر: مركز المصطفى - قم).



## الأساليب القولية للإمام في إصلاح المجتمع

إنَّ سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام جمعت له روح الثورة ضدَّ الظلم والظلمة والتحمس الجهادي إلى جانب المعرفة الإلهية الحقَّة وشدَّة التعلُّد لله جلَّ جلاله، فكانت سيرته عليه السلام توضيحاً للإجابة عن التساؤلات التي تثار عن إمكانية الجمع بين الدعاء والمناجاة من جهة والروح النهضوية والتضحية من جهة أخرى.

وكان الإمام على غزارة علمه متواضعاً رقيقاً مع كل من يعرف ومن لا يعرف، وكم تلقى من إساءات من بعض الحمقى والأغبياء وذوي النفوس المعقدة أو الضمائر العفنة أو ذوي الغفظة، فما قابلها إلا بالابتسام أو بالصبر. كان يمثل قول الله تعالى ﴿وَأَقْرَبُ عَنِ الْكُفْرِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد تكلمنا في البحث السابق عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية وما حصل فيهما من الانحرافات، وفي هذا البحث نذكر أهم مواقف الإمام تجاه كل ما حصل في عصره وأيضاً نشير إلى الطرق التي سلكها

(١) شرح إخطاف الحق ٢٨ : ٤٦٠، والآية من سورة الأعراف ١٩٩: ٧.



الإمام في الإصلاح، ونبدأ: بالإصلاح بوسيلة التخاطب والكلام، فالإمام سلك هذه الطريقة عملاً بالآية الكريمة: ﴿أَنْذِرْ إِنْ سَبِيلَ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فالموعظة الحسنة ترتبط بإصلاح عوام الناس في المجتمع، والحكمة ترتبط بالخواص منهم، والجدال بالتي هي أحسن ترتبط بالمخالفين.

وهذه ثلاثة طرق تبيينها الآية الكريمة، وهي ثلاثة طرق مهمة في إصلاح المجتمع وهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وقد مارسها الإمام إضافة إلى طريقة فريدة سلكها الإمام في الإرشاد وهو طريقة الدعاة. وعليه تكون وسائل الإمام في الإصلاح هي أربعة أنواع، سوف نبينها بالترتيب فيما يلي:

## النوع الأول: الموعظة

إن من الأساليب الناجمة والمؤثرة في إصلاح المفاصل الاجتماعية هو القول المقرون بالعمل وخصوصاً إذا كان نابعا من الصميم، فإن الكلام إذا صدر من القلب وقع في القلب وكم من كلام كان له أثراً أحداً من وقع السيف وضرب السياط!

ولقد مارس الإمام زين العابدين هذه الوسيلة إلى جانب الوسائل الأخرى التي ستذكرها تباعاً فكان له الأثر البالغ في نفوس المخاطبين وصار سبباً لرجوعهم إلى أنفسهم وتصحيح مسيرتهم.

(١) القرآن الكريم، سورة النحل ١٦: ١٢٥.

والوعظ من الأساليب التي أكد عليها القرآن الكريم في دعوة الناس إلى الإصلاح. والإصلاح هو الموعظة الحسنة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾<sup>(١)</sup>، فالموعظة تؤثر في القلب خصوصاً إذا خرجت من القلب.

والموعظة - في اللغة -: هي التضيعة، وما يذكر الإنسان بنتائج عمله.

والموعظة أيضاً هي الوعظ والزجر المقترن بالتحذير كما في مفردات الراغب.

وبالنظر إلى المعنى اللغوي يظهر أن هذه الطريقة تؤثر في تنظيف القلب من دون الذنوب وتوجب طهارته واستعداده لقبول الحق. ومن هنا قال أمير المؤمنين في كتابه لابنه الحسن عليه السلام: احيي قلبك بالموعظة<sup>(٢)</sup>.

والقرآن الكريم هو كتاب موعظة كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال علي عليه السلام: المواعظ صفال النفوس وجلاء القلوب<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا استعمل الإمام السجاد هذه الوسيلة وكانت سيرته على أنواع:

يمكن إجمال الوعظ إلى المتعظ بعدة طرق، منها:

(١) القرآن الكريم، سورة يونس ١٠: ٥٧.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٤) غرر الحكم: ٤١٩١.

## أ - الدعوة إلى التحلي بمكارم الاخلاق:

والصحيفة السجادية مشحونة بالكثير من الفقرات التي تؤكد على ضرورة التحلي بمكارم الاخلاق، منها قول الإمام زين العابدين عليه السلام:  
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَفِّ عَنِّي مَا يَشْغَلُنِي الْإِفْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَفْعِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي خَدَا عَنْهُ، وَاسْتَفْرِغْ أَيْمَانِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلَا تُقْنِنِي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي بِالْكِبَرِ، وَغَبِّضْ لَكَ وَلَا تُقْبِضْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجِرْ لِلنَّاسِ عَلَيَّ يَدَيَّ الْخَيْرِ وَلَا تَحْجُفْ بَالْتَرُّ، وَهَبْ لِي مَنَالِي الْأَخْلَاقِ، وَاغْنِنِي مِنَ الْقَمَرِ<sup>(١)</sup>...

وفي الكافي من كلام الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، ما رواه باسناده عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالله بن غالب الأسدي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يعظ الناس ويזהدهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ عنه وكتب كان يقول: أيها الناس اتقوا الله واعلموا أنكم إليه ترجعون فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً وما عملت من سوء ثود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه، ويحك يا ابن آدم الخافل وليس بمغفول عنه<sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر ما كان يتصف به عليه السلام: الحلم، فكان الإمام من أعظم الناس حلماً، وأكظمهم للفيظ، فمن صور حلمه التي رواها المؤرخون:

(١) الصحيفة السجادية: (دعاء مكارم الاخلاق): ٩٢.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني ٨: ٧٢ - ٧٣.

١ - كانت له جارية تسكب على يديه الماء إذا أراد الوضوء للصلاة، فسقط الإبريق من يدها على وجهه الشريف فشبهه، فبادرت الجارية قائلة: **إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَالْمَكْطُوبِينَ أَلَسَّيْطَ﴾** وأسرع الإمام قائلاً: **«كظمت غيظي»**، وطمعت الجارية في حلم الإمام ونبله، فراحت تطلب منه المزيد قائلة: **﴿وَالْمَافِينَ هَيْنَ الْأَثَابِ﴾** فقال الإمام **«عفا الله عنك»**، ثم قالت: **﴿وَأَقْبَهُ يُحِبُّ التَّغْيِيكَ﴾** فقال **«لها: «افعلي فأنت حرة»<sup>(١)</sup>**.

٢ - سبه لئيم، فأشاح **«بوجهه عنه»**، فقال له اللئيم: **«إياك أعني... وأسرع الإمام قائلاً: «وعنك أغضي...» وتركه الإمام ولم يقابله بالمثل»<sup>(٢)</sup>**.

٣ - ومن عظيم حلمه **«أن رجلاً افتري عليه وبالح في سبه»**، فقال **«لله: «إِنْ كُنَّا كَمَا قُلْتَ فَتَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَمَا قُلْتَ فَغْفِرُ اللَّهَ لَكَ...»<sup>(٣)</sup>**.

## ب - الدعوة إلى الزهد:

قال سعيد بن المسيب: كان علي بن الحسين **«يعظ الناس ويرزقهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد رسول الله ﷺ وحفظ عنه وكتب، وكان يقول: «أيها الناس،**

(١) أمالي الصدوق: ١٦٨، ح ١٢، الإرشاد ٢: ٢٤٦، مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٥٧، تاريخ مدينة دمشق ٣٦: ١٥٥ وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٢٤٠، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٩٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧١، البداية والنهاية ٩: ١٠٥، تهذيب التهذيب ٧: ٢٧٠.

(٣) الإرشاد ١: ١٤٦ عن نسب آل أبي طالب للمصنف في ٢٧٠ هـ.

اتَّقُوا اللَّهَ واعلموا أنكم إليه تُرجعون... يا بن آدم، إِنَّ أَجَلَكَ أَسْرَعَ شَيْءٍ إِلَيْكَ، قَدْ أَقْبَلَ نَحْرُكَ حَتَّى يَطْلُبَكَ وَيُوشِكُ أَنْ يَدْرِكَكَ، وَكَانَ قَدْ أَوْفَيْتَ أَجَلَكَ وَقَبِضَ الْمَلِكُ رُوحَكَ وَصَرَّتْ إِلَى قَبْرِكَ وَحِيداً، فَرَدَّ إِلَيْكَ فِيهِ رُوحَكَ، وَاقْتَحَمَ هَلِيكَ فِيهِ مَلِكٌ نَاكِرٌ وَنَكِيرٌ لِمَسَاءِ لَيْلِكَ وَشَدِيدٌ امْتِحَانُكَ... فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَحِبَّ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَعَاجَلَهَا لِأَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَرْغَبْهُمْ فِيهَا وَفِي عَاجِلِ زَهْرَتِهَا وَظَاهِرِ بَهْجَتِهَا، وَإِنَّمَا خَلَقَ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا لِيَلُوهُمْ فِيهَا أَيَّامٌ أَحْسَنَ عَمَلًا لِآخِرَتِهِ، وَأَيَّامٌ اللَّهُ لَقَدْ ضَرَبَ لَكُمْ فِيهِ الْأَمْثَالَ، وَعَرَّفَ الْآيَاتَ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَازْهَدُوا فِيمَا زَهَّدَكُمْ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ مِنْ عَاجِلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا رُكُوبٌ مِنْ اتَّخَذَهَا دَارَ قَرَارٍ وَمَنْزِلَ اسْتِيطَانٍ، فَإِنَّهَا دَارُ بُلْغَةٍ، وَمَنْزِلُ قُلْعَةٍ، وَدَارُ عَمَلٍ، فَتَزَوَّدُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِيهَا قَبْلَ تَفَرُّقِ أَتْيَائِهَا، وَقَبْلَ الْإِذْنِ مِنَ اللَّهِ فِي خَرَابِهَا... جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي عَاجِلِ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، الرَّاهِبِينَ لِأَجْلِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَهُ...»<sup>(١)</sup>.

وفي الكافي أيضاً: قال أبو حمزة: كَانَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِذَا تَكَلَّمَ فِي الزَّهْدِ وَوَضَعَ أَيْكُنَ مِنْ بَحْضَرَتِهِ، قَالَ أَبُو حَمْزَةَ: وَقَرَأْتُ صَحِيفَةً فِيهَا كَلَامُ زَهْدٍ مِنْ كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَكُتِبَتْ مَا فِيهَا ثُمَّ أَتَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَعَرَضْتُ مَا فِيهَا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُ وَصَحَّحَهُ وَكَانَ مَا فِيهَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كَفَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ كَيْدَ الظَّالِمِينَ وَيَغِي الْحَاسِدِينَ وَيَطْشُ الْجَبَّارِينَ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَا يَفْتَنَنَّكُمْ الطَّوَاغِيتُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِنْ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْمَائِلُونَ إِلَيْهَا،

(١) الكافي: ٨: ٧٢ - ٧٦، تحف العقول: ٢٤٩ - ٢٥٢.

المفتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد وهشيمها البائد غداً واحلروا ما حذرکم الله منها وازهدوا فيما زهدکم الله فيه منها<sup>(١)</sup>...

### ج - تنوير العقول وتوجيه الناس لمعرفة الحقائق:

كان الإمام عليه السلام حريصاً على تنوير العقول وإيقاظها من سباتها فيما حاول الأعداء نعميته عليهم، بالخطب الفاضحة للنظام الحاكم، وإيصال الحقيقة إليهم بشتى الطرق ليكونوا على بصيرة مما يجري حولهم ويمكنهم تمييز الحق من الباطل بالتأمل في الأحداث والوقائع، وإليك بعض النماذج مما قاله الإمام في هذا المجال:

١ - بلغ عليه السلام كلام نافع بن جبير في معاوية قوله: «إنه كان يسكنه العلم وينطقه العلم»، فقال عليه السلام: بل كان ينطقه البطر ويسكنه الحصر<sup>(٢)</sup>.

٢ - ومن مظاهر ذلك أيضاً ما نقله المؤرخون: أنه عندما كان في الشام وواجه شيخاً شامياً دنا من الإمام السجاد عليه السلام عند دخول سبایا آل محمد عليه السلام الشام وقال له: «الحمد لله الذي قتلکم وأهلكکم وأراح البلاد من رجالکم وأمكن أمير المؤمنين منکم».

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا شيخ، أقرأت القرآن؟

قال: بلى.

(١) الكافي: ٨: ١٤.

(٢) كنز الفوائد - أبي الفتح الكراجكي: ١٩٥، وبعار الأنوار - العلامة المجلسي: ٣٢: ٢١٩. ٢٢٠. والحصر - بالتحريك -: المي.

قال عليه السلام: «فهل عرفت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَتْلُوهُ بِحُجْرٍ إِلَّا أَمْرًا﴾ في القرآن؟»<sup>(١)</sup>

قال الشيخ: قد قرأت ذلك.

فقال له علي عليه السلام: فنحن القري، يا شيخ!

فهل قرأت في بني إسرائيل ﴿وَمَكَتْ فَالْقُرْآنَ حَقًّا﴾؟<sup>(٢)</sup>

فقال: قد قرأت ذلك.

قال علي عليه السلام: فنحن القري، يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ عَسَافَ تَنصَحُوا فَإِنَّ بِلَهُ مُخَسَّمٌ فَلَا تُسَلِّمُوا وَلَقَدْ أَلْفَسْنَا﴾؟<sup>(٣)</sup>

قال: نعم.

فقال له علي عليه السلام: فنحن القري، يا شيخ، ولكن هل قرأت ﴿إِنَّا

يُرِيهِ اللَّهُ يُدْهِبُ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُهُمْ تَطْهِيرًا﴾؟<sup>(٤)</sup>

قال: قد قرأت ذلك.

قال علي عليه السلام: فنحن أهل البيت الذين اختصنا الله بآية الطهارة يا

شيخ.

قال: فبقي الشيخ ساكناً نادماً على ما تكلم به، وقال: بالله إنكم

هم!؟

(١) القرآن الكريم، سورة الشورى ٤٢: ٢٣.

(٢) القرآن الكريم، سورة الاسراء ١٧: ٢٦.

(٣) القرآن الكريم، سورة الانفال ٦: ٤١.

(٤) القرآن الكريم، سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: نالته إنا لنحن هم من غير شك وحقاً  
جدُّنا رسول الله صلى الله عليه وآله إنا لنحن هم.

فيكي الشيخ ورعى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم  
إنِّي أبرأ إليك من عدو آل محمد <sup>(١)</sup>.

٣ - وذكر المؤرخون أنه لما قدم علي بن الحسين عليه السلام وقد قُتل  
الحسين بن علي عليه السلام استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقال: يا  
علي بن الحسين، من غلب؟ وهو مغفَّر رأسه وهو في المحمل، فقال له  
علي بن الحسين: إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذن  
ثم أقم <sup>(٢)</sup>.

لقد كان جواب علي بن الحسين عليه السلام أنَّ الصراع إنما هو على الدين  
الذي تتجلى مظاهره في الأذان وتكبير الله تعالى والإقرار بوحديته،  
وليس الصراع صراعاً على الحكم والسلطان، وأنَّ استشهاد الحسين  
والصفوة من أهل بيته وأصحابه هو سبب بقاء الإسلام المحمدي وثباته  
أمام جاهلية بني أمية وعتوها وطفغانها وطفغان من حذا حدوهم ممن لم  
يذوقوا حلاوة الإيمان والإسلام.

٤ - قال طاووس: رأيت رجلاً يصلي في المسجد الحرام تحت  
الميزاب ويدهو ويكي في دعائه، فثبته حين فرغ من صلاته، فإذا هو  
علي بن الحسين عليه السلام، فقلت له: يا ابن رسول الله، رأيتك على حالة

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٦١، اللؤلؤ على نثر الطوف: ١٠٠، مقتل المرقم: ٤٤٩ من  
تفسير ابن كثير والآلوسي، لوائح الأشجان: ٢١٩، كتاب الفروع ٥: ١٣٠، مع اختلاف

يسير.

(٢) أمالي الطوسي: ١٧٧.



كذا، ولك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدهما: أنك ابن رسول الله ﷺ، والثانية: شفاعه جذك، والثالثة: رحمة الله. فقال: يا طاووس، أما أني ابن رسول الله ﷺ فلا تؤمنني، وقد سمعت الله يقول: ﴿فَلَا أَتُكَلِّمُ الْيَهُودَ﴾<sup>(١)</sup> وأما شفاعه جذي فلا تؤمنني، لأن الله يقول: ﴿وَلَا يَتَّقُونَ إِلَّا لِي﴾<sup>(٢)</sup> وأما رحمة الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ولا أعلم أني محسن<sup>(٤)</sup>.

٥ - وقال طاووس الفقيه: رأته يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبد، فلما لم ير أحدا رمق السماء بطرفه وقال: إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحات للسائلين، جنتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جذي محمد في عرصات القيامة ثم بكى وقال: وعزتك وجلالك ما أردت بمصيبي مخالفتك. وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سولت لي نفسي وأعانتني هلئ ذلك سترك المرعى به علي، فأنا الآن من عذابك من يستغذني، ويحب من اعتصم أن قطعت حبلك عني، فوا صرأناه غدا من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين خطوا، أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أخط؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما أن لي أن استحي من ربي؟ ثم بكى، ثم أنشأ يقول:

(١) القرآن الكريم، سورة المؤمنون ٢٣: ١٠١.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنبياء ٣١: ٢٨.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ٥٦، والآية هكذا ﴿إِنْ رَأَيْتَكَ أَهْوَيْتَ مِمَّنْ الشَّيْبَةِ﴾.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٦: ١٠١ - ١٠٢، ج ٨٩، عن كشف الغمة ٢: ٣١٥.

أنحرفني بالنار يا حاية النملى      لأبن رجائي ثم أبن محبتي  
 أصبحت بأصمكال فباح ردي      وما في الورى خلق جنى كجنايتي  
 ثم بكى وقال: سبحانك تعصى كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم  
 تعصى، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت يا  
 سيدي الغني عنهم.

ثم خر إلى الأرض ساجدا فدنوث منه وشلت رأسه ووضعت على  
 ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده فاستوى جالسا وقال: من ذا  
 الذي أشغلني عن ذكر ربي؟ فقلت: أنا طاوس يا ابن رسول الله، ما هذا  
 الجزع والفرع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن حاصرون جافون.  
 أبوك الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله؟ قال:  
 والتفت إلي وقال: هيهات هيهات يا طاوس، دع حني حديث أبي وأمي  
 وجددي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان حبشيا وخلق النار  
 لمن عصاه ولو كان سيذا قرشيا، أما سمعت قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا  
 نُوحًا فَإِذَا أَسْلَبَ يَنْتَهَرُ يَوْمَهُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُ﴾<sup>(١)</sup> والله لا ينفعك غدا إلا مقدمة  
 تقدمها من عمل صالح<sup>(٢)</sup>.

إنَّ اشتهار الإمام بلقب زين العابدين وسيد الساجدين مما يشير إلى  
 وضوح عنصر الإنابة إلى الله، والانقطاع إليه في حياة الإمام وسيرته  
 وشخصيته.

على أنَّ أدعية الصحيفة السجادية هي الدليل الآخر على هذه

(١) القرآن الكريم، سورة النوح: ٢٣: ١٠١.

(٢) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٣: ٢٩١ - ٢٩٢.

الحقيقة، فإن إلقاء نظرة سريعة وخاطفة على عناوين الأدعية يكشف لنا مدى التجاهل للإمام إلى الله في شؤون حياته، فما من موقف إلا وللإمام فيه دعاء وابتهاال ونضج، هذا فضلاً عن مضامين الأدعية التي يكاد ينفرد بها هو عليه السلام في الصحيفة المعروفة وغيرها، لقد ذاب الإمام في محبة الله وأخلص له أعظم الإخلاص، وقد انعكس ذلك على جميع حركاته وسكناته.

وعن الكافي: أبو علي الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي بن مهزيار عن فضالة، عن معاوية بن صابر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: إني لأحب أن أقدم على العمل وإن قل<sup>(١)</sup>.

وعن الكافي بالاسناد عن فضالة. عن العلاء، عن محمد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: إني لأحب أن أقدم على ربي وعلمي مستر<sup>(٢)</sup>.

٦ - ومن خطبه الفاضحة للنظام عند دخوله المدينة النورة - على ما رواه ابن نما الحلبي في «مثير الأحزان»، عن بشير بن حدلم -، قال: فلما قربنا من المدينة نزل علي بن الحسين عليه السلام فحط رحله، وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: يا بشير! رحم الله أباك فقد كان شاعراً، فهل تقدر علي شيء منه؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله، إني لشاعر.

قال: فادخل المدينة وانع أبا عبدالله.

(١) الكافي ٢: ٨٢.

(٢) الكافي ٢: ٨٣.

قال بشير: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي ﷺ رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يشرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدعني ملء  
الجسم منه بكرملاء مفرج والرأس منه على القنأ يدار

قال: ثم قلت: هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا  
باحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم اهرفكم مكانه.

فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برز من غدوره من  
مكشوفة شعوره من مخشدة وجوههن، ضاربات غدوده من، يدهون بالويل  
والشور، فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم ولا يروا أمر علي المسلمين  
منه، وسمعت جارية تنوح على الحسين فتقول:

نعم سيدي ناع ناع فأوجعا وأمرضني ناع ناع فأفجعا  
لعميتي جوداً بالدموع وأسكبا وجوداً بدمع بعد دمكما معا  
علي من دمي عرش الجليل فزعزعا فأصبح هذا المجد والدين أجدها  
علي ابن نبي الله وابن وصيه وإن كان هنا شاحط الدار أنسما

ثم قالت: أيها الناعي جددت حزننا بأبي عبدالله، وحدثت منا  
فروحا لما تتدمل، فمن أنت رحمتك الله؟

فقلت: أنا بشير بن حذلم، وجهني مولاي علي بن الحسين عليهما  
الصلوة والسلام، وهو نازك في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبدالله  
ونسائه.

قال: فتركوني مكاني وبادروا، فضربت فرسي حتى رجعت إليهم،  
فرجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنزلت عن فرسي وتخطيت  
رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط، وكان علي بن الحسين ﷺ

داخلا، ومعه خرقه يمسح بها دموعه، وخلفه خدام معه كرسي فوضعه له وجلس عليه، وهو لا يتمالك من العبرة وارتفعت أصوات الناس بالبكاء، وحنين الجوّاري والنساء، والناس من كل ناحية يعزونه فضجت تلك البقعة ضجة شديدة، فأوماً بيده أن اسكتوا، فسكنت قورتهم فقال عليه السلام:

الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين بارئ الخلاق أجمعين، الذي بعد فارتفع في السماوات العلّٰى، وقرب فشهد النجوى، نحمد، على عظام الأمور، وفجائع الدهور، وآلم الفجائع، ومطاحنة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاعلة الكائنة الفادحة الجائحة.

أيها الناس، إنّ الله - وله الحمد - ابتلانا بمصائب جليّة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبدالله الحسين عليه السلام وعترته وسُبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق حامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيها الناس، فأَيُّ رجالٍ منكم يَمْرُون بعد قتلِه ١٩ أم أَيُّ فؤاد لا يحزن من أجلِه ١٩ أم أَيْة عين منكم تحبس دمعها وتضن<sup>(١)</sup> عن أنْهُما لِيها ١٩ فلقد بكّت السبع الشداد لقتله، وبكّت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان ولجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون.

يا أيها الناس، أَيُّ قلب لا ينصدح لقتله ١٩ أم أَيُّ فؤاد لا يحزن إليه ١٩ أم أَيُّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم ١٩

أيها الناس، أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين وشاسعين من الأمصار، كأننا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترعناه، ولا مكروا ارتكبناه، ولا ثلثة في الإسلام ثلثناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق.

والله، لو أن النبي تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكثلها وأغظمها وأمرها وأفدحها! فعند الله نحسب فيما أصابنا وأبلغ بنا، فإنّه عزيز ذو انتقام.

قال: فقام صوحان بن صمصمة بن صوحان، وكان زينا فاعتذر إليه صلوات الله عليه بما عنده من زمانة رجله. فأجابه بقبول معذرتة، وحسن الظن فيه وشكر له وثرّم على أبيه<sup>(١)</sup>.

وجنّد هذا الخطاب - على قصره - واقعة كربلاء على حقيقتها مركزاً على المظلومية التي لحقت بأهل البيت (عليه السلام) في قتل الحسين بن علي (عليه السلام) من جانب، وأسر أهل بيته من جانب آخر، بالإضافة إلى المظلومية التي لحقتهم بعد واقعة الطف، إذ حملت رؤوس الشهداء بما فيهم سيدهم الحسين (عليه السلام) فوق الأسمّة من بلد إلى بلد.

وعقب الإمام زين العابدين (عليه السلام) - بلمحة سريعة ومعبرة ومؤثرة - واصفاً ما لقيه آل البيت من السبي والتشريد والتعامل السيء والمهين، وهم أهل بيت الوحي ومعدن الرسالة، وهم قادة أهل الإيمان وأبواب الخير والرحمة والهداية.

(١) مشير الأحزان؛ لابن نما المحلي: ٩٠، وسمار الأنوار؛ للملاية المجلسي: ٥١: ١٤٧.

وأنهى الإمام خطابه بوصفٍ في منتهى الدقة عن عظمة الجرائم التي ارتكبتها جيش السلطة الأموية في حق أهل البيت عليهم السلام، فإن الرسول ﷺ لو كان يأمر هؤلاء بالتمثيل بأهل البيت وتعليبهم؛ لما كانوا يزيدون على ما فعلوا، فكيف بهم وقد نهاهم عن التمثيل حتى بالكلب العقور؟! وكيف يمكن ترجيه كل ما فعلوه وقد أوصاهم النبي ﷺ بحفظه في عمرته، ولم يطالبهم بأجر للرسالة سوى الموقفة في قرياءه!؟

فالإمام زين العابدين عليه السلام حاول في خطابه هذا تكريس مظلومية أهل البيت لاستنهاض الروح الثورية في أهل المدينة، وتحريك الوعي النهضوي ضد الظلم والجبروت الأموي والطفيان السفليين.

وفي الحقيقة فإن ردود الفعل على مقتل الإمام الحسين عليه السلام بدأت بالظهور مع دخول سبأها أهل البيت عليهم السلام إلى الكوفة، بالرغم من القمع والإرهاب اللذين مارسهما ابن زياد مع كل من كان يبدى أدنى معارضة ليزيد، فإن أصواتاً بدأت ترتفع محتجة على الظلم السائد. فانه عندما صعد ابن زياد المنبر وأثنى على يزيد وحزبه وأساء إلى الحسين عليه السلام وأهل بيت الرسالة أقام إليه عبدالله بن عفيف الأزدي وقال له: يا عدو الله، إن الكذاب أنت وأبوك والذي ولأك وأبوه يابن مرجانة، تقتل أولاد النبيين وتقوم على المنبر مقام الصديقين؟! فقال ابن زياد: علي به، فأخذته الجلاوزة فنادى بشعار الأزدي، فاجتمع منهم سبعمائة فانتزعوه من الجلاوزة، فلما كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته فضرب عنقه وصلبه<sup>(١)</sup>.

(١) الإرشاد ٢: ١١٧ وفتح في وقعة الطف لأبي مخنف: ٢٦٨، ٢٦٦.

وأن تلك المواجهة انتهت لصالح ابن زياد لكنها كانت مقدّمة لإعترافات أخرى.

فقد ظهرت في الشام - أيضاً - بوادر السخط والاستياء، الأمر الذي جعل يزيد ينحو باللائمة في قتل الحسين عليه السلام على ابن زياد، إلا أن أشدّ ردود الفعل كانت تلك التي برزت في الحجاز، فقد انتقل عبدالله بن الزبير إلى مكة في الأيام الأولى من حكومة يزيد، واتخذها قاعدة لمعارضته للشام، وقام بتوظيف فاجعة كربلاء للتنديد بنظام يزيد، وألقى خطاباً وصف فيه العراقيين بعدم الوفاء، وأثنى على الحسين بن علي عليه السلام ووصفه بالتقوى والعبادة<sup>(١)</sup>.

هـ - الشمرىف بالأسوة والقُدوة التي ينبغى الاقتداء بها في الحياة:

أكد الإمام زين العابدين في أكثر من موقف على لزوم متابعة الرسول الكريم الذي جعله الله أسوة للمؤمنين بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومما رواه المؤرخون:

١ - أنه اجتاز على رجل جالس على باب رجل ثري فبادره الإمام قائلاً: «ما بقصدك على باب هذا المتصرف الجبار؟ فقال: البلاء، فقال عليه السلام: قم فأرشدك إلى باب خير من بابه وإلى رب خير لك منه...». ونهض معه الرجل إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلمه ما يعمل من

(١) راجع: اللهوف: ١١٦، بحار الأنوار: ٢٥ : ١٤٨ - ١٤٩.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأحزاب: ٣٣ : ٢١.



الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن، وطلب الحاجة من الله والالتجاء إلى حصن الحرز<sup>(١)</sup>.

٢ - وعن المنهال، بمضي ابن عمرو، قال: دخلت على علي بن حسين فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ فقال: ما كنت أرى شيئاً من أهل المصر مثلك لا يدري كيف أصبحنا، فأما إذا لم تدر أو تعلم فسأخبرك: أصبحنا في قومتنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرب إلى عدونا بشفه أو سبه على المنابر.

وأصبحت قريش تعدّ أن لها الفضل على العرب لأنّ محمداً ﷺ منها، لا يُعدّ لها فضل إلا به وأصبحت العرب مقرّة لهم بذلك، وأصبحت العرب تعدّ أن لها الفضل على العجم لأنّ محمداً ﷺ منها، لا يعدّ لها فضل إلا به، وأصبحت العجم مقرّة لهم بذلك، فلتن كانت العرب صدقت أنّ لها الفضل على العجم، وصدقت قريش أنّ لها الفضل على العرب لأنّ محمداً ﷺ منها إنّ لنا أهل البيت الفضل على قريش لأنّ محمداً ﷺ منّا، فأصبحوا يأخذون بحقنا ولا يعرفون لنا حقاً، فهكذا أصبحنا إذا لم تعلم كيف أصبحنا.

قال - المنهال -: فظننت أنّه أراد أن يُسمع من في البيت<sup>(٢)</sup>.

٣ - وفي رواية: عن المنهال، قال: دخلت على علي بن الحسين ﷺ وقلت له: يا بن رسول الله كيف أصبحت؟ فقال: أنت

(١) حياة الإمام زين العابدين ﷺ دراسة وتحليل: ١، ٩٣، بحار الأنوار: ٨٨، ٣٧٥ مع اختلاف.

(٢) حاشية ابن اهرس على الصحيفة السجّادة (المقنعة): ١٩، من طبقات ابن سعد ٧: ٢١٧.

تزعّم إنك لنا شيعة وأنت لا تعرف صباحنا ومساءنا أصبحت في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم. وأصبح غير البرية بعد نبيها ﷺ يلعن على المنابر. ويحطى الفضل والأموال على شتمه وأصبح من يحبنا متقوص على حبه إيانا<sup>(١)</sup>.

٤ - وفي الأنوار النعمانية، للمسيد الجزائري. قال منهال بن عمرو الدمشقي: رأيت علي بن الحسين ﷺ في بعض أسواق الشام وقد انكى على عصاه والصفرة قد غلبت على وجهه ورجلاه كأنهما قصبان والدم يجري من ساقيه فقلت له: يا ابن رسول الله كيف أصبحت؟ قال: وكيف يصبح من كان أميراً... الخ<sup>(٢)</sup>.

٥ - وفي بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: باب نادر فيما قيل في جواب كيف أصبحت؟، عن جامع الأخبار: قيل لعلي بن الحسين ﷺ: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: أصبحت مطلوباً بثمان خصال: الله تعالى يطلبني بالفرائض، والنبي ﷺ بالسنة والميال بالقوت، والنفس بالشهوة، والشيطان بالمعصية، والحافظان بصق الحمل، وملك الموت بالروح، والقبر بالجسد، فأنا بين هذه الخصال مطلوب<sup>(٣)</sup>.

٦ - وروى محتجب عن الصادق ﷺ، قال: كان علي بن الحسين ﷺ شديد الاجتهاد في العبادة، نهاره صائم وليله قائم، فأضر

(١) حاشية ابن اعرس على الصحيفة السجادية (المطبعة): ١٩، عن طبقات ابن سعد ٧: ٢١٨.

(٢) شجرة طوبى - للشيخ محمد مهدي الحائري ٢: ٣٧١.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٧٣: ١٥، عن جامع الأخبار: ١٠٥.

ذلك بجسمه، فقلت له: يا أبة كم هذا الدوب؟ فقال له: أتعيب إلى ربي لعله يزلفني<sup>(١)</sup>.

٧- وروى الشيخ الصدوق في كمال الدين وثمام النعمة، قال: حدثنا علي بن عبدالله الوراق قال: حدثنا محمد بن هارون الصوفي، عن عبدالله بن موسى، عن عبد العظيم بن عبدالله الحمصي رضي الله عنه قال: حدثني صفوان ابن يحيى، عن إبراهيم بن أبي زياد، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالدة الكاظمي قال: دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله عز وجل طاعتهم ومودتهم، وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال لي: يا كنكر إن أولي الأمر الذين جعلهم الله عز وجل أئمة للناس وأوجب عليهم طاعتهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن، ثم الحسين ابنا علي بن أبي طالب، ثم انتهى الأمر إلينا. ثم سكت.

فقلت له: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين (علي عليه السلام) : أن الأرض لا تخلو من حجة لله عز وجل على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟ قال: ابني جعفر، واسمه في التوراة باقر، يقر العلم بقر، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر، واسعه عند أهل السماء الصادق، فقلت له: يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون، قال: حدثني أبي، عن أبيه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا

(١) الآثار البهية - الشيخ عباس القمي: ١١٥، من المنائب لابن شهر آشوب ٤: ١٥٥، وانظر: مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٤.

ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فسموه الصادق، فإن للخاص من ولده ولذا اسمه جعفر يدهي الإمامة اجترأ على الله وكذبا عليه فهو عند الله جعفر الكذاب المفتري على الله عز وجل، والمذهبي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه والحاسد لأخيه، ذلك الذي يروم كشف منتر الله عند غيبة ولي الله عز وجل، ثم بكى علي بن الحسين عليه السلام بكاء شديدا، ثم قال: كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على فتش أمر ولي الله، والمغيب في حفظ الله والتركيل بحرم أبيه جهلا منه بولادته، وحرصا منه على قتله إن ظفر به، (و) طمعا في ميراثه حتى يأخذه بغير حقه.

قال أبو خالد: فقلت له: يا ابن رسول الله وإن ذلك لكائن، فقال: إي وربي إن ذلك لمكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال أبو خالد: فقلت: يا ابن رسول الله ثم يكون ماذا؟

قال: ثم تمتد الغيبة بولي الله عز وجل الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده.

يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته الفاتلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان، لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقا وشيعتنا صدقا، والدعاة إلى دين الله عز وجل سرا وجهرا. وقال علي بن الحسين عليه السلام: انتظار الفرج من أعظم الفرج.

وقال الصدوق: حدثنا بهذا الحديث علي بن أحمد بن موسى. ومحمد بن أحمد الشيباني وعلي بن عبدالله الوراق، عن محمد بن أبي عبدالله الكوفي، عن سهل بن زياد الأديمي عن عبد العظيم بن عبدالله الحسيني رضي الله عنه، عن صفوان، عن إبراهيم أبي زياد عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي، عن علي بن الحسين عليه السلام.

وقال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه: ذكر زين العابدين عليه السلام (ل) جعفر الكذاب دلالة في إخباره بما يقع منه<sup>(١)</sup>.

٨ - وروى الحسين بن أحمد البيهقي، عن محمد بن يحيى الصولي، عن الجوهري عن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي، عن عمه، عن الصادق عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرة مع قوم فرآه رجل فعرفه فقال لهم: أتدرون من هذا؟ فقالوا: لا، قال: هذا علي بن الحسين، فوثبوا إليه فقبلوا يده ورجله وقالوا: يا ابن رسول الله أردت أن تصلينا نار جهنم لو بدرت منا إليك يد أو لسان أما كنا قد هلكنا إلى آخر الدهر؟ فما الذي يحملك على هذا؟ فقال: إني كنت سافرت مرة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله ﷺ ما لا أستحق، فإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فعار كتمان أمري أحب إلي<sup>(٢)</sup>.

٩ - روى السيد ابن طاووس، عن محمد بن الحسن بن داود

(١) كمال الدين ونعمان النعمة - للشيخ الصدوق: ٣٦٠.

(٢) بحار الأنوار ٤٦: ٦٩.

الخراجي، عن أبيه، ومُحمَّد بن علي بن حسن المقرئ، عن علي بن الحسين بن أبي يعقوب الهمداني، عن جعفر بن مُحمَّد الحسيني، عن الأسدي، عن عُبَيْد الرَّحْمَنِ بن قُرَيْب، عن سُفْيَانَ بن عُبَيْدَةَ، عن الزُّهري، قال: دخلتُ مع علي بن الحسين عليهما الصلاة والسلام على عُبَيْد الملك بن مروان، قال: فاستعظمَ عُبَيْد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا أبا مُحمَّد لقد بين عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله قريب النسب وكيد السب، وأنت لذر فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤت أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك، وأقبل بتي علي بن علي بن علي.

قال: فقال علي بن الحسين عليه السلام: كل ما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيجه، فأين شكره على ما أنعم يا أمير المؤمنين؟ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتى تورم قدماء، ويظلم في الصيام حتى يعصب فوه، فقيل له: يا رسول الله، ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول صلى الله عليه وآله: أفلا أكون عبداً شكوراً، الحمد لله على ما أولى وأبلى، وله الحمد في الآخرة والأولى، والله لو تفلّحت أعضائي، وسألت مُفلّحتي على صدري، لن أقوم لله جلّ جلاله بشكر عشر العُشَيْر من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العاؤون، ولا يبلغ حد نعمة منها على جميع حامدِيه، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار، ولا سر ولا علانية، ولولا أن

لأهلِي عليَّ حقًّا، ولسائر الناس من خاصهم وخاصهم عليَّ حقوقًا لا يسعني إلا القِيَامُ بها حسب الوُسْعِ والطاقة حتَّى أُوْذِيَهَا إِلَيْهِمْ لِرِمِيَتِ بِطَرْفِي إِلَى السَّمَاءِ، وَيَقْلِبِي إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ أَرُدْهُمَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ نَفْسِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، وَيَكْفِيكَ اللَّهُ وَيَكْفِيكَ الْعَلَكُ وَقَالَ: شَتَّانَ بَيْنَ عَبْدٍ طَلَبَ الْآخِرَةَ وَسعى لَهَا سَعِيهَا، وَبَيْنَ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا مِنْ أَيْنَ جَاءَتْهُ مَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِسْأَلِهِ عَنْ حَاجَاتِهِ وَعَمَّا فَصَدَّ لَهُ فَشَقَّعَهُ فِيمَنْ شَفَعَ، وَوَصَلَهُ بِمَالٍ<sup>(١)</sup>.

و - بَيَانُهُ ﷺ لِأَسْبَابِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ وَكَيْفِيَةِ الْمَوَاجَهَةِ :

أَنَّ الْإِصْلَاحَ الْاجْتِمَاعِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ نَاجِحًا إِلَّا بِرِعَايَةِ أُمُورٍ عَدِيدَةٍ تَرْتَبِطُ بِالظُّرُوفِ وَالشَّرَاطِطِ الْخَاصَةِ، فَقَدْ يَكُونُ مِمَّا يَمَارَسُهُ نَوْعٌ خَاصٌّ نَاجِحًا فِي زَمَانٍ وَمَكَانٍ خَاصٍّ بَيْنَمَا لَا يَكُونُ نَاجِحًا فِي ظَرْفٍ آخَرَ أَوْ مَكَانٍ مَغَايِرٍ لِمَا نَجَحَتْ فِيهِ سَابِقًا، وَرِعَايَةُ كُلِّ ذَلِكَ مِنْ مِهْمَةِ الدَّاعِيَةِ الْمَصْلُحِ، وَحَسَنَ اخْتِبَارِهِ لِلْأَسْلُوبِ وَالْكَفِيَةِ فِي لِيْصَالِ نَدَاءِ الْوُجُودَانِ إِلَى الْآخَرِينَ.

وَمَا يَتَرَأَى فِي سِيرَةِ الْمُحْصُومِينَ بِصُورَةٍ عَامَةٍ وَسِيرَةِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ﷺ بِصُورَةٍ خَاصَةٍ مَوَارِدَ عَدِيدَةٍ تَبِينُ الطَّرِيقَةَ الْمَصْحِيحَةَ لِلنَّاسِ مَعَ مِلَاحَظَةِ الظُّرُوفِ الْإِلَازِمَةِ رِعَايَتِهَا فِي كَيْفِيَةِ إِرْشَادِ الْمُنْحَرِفِينَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَبِالْأَخْصِ الْمُخَالَفِينَ وَالْأَعْدَاءَ، وَمِنْهَا: مَا رَوَى أَنَّ عُبَادَ الْبَصْرِيِّ قَالَ لِلْإِمَامِ وَهُوَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ: «يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ،





عليّ الحوض»<sup>(١)</sup> فحرض المسلمين باتباع هذين الثقلين وجعلهما في

(١) حديث الثقلين حديث مستفيض بل متواتر المعنى عن الرسول ﷺ، تناقله المحدثون وأصحاب الصحاح والمسانيد والمعاجم والتواريخ والسير، حديث التمسك بالثقلين القرآن والعترة متواتر في جميع طبقاته، والكتب التي ذكرته أكثر من أن تحصى وطرفه إلى الصحابة كثيرة ورواه من الصحابة كثيرون جداً، وفيه عدة روايات صحيحة بل في أعلى درجات الصحة، ينما حديث «وثنى» فهو من أحاديث الأحاد: فأقدم مصدره هو موطأ مالك، فقد رواه سفيان عن رسول الله ﷺ حيث قال راوي الموطأ: وحثنى عن مالك: أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه. ثم إن وصف العترة ينصص ما وصف به القرآن فيبد أن العترة في كلامه ﷺ عدل للقرآن وشريك للوحي، ولا يمكن أن تكون العترة عدلاً للقرآن - في كلام النبي ﷺ الذي هو ميزان المطيلة - إلا إذا كانت العترة، فيما وصف الله الكتاب بقوله: ﴿يُنَبِّئُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة النحل ١٦ : ٨٩) شريكاً لعلم القرآن، وفيما وصف الله القرآن بقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْهَوْلُ يُرَىٰ بِهِ آيَاتُ فَلَانِ غَوِيٍّ﴾ (سورة فصلت ٤١ : ٤٢) شريكاً في حصته. ويدل قوله ﷺ: «لن يضلوا» على التلازم الدائم بين القرآن والعترة، بحيث لا يتفك أحدهما عن الآخر، وذلك أن القرآن الكريم كتاب أنزل لكافة أفراد البشر على اختلاف مستوياتهم ولغابلياتهم، فكانت جوارحه للعوام، وإشاراته للعلماء، ولطافه للأولياء، وحفاظه للأتباع ﷺ. إن مثل هذا الكتاب الذي جاء لجميع أفراد البشر، والمتكفل لكل ما تحتاج إليه الإنسانية في الدنيا والبرزخ والأخيرة لا بد له من معلم عالم بكل ذلك، فإن الطب بلا طبيب، والعلم بلا معلم ناقص، وكذلك القانون - خاصة القانون الإلهي الذي به نظم أمور المعاش والمعاد - بلا مفسر مناسب له ناقص ومثاق لقره تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم) (سورة المائدة ٣ : ٣)، وناقض للفرس من نزول هذا الكتاب ومخالف قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاكَ الْكِتَابَ يُنَبِّئُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ غُرُبِهِ مِنْ تَنْزِيلِهِ﴾ ولذا قال النبي ﷺ: (لن يترقا). وإنما مسمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن والعترة الثقلين لأن الثقل كل شيء عظيم مصون وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم الدينية والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية ولذا حث صلى الله عليه وآله وسلم على الاقتداء والتمسك بهما، الثاني ثقاله التمسك بهما والعمل بما ينفلي منهما ورعاية حقوقهما على الناس لأنهما بأمران بالمبروعة والاعلاص لله تعالى ومخالفة الهوى والعدل والاحسان وتبها من الفحشاء والمنكر ومن متابعة النفس والشيطان وعن الظلم والمعدون ومعلوم أن تباعة الحق والاعلاص ومخالفة الهوى وترك الفحشاء أثقل الأشياء وأمرها. قال أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهرى في كتاب تهذيب اللغة

عرض واحد. وبذلك أشار إلى أن القرآن - وإن كان هو المصدر الوحيد والأصيل للتشريع - لكنه يحتاج إلى مفسر، فجعل عثرته الطاهرة وهم الذين تربوا في حجره وفي بيته الذي نزل فيه القرآن، مفسرين له. وبعد أن واجه المسلمون قضية الخلافة حصل الانشقاق بينهم، فصاروا فريقين: فريق اتبعوا قول الرسول ﷺ فتمسكوا بالكتاب والعتره، وفريق رفضوا العتره وقالوا «حسبنا كتاب الله». وكان لهذا الانشقاق أثر كبير في كيفية التفكير.

ومما أثر عنه ﷺ في هذا المجال:

١ - روى علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس رفعه قال: قال علي بن الحسين ﷺ: إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالنسنة وإن قل<sup>(١)</sup>.

٢ - كما أكد ﷺ على قراءة القرآن بقوله:

وهليك بقراءة القرآن والعمل بما فيه ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله وحرامه وأمره ونهيته والتجهد به وتلاوته في ليلك ونهارك فإنه يهد من الله تبارك وتعالى إلى خلقه فهو واجب على كل مسلم أن ينظر كل يوم

---

عمر محمد بن مكرم الأنصاري في لسان العرب وأبو عبد الله محمد بن خليفة المالكي في اكمال المعلم وأبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف في مكنى اكمال الاكمال ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني في شرح المواهب اللدنية ومحمد بن مرتضى الواسطي في تاج العروس في شرح الحديث المذكور قال ثعلب سبأ ثقلين لأن الاخذ بهما ثقل والعمل بهما ثقل. وقال مجد الدين بن الأثير الجزري في نهاية اللغه في لغة ثقل سبأها ثقلين لأن الاخذ بهما والعمل بهما ثقل وقال أيضاً في جامع الأصول سبأ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن العزيز وأهل بيته ثقلين لأن الاخذ بهما والعمل بهما يجب لهما ثقل.

(١) الكافي - الشيخ الكليني ٦: ٧٠.

في عهده ولو خمسين آية، وأعلم أن درجات الجنة على عدد آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق، فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين أرفع درجة منه<sup>(١)</sup>.

٣- وروى علي بن إبراهيم في تفسيره: عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود، رفعه إلى علي بن الحسين عليه السلام قال: (عليك بالقرآن، فإن الله خلق الجنة بيده، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، جعل ملاطها المسك، وثرابها الزعفران، وحصبائها اللؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمن قرأ القرآن قال له: اقرأ وارق، ومن دخل منهم الجنة، لم يكن في الجنة أهلى درجة منه، ما خلا النبيون والصديقون<sup>(٢)</sup>).

٤- وفي الاحتجاج: روي أن موسى بن جعفر عليه السلام كان حسن الصوت، حسن القراءة، وقال يوماً من الأيام: إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن قريباً مر به المار فصق من حسن صوته، وإن الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس، قيل له: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمل من خلقه ما يطيقون<sup>(٣)</sup>.

٥- وفي الكافي: العدة، من سهل، عن الحجاج، عن علي بن عتبة، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين

(١) من لا يحضره الفقيه - للشيخ الصدوق ٢: ٦٢٨.

(٢) مستدرک الوسائل - للشيخ حسين الثوري الطبرسي ٤: ٢٥٦، ح ٤٦٣٥.

(٣) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي ٤٦: ٦٩، ح ٤٣.

صلوات الله عليهما أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان السقاؤون يملكون فيقفون بسبابه، يستمعون قراءته، وكان أبو جعفر عليه السلام أحسن الناس صوتاً<sup>(١)</sup>.

٦ - وفي الكافي: علي، عن أبيه والقاساني جميعاً، عن القاسم بن محمد، عن سليمان ابن داود، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي، وكان عليه السلام إذا قرأ: «مالك يوم الدين» يكررها، حتى كان أن يموت<sup>(٢)</sup>.

٧ - وعن أحمد بن محمد بن محمد الحلبي في عدة الداعي: عن حفص بن غياث، عن الزهري، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: آيات القرآن خزائن العلم، فكلما فتحت خزانة، فينبغي لك أن تنظر [ما] فيها<sup>(٣)</sup>.

٨ - وروى الحر العاملي في وسائل الشيعة، بالاسناد عن أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في (الاحتجاج) عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ»<sup>(٤)</sup>: ولكم يا أمة محمد في القصاص حياة لأن من هم بالقتل فعرف أنه يقتص منه فكف لذلك عن القتل كان ذلك حياة الذي هم بقتله، وحياة لهذا الجاني الذي

(١) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي ٤٦: ٦٩، ٧٠، ح ٤٥.

(٢) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي ٤٦: ١٠٧.

(٣) مستدرك الوسائل ٤: ٢٣٨، ح ٤٥٩٢.

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٧٩.

أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من الناس إذا علموا أن القصاص واجب لا يجترونها على القتل مخافة القصاص<sup>(١)</sup>.

### ح - الدعوة إلى ولاية وإمامة أهل البيت :

إن الإمام السجّاد أكد على ضرورة ولاية أهل البيت من دون أي تقيّة وبكل صراحة، فقد ذكر ما يتعلق بأئمة الهدى عليهم السلام. وأجاب فيه على توهّمات البعض بشأن علم الغيب والقدرة الربانية التي منحها الله لهم جواباً كاملاً مستنداً فيه بالآيات والروايات، وذكر فيه أيضاً معاجز كثيرة يصلح كل منها كدليل قاطع على هذا الأمر، وعنى بالولاية ولاية أهل البيت عليهم السلام، لأن ولاية<sup>(٢)</sup> أهل البيت عليهم السلام من شروط التوحيد كما جاء في حديث الرضا عليه السلام ثامن الأئمة الطاهرين ووارث علوم الأنبياء والمرسلين، من آبائه المقدسين، من رسول الله خاتم المرسلين، من جبرئيل عن الله عز وجل أنه قال: لا إله إلا الله حصني من دخل حصني أمن من عذابي، ولكن بشرطها، وأنا من شروطها<sup>(٣)</sup>. فإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

(١) رسائل الشّعبة ٢٩: ٤٣، ح ٣٥١٣٤ (ط: آل البيت).

(٢) قال في المصباح: الولاية بالفتح والكسر: النصرة، ويحتمل أن يراد بها الحكومة العامة والإضافة على الثاني لامية وعلى الأول من باب إضافة المصدر إلى المفعول وهو أنسب بما بعده، ولعل المراد بالدخول مع الصادقين المدخول فيما دخلوا من الأحكام وغيرها ومتابعتهم فيها وإن لم يعلم وجه الحكمة إذ صدقهم وعصمتهم يقطع وجود الحكمة في نفس الأمر ووجوب التسليم بها. (شرح أصول الكافي، للمولى محمد صالح المازندراني ٦٢: ٨).

(٣) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه - لمحمد تقي المجلسي الأول، ج ١٣، ص ١٠٣.

واليك بعض النماذج:

١ - في الاحتجاج، بإسناده إلى أبي حمزة الشمالي، قال: دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على علي بن الحسين عليه السلام فقال له: جعلني الله فداك! أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْفُرَى الْفُتَى بَرَصَةً﴾ فيها قرى ظاهرة وقد رزق فيها الشجر سمياً فيها ليلٌ ولأماناً ما بين؟<sup>(١)</sup>

قال له: ما يقول الناس فيها قبلكم؟

قال: يقولون: أنها مكة.

فقال: وهل رأيت السرق في موضع أكثر من مكة.

قال: فما هو؟

قال: إنما هي الرجال.

قال: وأين ذلك في كتاب الله؟

ص ٢١١، فقد روى المصنف وغيره بطرق كثيرة: أنه لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يرحل منها إلى المأمون لاجتماع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا ابن رسول الله ترحل منا ولا تحدثنا بحديث فتستغيث منك؟ وقد كان بعد في العمارة فأطلع رأسه، وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عداي، فلما مرت الراحة نادانا: بشروطها، وأنا من شروطها. (هيون أخبار الرضا عليه السلام باب ما حدث به الرضا عليه السلام في مريجة نيسابور وهو يريد قصد المأمون: الخبر ٤، والأمال للصدوق (المجلس الحادي والأربعون)، الحديث ٨ ص ١٤٢ طبع قم.

(١) القرآن الكريم، سورة سبأ ٣٤: ١٨.

فقال: أو ما تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿وَيَلْبِسُ قُلُوبَهُمْ غُلُوفًا﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿وَوَسَّيَ الْقَرْيَةَ﴾<sup>(٢)</sup> أليس القرية أو الرجال أو العير؟

قال: وتلا عليه آيات في هذا المعنى.

قال: جعلت فداك! فمن هم؟

قال: نحن هم.

فقال: أو ما تسمع إلى قوله: ﴿يَسِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا مَائِينَ﴾<sup>(٣)</sup>؟

قال: آمين من الزبح<sup>(٤)</sup>.

٢ - وفي أسالي الشيخ الصدوق، قال: حدثنا محمد بن أحمد السنائي رحمته الله، قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا بكر بن عبدالله بن حبيب، قال: حدثنا الفضل بن الصقر المبردي، قال: حدثنا أبو معاوية، عن سليمان بن مهران الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين رحمته الله، قال: نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الفر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك

(١) القرآن الكريم، سورة الطلاق ٦٥: ٨.

(٢) القرآن الكريم، سورة الكهف ١٨: ٥٩.

(٣) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٨٢.

(٤) القرآن الكريم، سورة سبأ ٣٤: ١٨.

(٥) الاحتجاج، للشيخ الطبرسي ١١: ٢.

الله السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه، وينا يمسك الأرض أن تعبد بأهلها، وينا ينزل الغيث، وينا ينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها، ولم تغل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها، ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تغلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله.

قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: كما يتغمون بالشمس إذا سترها السحاب<sup>(١)</sup>.

٣- وأورد ابن عساکر: قال أبو المنهال نصر بن أوس الطائي: رأيت علي بن الحسين، وله شعر طويل، فقال: إلى من يلعب الناس؟

قال: قلت: يلعبون هاهنا وهاهنا!

قال: قل لهم: يجيئون إلي<sup>(٢)</sup>.

وانما يبادر الإمام إلى الإعلان عن إمامته عليه السلام كي لا يبقى هذا المنصب شاغرا، وإن لم تكن الإمامة الحقة حاكمة ظاهرا. ومهما يكن، فإن خطورة إعلان الإمام السجادة عليه السلام عن إمامة نفسه وأهل بيته، لا تخفى على أحد ممن عرف جور بني أمية وطمعائهم وقسوتهم في مواجهة المعارضين. وقد تعددت الأحاديث الناقلة لهذا الإعلان، حسب تعدد المناسبات والظروف.

(١) الأمالي، للشيخ الصدوق: ٢٥٢، ح ٢٧٧.

(٢) جهاد الإمام السجادة: ٩٧، من تاريخ مدينة دمشق (المجلد ٢١) ومختصره لابن منظور



٤ - وقال عليه السلام: نحن أفرط الأنبياء، وأبناء الأوصياء، ونحن خلفاء الأرض، ونحن أولى الناس بالله، ونحن أولى الناس بدين الله<sup>(١)</sup>.

٥ - وفي أحلام الدين، للحسن بن محمد الديلمي، ما نصه: قيل: تشاجر هو وبعض الناس في مسألة من الفقه، فقال عليه السلام: «يا هذا، إنك لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرئيل عليه السلام في رحالتنا، أفيكون أحد أعلم بالسنة منا؟»<sup>(٢)</sup>.

٦ - وفي كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق، باسناده، قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام: «إن دين الله عز وجل لا يصاب بالمعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقائيس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هدى، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئا مما نقوله أو نقضي به حرجا كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم»<sup>(٣)</sup>.

٧ - وفي الحديث: قال له أبو خالد الكابلي: يا مولاي! أخبرني كم يكون الأئمة بعدك؟ فقال: ثمانية، لأن الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر إماما، عند الأسباط، ثلاثة من الماضين، وأنا الرابع، وثمانية من ولدي، أئمة أبرار، من أحبنا وعمل بأمرنا كان في السنام الأعلى، ومن أبغضنا أو رد واحدا منا فهو كافر بالله وبآياته<sup>(٤)</sup>.

(١) جهاد الإمام السجاد: ٩٧، من بلاغة علي بن الحسين: ٦٠.

(٢) أحلام الدين في صفات المؤمنين، للحسن بن محمد الديلمي: ٣١١.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق: ٣٢٤، ح ٩.

(٤) كفاية الأثر للخزاز، ص ٢٤٣، جهاد الإمام السجاد عليه السلام: ٩٩.

وفي عرض مثل هذه الأوصاف والواجبات - التي يستند عنها الأحكام المدعون للإمامة أشواطاً ومسافات طويلة - يعد تعريضاً بهم، وتحدياً لوجودهم. وأن الإمام السجاد عليه السلام لما كان يعرف الإمامة بهذا الشكل، فهو - بلا ريب - يستبعد عنها كل أذعياء الإمامة من غير ما لياقة، فضلاً عن الاستحقاق. فأين أولئك المغمورون في الرذيلة والظلم والجهل بالدين، بل المعارضون له عقائدياً وعملياً، أين هم من هذه الإمامة المقدسة؟<sup>(١)</sup>

والمهم في الأمر أن الإمام السجاد عليه السلام بصراحته هذه، وإعلانه من أهم ما يرتبط باستمرار العقيدة ودوامها، تمكن من تثبيت الإمامة بعد أن تعرض التشيع لأوحش الحملات في ذلك التاريخ، فادت بالعقيدة إلى تضخيم لم يبق له مثيل كما أدت إلى يأس في النفوس، وتمزق بين صفوف الشيعة بما لا يتصوراً فكانت مواقف الإمام السجاد عليه السلام هذه، الواضحة، والجريئة، والمكررة، سبباً للعلمة الكواثر من جديد، وروح الصفوف ثانية، وتكريس الجهود المكثفة، واستعادة القوى المهدورة، والتركيز على ترسيخ القواعد الأصلية من أن تحرف أو يشوبها التشويه لتكرين الأرضية الصالحة لبذر علوم آل محمد على أيدي الأئمة لا سيما الباقر والصادق عليهما السلام.<sup>(٢)</sup>

٨ - وعن علي بن محمد عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر عن عبدالله بن حماد عن صباح المزني عن الحارث بن حصيرة عن الحكم بن عتيبة قال: لقي رجل الحسين بن علي عليه السلام بالثعلبية وهو يريد كربلاء،

(١) جهاد الإمام السجاد عليه السلام: ٩٧.

(٢) جهاد الإمام السجاد عليه السلام: ١٠٠.

فدخل عليه فلم عليه، فقال له الحسين عليه السلام: من أي البلاد أنت؟ قال: من أهل الكوفة. قال: أما والله يا أخا أهل الكوفة لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل عليه السلام من دارنا ونزوله بالوحي على جدي، يا أخا أهل الكوفة، أُمستفى الناس للعلم من عندنا، فعلموا وجهنا! هذا ما لا يكون<sup>(١)</sup>.

٩ - وقد تقدم مما يروى في هذا الشأن: أنَّ شيخاً شامياً دنا من الإمام السجّاد عليه السلام عند دخول سبایا آل محمد عليهم السلام الشام وقال له: والحمد لله الذي قتلکم وأهلكکم وأراح البلاد من رجالکم وأمكن أمير المؤمنين منکم.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا شيخ، أقرأت القرآن؟

قال: بلى - إلى قوله -:

قال علي عليه السلام: فنحن أهل البيت الذين اختصنا الله بآية الطهارة يا شيخ، قال: فبقي الشيخ ساكناً نادماً على ما تكلم به، وقال: بالله إنكم هم؟

فقال علي بن الحسين عليه السلام: نالله إننا نحن هم من غير شك وحق جئنا رسول الله صلى الله عليه وآله إننا نحن هم.

فبكى الشيخ ورمى عصامته، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أبرأ إليك من عدو آل محمد<sup>(٢)</sup>.

(١) الرافي - الفيض الكاشاني ٣: ٦٠٨.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢: ٦١، اللهوف على قتلى الطفوف: ١٠٠، مثل المرقم: ٤٤٩ من تفسير ابن كثير والأكوسي، لواحي الأشجان: ٢١٩، كتاب الفتح ٥: ١٣٠، مع اختلاف يسير.

### ي - تنوير الأفكار بالقرآن:

وقد شغف الإمام زين العابدين عليه السلام كتاباته الكرام - بشكل ملفت للنظر - بالقرآن الكريم وعلومه، وتمثل ذلك في سلوكه اليومي وأدعيته واهتماماته، تلاوة وتدبراً وتفسيراً وتعليماً وعملاً، بما لا يدع مجالاً للريب في أن الإمام عليه السلام كان هو القرآن الناطق، والتجسيد الحي لكل آيات القرآن الباهرة والمعجزة الإلهية الخالدة.

وسوف نشير إلى مدى اهتمام الإمام عليه السلام بالقرآن العظيم من خلال دهائه عند ختم القرآن، بالإضافة إلى ما مرّ في البحوث السابقة.

### ك - الترغيب في تحصيل العلم والمعرفة:

أنس الإمام زين العابدين عليه السلام حلقة حافلة بصنوف المعرفة الإسلامية، وكان يفيض فيها الإمام من علومه وعلوم آباءه الطاهرين، ويمرّن النابهين منهم على الفقه والاستنباط، وقد تخرّج من هذه الحلقة الدراسية عدد كبير من فقهاء المسلمين.

واستقطب الإمام عن هذا الطريق الجمهور الأعظم من القراء وحملة الكتاب والسنة، حتى قال سعيد بن المسيّب: إن القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب<sup>(١)</sup>.

وعلم الفقه بالمعنى المعروف فعلاً هو العلم بأحكام أفعال المكلفين على ضوء مصادر الشريعة الإسلامية، وكان الإمام هو

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٣٣٣.

المرجع الوحيد في عصره لإعطاء تفاصيل الأحكام الشرعية، وتعليم طريقة استنباطها من مصادرها الإسلامية، والمربي الفذ الذي تخرج على يديه فقهاء المدينة، وكانت مدرسته هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية.

وورد عنه عليه السلام في هذا المجال:

١ - بالاسناد عن الحسين بن محمد عن علي بن محمد بن سعد رفعه عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليه السلام قال: لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج إن الله تعالى أوحى إلى أنبياء أن أمقت عبدي إلي الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم وإن أحب عبدي إلي التقى الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للعلماء القائل عن الحكماء<sup>(١)</sup>.

٢ - كان عليه السلام إذا جاءه طالب علم فقال: مرحبا بوصبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبحت له إلى الأرضين السابعة<sup>(٢)</sup>.

(١) الرازي - الفيهي الكاشاني ١: ١٥٨، ١٥٩، ج ٧٧، عن الكافي ١: ٣٥. بيان: السك الأراق وربما يخص بالدم، والمهج: جمع مهجة وهي دم القلب. والخوض: الدخول في الماء واللجج: جمع لجة وهي معظم الماء. والمفت: البفض. والعليم: العاقل من العلم بمعنى العقل. والحكيم: العالم بالعلوم النظرية والعملية العاقل بعلمه. قابل التقى بالجاهل لأن النظري من آثار كمال العقل المقابل للجهل. والمراد بطالب الثواب الجزيل: العاقل بما يوصله إليه. وملازمة العلماء: كثرة مجالستهم ومصاحبتهم. ومتابعة العقلاء: سلوك طريقهم. والقول عن الحكماء: الرواية عنهم ولو برسائط.

(٢) الخصال - الشيخ الصدوق: ٥١٨.

٣- وعن الباقر عليه السلام قال: كان زمن العابدين عليهم السلام إذا نظر إلى الشباب الذين يطلبون العلم أدناهم إليه، وقال: مرحباً بكم، أنتم ودائع العلم، ويوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين<sup>(١)</sup>.. وقريب من هذا كلام عنه الإمام الحسن عليه السلام لبيه وبني أخيه، فقال: يا بني، إنكم اليوم صغار قوم، أوشك أن تكونوا كبار قوم، فعليكم بالعلم، فمن لم يحفظ منكم فليكتبه، وليجعل في بيته في نسخة<sup>(٢)</sup>.

٤- وروى الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين عليهما السلام فسأله عن مسائل فأجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال علي بن الحسين عليهما السلام: مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعلموا بما علمتم، فإن العلم إذا لم يحمل به لم يزد صاحبه إلا كفراً ولم يزد من الله إلا بعداً<sup>(٣)</sup>.

٥- وذكر عليه السلام في رسالة الحقوق فضل العلم والعلماء وما للمعلم والعالم من الحقوق وكذا حق المتعلم، حيث قال في حق المعلم:

وأما حقّ سائلك بالعلم:

فالتعظيم له.

والتوقير لمجلسه.

وحسن الاستماع إليه.

(١) بلاغة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: ١٤٨.

(٢) بلاغة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: ١٤٩.

(٣) الكافي، للشيخ الكليني ١: ٤٤، ح ٤.

والإقبال عليه<sup>(١)</sup>.

والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم.

بأن تفرغ له عقلك.

ونحضره فهيك.

وتزكي له قلبك.

وتجلي له بصرك بترك اللذات ونقص الشهوات.

وأن تعلم أنك فيما ألقى إليك رسوله إلى من لفيك من أهل الجهل.

فلزمك حسن التأدية عنه إليهم.

ولا تخنه في تأدية رسالته والقيام بها عنه إذا تقلدتها.

ولا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(٢)</sup>.

وهذه والكثير من أمثالها توحى إلى أن الحركة العلمية التي قادها الإمام خلقت وراءها أجيالاً من العلماء الفطاحل، وتراثاً علمياً ضخماً، وأن ثمة من تلامذته مهّدوا الطريق لظهور حركة علمية جديدة تتمتع بالاستضاءة من التراث العلمي الذي خلفه الإمام وتلامذته مع إبداع أسلوب جديد في العالم، ورائد هذه الحركة الجديدة كان الإمام عليه السلام.

(١) في بعض النسخ بعد قوله: «والإقبال عليه»: «وأن لا ترفع عليه صورك ولا تجيب أحدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلس أحد، ولا تقتاب عنه أحد، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن نشر حيويه وتظهر منافيه، ولا تجالس له عدواً، ولا تعادى له ولياً، وإذا نطقت فلك شهدت لك ملائكة الله بأنك تصدته وتملمت حظه في جيل اسمه، لا للناس».

(٢) رسالة المحرق، الحق ١٥.

فقد شهدت المدينة المنورة حركة علمية بالخصوص زمن الصادقين عليهما السلام، وأن المحافل العلمية في المدينة كانت تشكل الدعامة القوية لنصرة التشيع وأهل البيت عليهم السلام ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله يشهد بذلك. كما أن علماء المدينة اتجهوا إلى الأئمة عليهم السلام عند تواجدهم في المدينة، كالإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق، والإمام الكاظم عليهم السلام، فمثلاً اتجه علماء المدينة في أواخر القرن الأول الهجري إلى الإمام الباقر عليه السلام للاخذ عنه والاختلاف إليه مع وجود رجال من الصحابة والتابعين الذين انفردوا عن خط أهل البيت، بل وشكلوا تياراً منافساً لهم، ومع ذلك لم يحفظوا بالمكانة العلمية لما كان يحتلها الإمام الباقر عليه السلام وغيره من الأئمة عليهم السلام.

قال الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي وهو من أعلام القرن السادس الهجري في «إعلام الوري»: «قد اشتهر في العالم تبرزه على الخلق في العلم والزهد والشرف ما لم يؤثر عن أحد من أولاد الرسول صلى الله عليه وآله وقبله من علم القرآن والآثار والسنن، وأنواع العلوم والحكم والآداب ما أثر عنه، واختلف إليه كبار الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين، وعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله بـ«باقر العلم» على ما رواه نقله الاخبار، عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «يوشك أن تبقى إلى أن تلقى ولداً لي من الحسين يقال له: محمد، يقر علم الدين، فإذا لقيت فاقراءه عني السلام»<sup>(١)</sup>.

وقال الطبرسي: وروي عن أبي مالك، عن عبدالله بن عطاء المكي،



قال: ما رأيت العلماء عند أحد قط أصفر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين عليه السلام، ولقد رأيت الحكم بن عثيبة مع جلالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه<sup>(١)</sup>.

هكذا كانت المحافل العلمية في المدينة المنورة زمن الإمام الباقر عليه السلام. ومن الموصف جداً لم يهتم مؤرخو المسلمين بتدوين تلك المحافل العلمية إلا ما ورد في بطون الكتب، وهي مبثوثة بشكل احتجاجات اضطر إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام لمعالجة خصومهم، وقد دأب أعدائهم على إخفاء الكثير من تلك، لأنها كانت صرخات حق يوجه الظالمين من حكام الجور، وهم بنو أمية... ثم هناك مؤلفات كتبت في منتصف القرن الثاني الهجري، مثل «تاريخ المدينة» لابن زبالة الذي كان حياً سنة ١٩٩هـ، وكتب الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ تاريخاً للمدينة، وكتب المدائني المتوفى ٢١٥هـ، وكتاب «أخبار المدينة» للزبير بن بكار المتوفى ٢٥٦هـ، إلا أن جل هذه الكتب وغيرها لم تصل إلينا، حيث لعبت بها أيدي الحداث، وأتلفتها الأزمان. لكن كل ذلك لم يفقد بصيص الأمل فيما لو أراد الباحث أن يستقري أحوال المدينة المنورة اجتماعياً، وسياسياً، وعلمياً، ودينياً، طالما كتب الأنساب والتراجم والأخبار والحديث زاخرة بفصول كثيرة ومهمة عن الصحابة والتابعين، ودورهم في الدعوة الإسلامية، ونصرتهم للمرسول وأهل البيت عليهم السلام.

## النوع الثاني: الحكمة

تقدم فيما سبق من أساليب الإصلاح عند الإمام السجاد عليه السلام من طريق الموعظة الحسنة، وقد ذكرنا في ذلك نماذج أرخصها المؤرخون وكانت هي العبرة في إصلاح العامة.

وهناك طريقة ثانية، وهي الحكمة، التي ستعرض لها في هذا الفصل وقد مارسه الإمام أيضاً ولكن بالنسبة إلى طائفة خاصة من المجتمع وهم الخواص، وهو النوع الثاني الذي ذكره الله في القرآن بقوله: ﴿وَأَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ﴾<sup>(١)</sup>، وقبل أن نتطرق إلى أساليب الإصلاح الحكيمية للإمام لابد لنا من تعريف الحكمة.

الحكمة - في اللغة -: بمعنى الضكر السليم.

وفي الاصطلاح: هو الكلام المتقن المحكم الذي يتقبله الجميع، ولا يمكن الخدشة فيه.

وبعبارة أخرى: الحكمة هو ما له أساس مكين في العقل والفطرة الموجودة عند جميع الناس.

وأشيد بالحكمة في كلمات الأئمة عليه السلام، فقال الإمام علي عليه السلام: الحكمة ضالة المؤمن.

إن الكلمة من الحكمة لتلجلج...

وبهذا يمكن التمييز بين الحكمة والموعظة، فالحكمة يغلب فيها العقل والتفكير والتعليم. بينما الموعظة هي عبارة عن مجرد تذكير. والحكمة لتبادل المعلومات. والموعظة لمجرد التنبيه.

(١) القرآن الكريم، سورة النحل ١٦: ١٢٥.

والحكمة تكون في مقابل الجهل. بينما الموعظة تكون في قبال الغفلة.

والحكمة تتعامل مع العقل والفطرة. بينما الموعظة تتعامل مع القلب والمحافظة.

والحكمة تضيف الحقيقة إلى الوجود الذهني. بينما الموعظة تستقي من الخلفيات المخزونة في النعم.

والحكمة نور ينير الطريق للمسترشد. بينما الموعظة تبصير وازاءة طريق فقط.

والحكمة هي لسان العقل. والموعظة هي رسالة الروح.

ولذلك يكون الرواعظ المتعظ له الأثر البالغ في الموعظة، وتكون الموعظة هو الخط الراصل بين الرواعظ والمتعظ، ولاجل ذلك حاول الأئمة الاستفادة منه في هداية البشر وإصلاح الأمة.

وأما الممارسات الحكمية التي مارسها الإمام السجاد في الإصلاح الاجتماعي، فتمرض لها في عدة أقسام:

### ١ - توجيه الأنظار إلى أعمال الفكر والتعقل في الأمور:

١ - ففي الاحتجاج، روى الشيخ الطبرسي أن الإمام زين العابدين خطب الناس فقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني! ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين، المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتهك حريمه، وسلب نعيمه، وانتهب ماله، وسي عياله، أنا ابن من قتل صبوا، فكفى بذلك فخراً<sup>(١)</sup>.

(١) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي ٢: ٣٢.

فتأكده ﷺ على عبارة: «من قتل صبياً»، بدلا من ذكر الشهادة إنما هو للتركيز على الأسباب التي أدت إلى استشهاد الإمام الحسين وإن قتله ﷺ لم يكن في حرب متكافئة بين خصمين، بل كانت جريمة نفذت في من لم يكن له أي خيار آخر.

٢ - وفي التذكرة الحمدونية، لابن حمدون: قال علي بن الحسين: من مأمته يؤتى الحذر، يكتفي اللبيب بروحي الحديث، وينبو البيان عن قلب الجاهل، ولا ينتفع بالقول وإن كان بليغا مع سوء الاستماع<sup>(١)</sup>.

يقال: أتى فلان بضم الهمزة وكسر التاء إذا أظلم عليه العدو، ومنه قولهم: (من مأمته يؤتى الحذر)، فيكون قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup> أي أخذهم ودعاهم وباغتهم من حيث لم يحتسبوا من قتل كعب بن الأشرف وحصارهم، وقذف الرعب في قلوبهم.

وفي هذا تأكيد على لزوم التعقل والتدبر في الأمور وعواقبها قبل المباشرة فيها.

٣ - وفي حديث السجادة ﷺ وقد مثل عن الكلام والسكوت أهما أفضل قال ﷺ: لكل منهما آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت. قيل: وكيف ذلك يا بن رسول الله؟

قال: لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحققت الجنة بالسكوت ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ولا يجتنب مخطئ الله بالسكوت،

(١) التذكرة الحمدونية - ابن حمدون ١: ٢٧٣، ح ٧٠٥.

(٢) القرآن الكريم، سورة العنكبوت: ٥٩: ٢.

إنما ذلك كله بالكلام، ما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف الكلام بالسكوت<sup>(١)</sup>.

وفي كل ما تقدم فتح الباب للتفكير في القضايا المطروحة.

ونستعرض بعض النماذج التي وردت عن الإمام عليه السلام في هذا الأسلوب في النقاط التالية:

ففي باب النصير:

١ - روى الإمام محمد الباقر عن أبيه عليه السلام، في تفسير الآية الكريمة: ﴿الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾<sup>(٢)</sup>، قال: جعلها ملائمة لطباعكم، موافقة لأجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحما والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هامانكم، ولا شديدة التن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتفرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم، ولكنه عز وجل جعل فيها من المتانة ما تنتفون به، وتنحاسكون عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافصكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم، ثم قال عز وجل: (وَالسَّمَاءَ بَنَاءً) أي سقفاً من فوقكم، محفوظاً يدير شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم، ثم قال عز وجل: (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يعني المطر ينزله من عليّ ليلج قلل جبالكم ونلالكم وهضابكم وأوهادكم ثم فرقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً لتشبع أَرْضُكُمْ، ولم يجعل ذلك المطر نارلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أَرْضِيَكُمْ وأشجاركم وزروعكم وثماركم، ثم قال عز وجل:

(١) التحفة النية في شرح النية المحسنة (مخطوط) - السيد عبده الجزائري: ٨٧.

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٢.

﴿فَأَنْزَجَ بِهِ مِنَ الثَّرَرِ رِزْقًا لَكُمْ تَلَوْتُمْ﴾ يعني مفا يخرج من الأرض رزقاً لكم ﴿فَلَا تَحْمِلُوا فِيهِ أَنْثَكَا﴾ أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء ﴿وَأَنْتُمْ تَلَوْتُمْ﴾ أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم تبارك وتعالى<sup>(١)</sup>.

وحوت هذه القطعة الذهبية من كلام الإمام زين العابدين عليه السلام أدور أدلة التوحيد وأوثقها، فقد أعطت صورة متكاملة مشرقة من خلق الله تعالى للأرض، فقد خلقها بالكيفية الرائعة التي ليست صلبة ولا شديدة ليسهل على الإنسان العيش عليها، والارتفاع بخيراتها وثمراتها التي لا تحصى، فالأرض بما فيها من المجائب كالجبال والأودية والمعادن والبحار والأنهار وغير ذلك من أعظم الأدلة وأوثقها على وجود الخالق العظيم الحكيم.

٢ - كما استدلل الإمام عليه السلام على عظمة الله تعالى بخلق السماء وما فيها من الشمس والقمر وسائر الكواكب التي تزود هذه الأرض بأشعتها، فإن أشعة الشمس لها الأثر البالغ في تكوين الحياة النباتية، كما أن أشعة القمر لها الأثر على البحار في مدّها وجزرها، وكذلك لأشعة سائر الكواكب، فإن الأثر النام في منح الحياة العاتة لجميع الموجودات الحيوانية والنباتية في الأرض، وهذه الظواهر الكونية التي لم تكتشف إلا في هذه العصور الحديثة، إلا أن الإمام عليه السلام ألمح إليها في كلامه، فكان

(١) حيون أخبار الرضا ٢: ١٢٥ - ١٢٦. طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت، والحقاً: شدة الحرارة، ونمطكم: أي تهللكم. والمثانة: ما صلب من الأرض وارتفع. والأوماد: الأرض المنخفضة. والهطل: المطر الضعيف الدائم.

حقاً هو وآبائهم وأبنائهم المعصومون الرواد الأوائل الذين رفعوا راية العلم، وساهموا في تكوين الحضارة الإنسانية.

٣ - وأعطى الإمام ﷺ صورة متميزة عن الأمطار، وأنها تتساقط بصورة رتيبة وفي أوقات خاصة، وذلك لإحياء الأرض وإخراج ثمراتها، ولو دام المطر ونزل دفعة واحدة؛ لأهلك الحرث والنسل.

وبمما أقام الإمام الأدلة المحسوسة على وجود المخلوق الحكيم؛ دعا إلى عبادته وتوحيده ونبذ الأصنام والأنداد التي تدعو إلى انحطاط الفكر وجمود الوعي، لأنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك أي قدرة في إدارة هذا الكون وتصريف شؤونه.

٤ - ومن غرر كلماته في مختلف المجالات كما في تحف العقول<sup>(١)</sup>:

قال ﷺ: «الخير كله صيانة الإنسان نفسه».

وقال ﷺ: «الرضى بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين».

وقال ﷺ: «من كرمته عليه نفسه هانت عليه الدنيا».

وقال ﷺ: «من فتح بما قسم الله له فهو من أغنى الناس».

«وقيل له: من أعظم الناس خطراً؟ فقال ﷺ: «من لم ير الدنيا خطراً لنفسه».

وقال له رجل: ما الزهد؟ فقال ﷺ: «الزهد عشرة أجزاء، فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات

(١) راجع تحف العقول: ٢٧٨ - ٢٨٣.

اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإنّ الزهد في آيٍ من كتاب الله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال بحضرته رجل: اللَّهُمَّ أغنني عن خلقك، فقال ﷺ: «ليس هكذا، إنما الناس بالناس، ولكن قل: اللَّهُمَّ أغنني عن شرار خلقك».

وقال ﷺ: «لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يتقبل؟»

وقال ﷺ: «اتقوا الكذب، الصغير منه، والكبير، في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير».

وقال ﷺ: «كفى بنصر الله لك أن ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك».

وقال ﷺ: «طلب الحوائج إلى الناس مذلة للحياة ومذبة للحياة واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر، وقلة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر».

وقال ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا، وَإِنْ أَعْظَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَمَلًا أَعْظَمَكُمْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ رَغْبَةً، وَإِنْ أَنْجَاكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَشَدَّكُمْ خَشْيَةً لِلَّهِ، وَإِنْ أَقْرَبَكُمْ مِنَ اللَّهِ أَوْسَمَكُمْ خَلْقًا، وَإِنْ أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَحَكُمْ - أَي أَوْسَمَكُمْ - عَلَى عِيَالِهِ، وَإِنْ أَكْرَمَكُمْ عَلَى اللَّهِ أَنْفَاكُمْ لِلَّهِ».

وقال ﷺ: «إِنَّ الْمَعْرِفَةَ وَكَمَالَ دِينِ الْمُسْلِمِ تَرْكُهُ الْكَلَامَ فِيمَا لَا يَنْبَغِي، وَقِلَّةُ مَرَاتِهِ، وَحُلُمُهُ، وَصَبْرُهُ، وَحَسَنُ خَلْفِهِ».

وقال ﷺ: «ابن آدم، إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همك، وما كان الخوف لك شعاعاً،

(١) القرآن الكريم، سورة الحديد ٥٧: ٢٣.



والحذر لك دنارا - الدنار: ما يغطى به النائم - ابن آدم إنك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله جلّ وعزّ، فأعدّ له جواباً.

وقال ﷺ: «لا حسب لقشري ولا لعربي إلا بتواضع، ولا كرم إلا بنقوى، ولا عمل إلا بنقوى، ولا عبادة إلا بالنفقه، ألا وإن أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله».

وقال ﷺ: «المؤمن من دعائه على ثلاث: إمّا أن يدخر له، وإمّا أن يجعل له، وإمّا أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه».

وقال ﷺ: «إن المناقح ينهي ولا ينتهي، ويأمر ولا يأني، إذا قام إلى الصلاة اعترض، وإذا ركع رخص، وإذا سجد نفر، يمسي وهمّة العشاء ولم يمسم، ويصبح وهمّة النوم ولم يسهر، والمؤمن خلط عمله بحلمه، يجلس ليحلم، وينمت ليحلم، لا يحدث بالأمانة للأصدقاء، ولا يكتم الشهادة للبعداء، ولا يعمل شيئاً من الحقّ رياء ولا يتركه حياة، إن زُكي خاف ممّا يقولون، ويستغفر الله لما لا يعلمون، ولا يضرّه جهل من جهله».

وقال ﷺ: «كم من مفتون بحسن القول فيه، وكم من مغرور بحسن السر عليه؟»

وقال ﷺ: «ربّ مغرور مفتون يصبح لاهياً ضاحكاً، يأكل ويشرب وهو لا يدري لعلّه قد سبقت له من الله سخطة يعلّى بها نار جهنم».

وقال ﷺ: «إنّ من أخلاق المؤمنين الإنفاق على قدر الإقتار، والتوسع على قدر التوسع، وإنصاف الناس من نفسه، وابتدائه إياهم بالسلام».

وقال ﷺ: «ثلاث منجيات للمؤمن: كفت لسانه عن الناس

واغتيالهم، وإشغاله نفسه بما ينفعه لأخوته وديناء، وطول بكانه على خطيته.

وقال ﷺ: «نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للموثة والمحبة له عبادة».

وقال ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه من المؤمنين كان في كنف الله - وكنف الله: حرزه ورحمته -، وأظله الله يوم القيامة في ظلّ عرشه، وآت من فزع اليوم الأكبر: من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه، ورجل لم يُقدّم بدا ولا رجلاً حتى يعلم أنّه في طاعة الله قدمها أو في معصيته، ورجل لم يعيب أخاه يعيب حتى يترك ذلك العيب من نفسه، وكفى بالمرء شغلاً بهيه لنفسه عن عيوب الناس».

وقال ﷺ: «ما من شيء أحبّ إلى الله بعد معرفته من عفة بطن وفرج، وما [من] شيء أحبّ إلى الله من أن يسأل».

وقال لابنه محمد ﷺ: «افعل الخير إلى كلّ من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، وإن شمتك رجل عن يمينك ثم تحوّل إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره».

وقال ﷺ: «مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة الأمر تمام العزّ، واستئناء المال تمام المروءة، وإرشاد المستشير قضاء لحقّ التعمّة، وكفّ الأذى من كمال العقل وفيه راحة للبدن عاجلاً أو آجلاً».

وكان عليّ بن الحسين ﷺ إذا قرأ الآية: ﴿وَلَنْ نَسْقُطَ عَنْكَ كَلِمَةٌ تَوْهَّاءٌ﴾<sup>(١)</sup> يقول: «سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلّا

المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنه لا يدركه، فشكر عز وجل معرفة المارفين بالتقصير عن معرفته، وجعل معرفتهم بالتقصير شكراً، كما جعل علم العالمين أنهم لا يدركونه إيماناً، علماً منه أنه قدر وسع العباد فلا يجاوزون ذلك.

وقال عليه السلام: «سبحان من جعل الاعتراف بالنعمة له حمداً، سبحان من جعل الاعتراف بالمعجز عن الشكر شكراً»<sup>(١)</sup>.

٥ - كما زود الإمام عليه السلام أبناءه ببعض الوصايا التربوية لتكون منهجاً يسرون عليه، قال عليه السلام: «يا بُنَيَّ، أنظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تعادهم ولا توافقهم في طريق.

فقلت له: يا أبا: من هم؟ قال عليه السلام: «إِيَّاكَ ومصاحبة الكذاب، فإنه بمنزلة السراب، يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب. وإِيَّاكَ ومصاحبة الفاسق، فإنه بائعك بأكلة أو أقل من ذلك. وإِيَّاكَ ومصاحبة البخيل، فإنه يخذلك في ماله، وأنت أحوج ما تكون إليه. وإِيَّاكَ ومصاحبة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. وإِيَّاكَ ومصاحبة القاطع لرحمه، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله...»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام: «يا بُنَيَّ، اصبر على النوائب، ولا تتعرض للمحقوق، ولا تجب أخاك إلى الأمر الذي مضرتك عليك أكثر من منفعتك له...»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام: «يا بُنَيَّ، إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك

(١) راجع تحف العقول: ٢٧٨ - ٢٨٣.

(٢) الكافي: ٢: ٣٧٧، تحف العقول: ٢٧٩.

(٣) البيان والبيان: ٢: ٧٦، العقد الفريد: ٣: ٨٨، مستدرک الوسائل: ١٢: ٣٦٣، مناقب آل أبي

طالب: ٣: ٣٠٢، تهذيب الكمال: ٢٠: ٣٩٩.

فحذّرني منك، وأعلم أنّ خير الأبناء للأبناء من لم تدعه المودة إلى الضرب فيه، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه انقصار إلى العقوق له<sup>(١)</sup>.

### ب - التأكيد على البرهان والاستدلال:

إن للاستدلال أثر بالغ في تثبيت الرقبة الصحيحة عند الإنسان، ومطالبة الدليل من الخصم يوجب مراجعة العقل بدقة أكبر لتقرير الموضوع سواء عند المدعي أو المنكر. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أُتَابُهُمْ قُلْ عَسَاؤُا رَفَعْتُمْ إِن كُنْتُمْ سَٰكِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فإن الاستناد إلى البرهان دليل على التعقل والتفكير الصحيح.

وهذا مما مارسه الإمام السجاد عليه السلام في طرح طائفة من النظريات الإصلاحية في المجتمع:

١ - فمّا ورد عنه في القضاء والقدر أنّ رجلاً سأله: جعلني الله فداك، أبقدر بصيب الناس ما أصابهم أم يعمل؟

فأجاب عليه السلام: «إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير جسد لا تحسّ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلحا، كذلك العمل والقدر، فلو لم يكن القدر واقعا على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، وكان القدر شيئا لا يحسّ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر؛ لم يفضّ ولم يتمّ. ولكنهما باجتماعهما، ولله فيه المون لعباده الصالحين».

(١) الطه الفرید ٣: ٨٩، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٤٦٥ مع اختلاف سير.

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٦٦.

ثم قال ﷺ: «ألا إنَّ من أجور الناس من رأى جوراً عدلاً وعدل المهتدي جوراً، ألا إنَّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما المغيب - في نسخة: فأبصر بهما الغيب -، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه» ثم التفت إلى السائل عن القدر فقال: «هذا منه، هذا منه»<sup>(١)</sup>.

٢ - وقال ﷺ في بيان استحالة أن يوصف الله تعالى بالمحدودية التي هي من صفات الممكن: «يا أبا حمزة، إنَّ الله لا يوصف بمحدودية، عظم ربنا عن الصفة، فكيف يوصف بمحدودية من لا يُحدَّ، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير؟»<sup>(٢)</sup>.

٣ - وفي جامع الأخبار: دخل علي بن الحسين ﷺ مسجد المدينة فرأى قوما يختصمون، فقال لهم: فيما تختصمون؟ قالوا: في التوحيد، قال: أعرضوا عني مقالتيكم، قال بعض القوم: إنَّ الله يعرف بخلقه سماواته وأرضه، وهو في كل مكان. قال علي بن الحسين ﷺ: قولوا: نور لا ظلام فيه، وحياة لا موت فيه، وصمد لا مدخل فيه. ثم قال: من كان ليس كمثل شيء وهو السميع البصير كان نعته لا يشبه نعت شيء فهو ذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٦٦ - ٣٦٧ منشورات جامعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، الطبعة السادسة.

(٢) الكافي ١: ١٠٠.

(٣) بحار الأنوار - للعلامة المجلسي ٤: ٣٠٤.

## ج - العمل في مجال العلم والمعرفة:

أسس الإمام زين العابدين عليه السلام حلقة حافلة بصنوف المعرفة الإسلامية، وكان يقبض عليها الإمام من علومه وعلوم آبائه الطاهرين، ويمرّن النابهين من طلاب العلم والمعرفة على الفقه والاستنباط، وقد تخرج من هذه الحلقة الدراسة عدد كبير من فقهاء المسلمين.

واستقطب الإمام بهذا الطريق الجمهور الأعظم من القرّاء وحملّة الكتاب والسنة، حتّى قال سعيد بن المسيّب: إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتّى يخرج عليّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب<sup>(١)</sup>.

وعلم الفقه بالمعنى المعروف فعلاً هو العلم بأحكام أفعال المكثّفين على ضوء مصادر الشريعة الإسلامية، وكان الإمام هو المرجع الوحيد في عصره لإعطاء تفاصيل الأحكام الشرعية، وتعليم طريقة استنباطها من مصادرها الإسلامية، والمربي الفذّ الذي تخرّج على يديه فقهاء المدينة، وكانت مدرسته هي المطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية.

وقد قال عنه الزهري: ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه<sup>(٢)</sup>.

وعنه الشافعي أفقه أهل المدينة. وروى المؤرّخون: أنّ الزهري كان يعترف بالفضل والفقه للإمام عليّ بن الحسين عليه السلام وكان ممّن يرجع إليه في ما يهتم من الأحكام الشرعية، وزوّي أنّه رأى في منامه كأنّ يده

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٣٣٣.

(٢) راجع ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام من تاريخ دمشق، تحقيق محمد باقر المصمودي:

مخضوبة، وفُتِرت له رؤيا بأنه يتلي بدم خطاً، وكان في ذلك الوقت عاملاً لبنى أمية، فعاقب رجلاً فمات في المضوبة، ففرغ وخاف من الله، وفرّ هارباً فدخل في غار يتعبد فيه، وكان الإمام عليه السلام قد مضى حاجاً إلى بيت الله الحرام فاجتاز على الغار الذي فيه الزهري، فقيل له: هل لك في الزهري حاجة؟ فأجابهم إلى ذلك، ودخل عليه فرآه فرضا خائفاً، فانطأ من رحمة الله، فقال عليه السلام له: إني أخاف عليك من غنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابحث بديّة مسلّمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك<sup>(١)</sup>.

فقال له: فرّجت عنّي يا سيدي، الله أعلم حيث يجعل رسالته<sup>(٢)</sup>.

#### د - المواجهة مع العقائد والأفكار المنحرفة:

حاول الأمويون سد باب المعرفة في وجه من أرادها بسياسات كان بعضها استمراراً للمخطط الأموي الذي بدأها أسلافهم وبعضها نتيجة لأفكار اخترعوها للحيلولة دون نشر الوعي في المجتمع، فمن الأول: ظاهرة منع تدوين الحديث، ومن الثاني: الترويج للأفكار المنحرفة.

#### ظاهرة منع تدوين الحديث:

إن الحديث الشريف هو أرسخ وأسمى سبل المعرفة من بعد القرآن الكريم، ولا يتيسر إدراك مضامين القرآن والإسلام الحقيقي إلا من خلال كلام وسنة المعصومين عليه السلام. ولا يتسنى نيل المعارف الإلهية السامية والسير على طريق الكمال الإنساني إلا عن هذا الطريق. وبكلمة واحدة

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٦: ٣٩٨، مع اختلاف بير، مستترك الرسائل ١٨: ٢٢٢، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٨.

إن الحديث لهُو أم لكثير من العلوم الإسلامية أو كلها. ولكن كيف وصل الحديث إلى أيدينا؟ وكيف انتهت السنة الشريفة، بوصفها الميراث النفيس للمعصومين عليهم السلام، إلينا؟ هذا الموضوع له حكاية طويلة يمتزج الحديث عنها مع مرارة تاريخ الثقافة والحضارة الإسلامية. فالأحداث السياسية التي حصلت من بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله استتبعت من ورائها تقلبات ثقافية واسعة. فكان منع تدوين الحديث ونشره وفرض بعض القيود في هذا المضمار سببا لتفشي ظاهرة جعل وتحريف هذا الميراث الغني. كما أدت تلك الأسباب مضافا إليها أسباب أخرى إلى أن تمتد أيدي الزيف والتفادق لغرس الأشواك في تلك الروضة المحمدية البهية ونشروا فيها الأعشاب الضارة، عبر السبل التي انتهجها أصحاب الآراء والمعتقدات الأخرى. فشرها وجهها الناصع بتلك الاغراض والمآرب.

أن المصادر التاريخية والشواهد الكثيرة تشير إلى أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي كان عليه بيان الحقائق القرآنية كان يبيِّن عقائد الإسلام وشرائعه وأحكامه في ضوء أحاديث يحدث بها أتباعه والمؤمنين به، ولذا حثهم في مواضع متعددة على كتابة تلك الأحاديث وتدوينها ونشرها كما قال صلى الله عليه وآله في رواية عبدالله بن عمرو حين قال: قلنا: يا رسول الله إن نسمع منك أشياء لا نحفظها، فنكتبها؟ قال صلى الله عليه وآله: بلى، فاكتبوها<sup>(١)</sup>.

وقال عبدالله بن عمرو: أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم بشر



يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمكنك عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق<sup>(١)</sup>.

بل في اعتقادنا أن ظاهرة منع تدوين الحديث قد ضيع الكثير من حديث رسول الله ﷺ في الصحاح والسنن، وروج الوضع والتحريف فيه الحديث.

وأغلب الظن أن الوجه في منع تدوين الحديث ونشره ومدارسته ومذاكرته وكتابته بعد رسول الله ﷺ هو نفس الوجه الذي منع من كتابة الصحيفة يوم الخميس عند احتضار النبي ﷺ، فالغاية بداية ونهاية وقبل رحلته وبعدها لم تتغير، وقد ذكر المؤرخون حديث ابن عباس في ذلك.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام أول من صنف في الفقه، ودون الحديث النبوي، ولم يوافق عمر بن الخطاب على رأيه.

قال السيوطي (ت: ٩١١هـ): كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كبير في كتابة العلم، فكرهها كثير منهم، وأباحها طائفة وفعلوها، وذكر منهم: علي وإبنة الحسن<sup>(٢)</sup>. فكتب (الجامعة) وهي من إملاء رسول الله ﷺ وخط علي عليه السلام، كان يبلغ سبعين ذراعاً، وقد تواتر نقله في أحاديث الأئمة من أهل البيت عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

وكان لسلمان مدونة في الحديث كما يقول ابن شهر آشوب<sup>(٤)</sup>.

(١) سنن الدارمي ١: ١٢٥.

(٢) تدريب الرازي ١: ٢، أعيان الشيعة ١: ٢٧١.

(٣) راجع تفصيل ذلك في أعيان الشيعة ١: ٢٩٠.

(٤) راجع: معالم العلماء: ١.

وعلي بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ كان من فقهاء الشيعة وخواص أمير المؤمنين.

قال النجاشي: وهو تابعي من خيار الشيعة، كانت له صحبة من أمير المؤمنين، وكان كاتباً له، وحفظ كثيراً، وجمع كتاباً في فنون الفقه كالزعماء والصلوة، وسائر الأبواب وكانوا يعظمون هذا الكتاب<sup>(١)</sup>.

ومنهم: سعيد بن المسيب، أحد الفقهاء الستة، والقاسم بن محمد بن أبي بكر. قال أبو أيوب: ما رأيت أفضل منه.

وفي كتاب الكافي عن يحيى بن جرير قال: قال أبو عبد الله الصادق ﷺ: كان سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبو خالد الكابلي من ثقات (علي بن الحسين) ﷺ<sup>(٢)</sup>.

ومهما يكن من أمر فقد كان فقهاء الشيعة وعلى رأسهم أئمة المسلمين من أهل البيت صلوات الله عليهم يقرءون الحركة الفكرية في العالم الإسلامي، وتنطلق هذه الحركة من المدينة المنورة بشكل خاص واستمر على ذلك بجهود الإمام الجواد ﷺ.

### ظاهرة الترويج للأفكار المنحرفة:

إن الخلافات الكلامية إنما جاءت بايعاز وتشجيع كامل من قبل السلطات الحاكمة في ذلك الزمان، ولقد انتهج بنو أمية هذا المسار، وقاموا بإثارة الخلافات الكلامية فيما بين المسلمين على صعيد الجدل، وهو السبيل الذي رآه الأمويون مناسباً لاشغال المسلمين عن قضاياهم

(١) رجال النجاشي: ٩.

(٢) الكافي: ١: ٤٧٢، روى: تأيسر الشيعة لعلم الإسلام: ٢٩٩.

المصيرية. فأشاعوا الأفكار المنحرفة بغية إيجاد التفرقة في صفوف المسلمين واشغالهم بما لا يضر بسلطان بني أمية، ومن هذه المناقشات الكلامية الخلاف الذي وقع بين المسلمين حول: هل يزيد الإيمان أم لا؟ ووضعوا لأجل كلاً منهم أحاديث يدعم بها كل فريق رأيه، وضرب الفريق الآخر، فمثلاً في قضية زيادة ونقصان الإيمان وضعوا حديث: قال رسول الله ﷺ: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، من قال غير ذلك فهو مبتدع. وضع هذا الحديث أحمد بن محمد بن حرب<sup>(١)</sup>.

فكان مقابلاً لهذا الحديث حديث: قال رسول الله ﷺ: من زعم أن الإيمان يزيد وينقص فنقصت فزيادته نفاق، ونقصانه كفر، فإن تابوا، وإلا قاضربوا أعناقهم بالسيف. وضع هذا الحديث محمد بن القاسم الطائفاني<sup>(٢)</sup>.

وكان هذا المسير الخطير له من النتائج ما جاءت بعدها من فتنة القول بخلق القرآن في عصر العباسيين، والتي كانت مدعاة لوضع أحاديث مختلفة وجاءت أحاديث كثيرة تكفر من يقول بخلق القرآن<sup>(٣)</sup>.

وفتنة القول بخلق القرآن ذهب ضحيتها الكثير من المسلمين، وألهب الحكام بسببها ظهور الكثير من الأبرياء بالسياط وقتلوا بعضاً منهم لمخالفتهم رأي الأمير الذي تبناه في تلك المسألة.

ولقد نجح الأمراء في اشغال الأمة الإسلامية وابعادها عن الأمور السياسية للدولة، وكذلك نجحوا في القضاء على الكثير من العلماء

(١) تنزيه الشريعة ١: ١٥٠.

(٢) تنزيه الشريعة ١: ١٤٩.

(٣) اللآلئ المستوعبة ١: ٤.

والأشخاص الذين خالفوهم في الرأي الذي تبوه. وظهرت المجسمة فوضعت أحاديثها وأباطيلها وهي تصور الله وهو ينزل في ليالي الجمعة إلى الدنيا ويجلس على كرسي من نور، أو أنه تعالى يتقدم الملائكة ماشياً وهم خلفه صفاً صفاً، إلى الكثير من الأقاويل والافتراءات التي ابتلي بها الإسلام والمسلمون<sup>(١)</sup>.

ولقد قام الأئمة عليهم السلام بمواجهة الأفكار المنحرفة بكل ما أوتوا من قوة، ولم يتوانوا عن تنوير الأفكار حتى في أخرج الظروف، ومنهم الإمام السجاد عليه السلام، حيث واجه فكرة القول بالجبر التي كان يتبناها الطواغيت في عصره تبعاً لاسلافهم، ودافع عن الحقيقة بكل جرأة وعمل على تنوير الأفكار في أخرج الظروف، ففي مجلس ابن زياد حيث توجه الطاغية إلى الإمام علي بن الحسين عليهما السلام فقال: مَنْ أنت؟ قال: انا علي بن الحسين. فقال الطاغية: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال علي عليه السلام: «قد كان لي أخ يسمى علياً قتلته الناس». فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: «اللَّهُ يَتَوَلَّى الْإِنْفُسَ الَّتِي مَوَّهَهَا»، فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي، وفيك بقية للمرة علي؟ اذهبوا به فاضربوا عنقه<sup>(٢)</sup>.

فتعلقت به حمته زينب وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دماننا، واعتنقته وقالت: لا والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه، فقال لها علي عليه السلام: اسكني يا عمّة حتى أكلمه، ثم أقبل عليه فقال: أبالقتل

(١) راجع: السويطي في اللآلئ المصنوعة ١: ٤٣٤ - ٤٣٥ والبداءة والنهاية ٦: ٢٤٦ وتاريخ بغداد ٣: ٢٢٣، وج ٤: ١١٧.

(٢) الإرشاد للمفيد ٢: ١١٦، وقمة الطغ ٢٦٢، ٢٦٣، أعيان الشيعة ١: ٦١٤.

تهتدي يابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة؟ ثم أمر ابن زياد بعلي بن الحسين عليه السلام وأهل بيته فحملوا إلى دار بجانب المسجد الأعظم<sup>(١)</sup>.

وقد تقدم ما ورد عنه في القضاء والقدر، من أن رجلاً سأله: جملني الله فذاك، أيقدر يصيب الناس ما أصابهم أم يعمل؟ فأجابه عليه السلام: «إنَّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير جسد لا تحس، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلحا، كذلك العمل والقدر... الخ».

ثم قال عليه السلام: «ألا إنَّ من أجور الناس من رأى جوراً عدلاً وعدلًا مهتدي جوراً، ألا إنَّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عز وجل بعبده خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما العيب - في نسخة: فأبصر بهما الغيب -، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه» ثم التفت إلى السائل عن القدر فقال: «هذا منه، هذا منه»<sup>(٢)</sup>.

هـ - مواجهته عليه السلام لمن حاولوا التلبس بلباس الزهد لاغفال العامة:

ومن أساليب الإمام عليه السلام في مواجهة الانحرافات الفكرية: هو مقابلته لمن حاولوا التلبس بلباس الزهد لاغفال العامة وجلب الوجوه اليهم، فقابلهم بقوله عليه السلام: «وقد انتحلت طوائف من هذه الأمة بعد

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٤٣ مرسلاً، واللهوف في خلق الطوفان: ٩٥.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٦٦ - ٣٦٧ منشورات جامعة المتزسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، الطبعة السادسة.

مفارقتها أئمة الدين والشجرة النبوية إخلاص الديانة وأخذوا أنفسهم في مغايل الرهبانية وتخالوا في العلوم ووصفوا الإسلام بأحسن صفاتهم وتحلوا بأحسن السنة حتى إذا طال عليهم الأمد وبعدت عليهم الشقة وامتنحوا بمحن الصادقين رجموا على أعقابهم ناكسين عن سبيل الهدى وعلم النجاة ينفسحون تحت أعباء الديانة تفسح حاشية الإبل تحت أوراق البزل:

ولا تحرز سبق الرزايا وإن جرت ولا يبلغ الغايات إلا سبقوها  
 وذهب آخرون إلى التخصير في أمرنا واحتجوا بمشابه القرآن فتأولوه  
 بآرائهم وانهموا مأنور الخبر مما استحسنوا يقتحمون في أغمار الشبهات  
 ودياجير الظلمات بغير قيس نور من الكتاب ولا أثره علم من مظان العلم  
 بتحذير مبطلين زعموا أنهم على الرشد من غيهم وإلى من يفرغ خلف  
 هذه الأمة وقد درست أعلام الملة ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف بكفر  
 بعضهم بعضا والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَيْنِ مَا  
 بَاءَهُمُ الْبَيْتُ﴾<sup>(١)</sup> فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكمة إلا  
 أهل الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم  
 على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة هل تعرفونهم أو تجدونهم  
 إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم  
 الرجس وطهرهم تطهيرا وبراهم من الآفات وافترض مودتهم في  
 الكتاب:

هم العروة الوثقى وهم معدن النقى وغير حبال العالمين وثيقها<sup>(٢)</sup>

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ١٠٥.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، لملي بن أبي الفتح الإربلي ٢: ٣١٠ - ٣١١.

## و - بيان الحقوق :

وكنموذج لمعارف الإمام عليه السلام وعلموه التي سجلها لنا التاريخ : رسالة الحقوق ، حيث تكفّلت تنظيم أنواع العلاقات الفردية والاجتماعية للإنسان في الحياة بنحو يحقق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات ، ويجمع لهما عوامل الاستقرار والرفق والازدهار .

فقد نظر الإمام عليه السلام بعمق وشمول إلى الإنسان ، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته مع خالفه ونفسه وأسرته ومجتمعه وحكومته ومعلمه وكل من يرتبط به أدنى ارتباط . ويمكن أن يقال : إن تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس تعيين مجموعة الحقوق بشكل دقيق هو الرصيد الأول للنظام الاجتماعي الإسلامي ، وهو المبنى المعقول للتشريعات الإسلامية عامة ، فإن الذي يفهم عمق هذه الرسالة ، ويدرس بدقة حقوق الخالق وحقوق المخلوقين بعضهم تجاه بعض ، يتسنى له أن يفهم أسرار التشريع الإسلامي ، وفلسفة الأحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لتنظيم حياة الإنسان الفردية والاجتماعية .

إن العدالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإدارية لن تتحقق ما لم يُطبّق نظام الحقوق بشكل دقيق أولاً ، وتنظّم الأحكام والتشريعات على أساس تلك الحقوق ، وفيما نعلم أنّ الإمام عليه السلام قد سبق العلماء والقانونيين جميعاً في دنيا الإسلام ، بل في دنيا الإنسان في هذا المضمار الذي على أساسه ترتكز أصول الأخلاق والتربية ونظم الاجتماع .

وفد كتب الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الرسالة العظيمة واتحف بها بعض أصحابه ، ورواها العالم الكبير ثقة الإسلام ثابت بن أبي صفية ،

المعروف بأبي حمزة الثمالي، تلميذ الإمام عليه السلام، كما رواها عنه كبار علماء الأمة بأسانيدهم كالحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (ت: ٣٣٦هـ) في «تحف العقول» والمحدث الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ) في كتابه «الخصال»، وثقة الإسلام الكليني (ت: ٣٢٩هـ) كما نقله عنه السيد ابن طاووس في «فلاح السائل» عن كتاب «الرسائل»<sup>(١)</sup> بإسناده إلى مولانا زين العابدين عليه السلام وهو يدل على كون الحديث مسنداً عن الكليني أيضاً. إلا أن كتاب (رسائل الأئمة) للشيخ الكليني مفقود، وابن طاووس نقل ذلك عنه بحذف الإسناد، وهذه الكتب من المصادر القديمة الموثوقة.

والإمام عليه السلام قبل بيانه للحقوق يشير إلى أن هناك حقوقاً محيطاً بالإنسان، ولا يذله من معرفتها، ثم يبين أكبر الحقوق وهو ما يرتبط بالله سبحانه بالنسبة لعبده، ثم يفرع عليها حقوق الإنسان المفروضة من الله تعالى نفس الإنسان، فيبين أنواع علاقة الإنسان بنفسه من خلال المنظار الألهي، ثم ينتهي إلى أنواع العلاقة بين الإنسان وبيئته التي تشتمل على قادة ومفكرين ورعاة ورعية، مع بيانه لأنواع الأئمة والمأمومين ودرجاتهم، ثم يبين سائر العلاقات مع الأرحام والأسرة وأعضائها، ثم من تشتمل عليه الأسرة من الموالى والجواري، ثم سائر ذوي الحقوق كالمؤذن والإمام في الصلاة، والجلس والشريك والغريم

(١) وهو كتاب «رسائل الأئمة» للشيخ الكليني رحمه الله. وهو من الكتب المفقودة في العصر الحاضر، جراء ما حدث من الأحداث على تراث الشيعة من قبل أعداء الدين في العصور الفائرة، وقد كان الكتاب في متناول علمائنا في القرون الأولى، ونقلوا منه بعض مكاتيب الأئمة. وللضبط وإيجاع كتاب: «مكاتيب الأئمة» للشيخ الأحمدي، المطبوع مؤخرًا في ثلاثة مجلدات.



والخصم والمستشير والمشير، والمستنصح والناصح والسائل والمسؤول والصغير والكبير.. حتى ينتهي إلى من يشترك مع الإنسان في دينه من بني الإنسان، ثم حقوق من يشترك مع الإنسان في الإنسانية وفي النظام السياسي الذي يخضع له، وإن لم يكن من أهل ملته ودينه<sup>(١)</sup>.

(١) نصدى جملة من العلماء والقانونيين لشرح هذه الرسالة المفيدة وبشئ اللغات وعلى مختلف المستويات، ومنها:

- روضة المتقين شرح الفقيه، للمحدث المولى محمد تقي المجلسي الأول (ت: ١٠٧٠هـ) في (ج ٥، ص ٥٠٠ - ٥٢٧).

- مكارم الأخلاق، للطبرسي صاحب مجمع البيان (ق ٦) (ص ٤٥٥).

- بحار الأنوار، للعلامة المجلسي محمد باقر بن محمد تقي (ت: ١١١٠هـ) في الجزء (٧٤).

- عوالم العلوم والمعارف، للشيخ عبده البحراني (ق ١٢) في الجزء (١٨).

- أحياء الشيعة، للسيد محسن الأمين العاملي (ج ٤ ص ٢١٥ - ٢٣٠).

- بلاغة علي بن الحسين عليه السلام، للشيخ جعفر عباس الحائري (ص ١٣٠ - ١٦٣).

- الإمام زين العابدين عليه السلام، للسيد عبد الرزاق المقوم الموسوي (ت: ١٣٩١هـ) (ص ١١٨ - ١٣٥).

- حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، للشيخ باقر شريف القرشي (ت: ١٤٣٥هـ) (ص ٢٧٧ - ٥١١).

- شرح رسالة الحقوق، للخطيب السيد حسن الطائفي الحسيني، في مجلدين، طبعاً في النجف، وفي قم (١٤٠٦) وبيروت.

ومن شاء التضميل والاستفادة بأنوارها - أكثر مما مر - فليراجعها.

مصادر رسالة الحقوق:

إن أقدم من نقل هذه الرسالة هو ابن شعبة الحراني (ت: ٣٣٦هـ) في كتابه تحف العقول، ص ٢٥٥، تحت عنوان: رسائله عليه السلام المعروفة برسالة الحقوق.

كما رواها الشيخ الجليل الصلوقي (ت: ٣٨٦هـ) في كتابه: الخصال، ج ٢، ص ٥٦٤، ح ١،

بالإسناد عن علي بن أحمد بن موسى رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن أبي عبيدة الكوفي

(٢) قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مالك الفزاري قال: حدثنا خير بن داهر (٢) قال:

حدثني أحمد بن علي بن سليمان الجبلي، عن أبيه، عن محمد بن علي (٢)، عن محمد بن

فضيل، عن أبي حمزة الثمالي قال: هذه رسالة علي بن الحسين عليه السلام إلى بعض أصحابه.... =

## بيان الحقوق بصورة إجمالية:

قال ﷺ: **إعلم - رحمك الله - أن لله عليك حقوقاً محيطية بك في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبها، وأكلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض.**

وردواها في كتابه الآخر: من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٦٨، في باب الحقوق، الحديث ٣٦٤، وفيه: روى إسماعيل بن الفضل، عن ثابت بن دينار عن سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «حق الله الأكبر... إلى آخر الحديث». ورواها الشيخ الصلوقي أيضاً في كتاب «الأمالي»، ص ٤٥٦، في المجلس ٥٩، مجلس يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة، الحديث: ٦٦٠، وفيه: حدثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي (رضي الله عنه)، قال: حدثنا علي بن أحمد بن موسى (رضي الله عنه)، قال: حدثنا محمد بن جعفر الكوفي الأسدي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثنا عبيد الله بن أحمد، قال: حدثنا إسماعيل بن الفضل، عن ثابت بن دينار الثمالي، عن سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: حق نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله عز وجل.... الحديث.

وردواها أيضاً في الإسلام الكليني (ت: ٣٢٩هـ) كما في المثلث من ابن طاووس في فلاح السائل من قوله: (روينا بإسنادنا في كتاب الرسائل عن محمد بن يعقوب الكليني، بإسناده إلى مولانا زين العابدين عليه السلام) وهو يدل على كونه الحديث مسنداً عن الكليني أيضاً. إلا أن كتاب (رسائل الأئمة) للشيخ الكليني مفقود، وابن طاووس نقل ذلك عنه بهدول الإسناد.

هذه جملة من المصادر الأساسية التي أوردت الحديث بصورة شبه كاملة مع بعض الاختلاف من حيث التقديم والتأخير في بعض الفقرات والكلمات. ويجدر هنا الإشارة إلى أن هذه المصادر الأساسية قد قام بتحقيقها جماعة من أجلة علماءنا رحمهم الله تعالى، مما يوجب الاطمئنان إلى صحتها وإمكان الاعتماد على ما ورد فيها. وإلى جانب ذلك هناك العشرات من المصادر الثانوية التي تكفلت نقل هذا الحديث، ومن أهم المصادر ما نقله المحدث الثوري رحمه الله (ت: ١٢٢٠هـ) في كتاب «استدرك الوسائل» ١٦: ١٥٤ - ١٦٠، الحديث. وأقدم المصادر التي نقلت هذه الرسالة هو كتاب «تحف العقول»، لابن شعبة الحراني رحمه الله (ت: ٣٣٦هـ).

وأَكْبَرُ حَقُوقِ اللَّهِ عَلَيْكَ: مَا أَوْجِبَهُ لِنَفْسِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْحَقُوقِ وَمِنْهُ تُفْرَعُ.

ثُمَّ مَا أَوْجِبَهُ عَلَيْكَ لِنَفْسِكَ مِنْ قَرْنِكَ إِلَى قَدَمِكَ عَلَى اخْتِلَافِ جَوَارِحِكَ، فَجَعَلَ لِبَصْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِسَمْعِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِللِّسَانِ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِلْيَدِ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِلرَّجْلِ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِبَطْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِفَرْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَهَذِهِ الْجَوَارِحُ السَّبْعُ الَّتِي بِهَا تَكُونُ الْأَفْعَالُ.

ثُمَّ جَعَلَ عَزْوَاجَكَ لَأَفْعَالِكَ عَلَيْكَ حَقُورًا؛ فَجَعَلَ لَصَلَاتِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَصُومَكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِمَصَدَّتِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَهْدِيكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَأَفْعَالِكَ عَلَيْكَ حَقًّا.

ثُمَّ تَخْرُجُ الْحَقُوقُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ مِنْ ذَوِي الْحَقُوقِ الرَّاجِبَةِ عَلَيْكَ، وَأَوْجِبَهَا عَلَيْكَ حَقُوقُ أَمْتِكَ، ثُمَّ حَقُوقُ رَعِيَّتِكَ، ثُمَّ حَقُوقُ رَحِمِكَ، فَهَذِهِ حَقُوقُ يَنْشَبُ مِنْهَا حَقُوقُ.

فَحَقُوقُ أَمْتِكَ ثَلَاثَةٌ: أَوْجِبَهَا عَلَيْكَ حَقٌّ مَائِكَ بِالْسلْطَانِ، ثُمَّ حَقٌّ مَائِكَ بِالْعِلْمِ، ثُمَّ حَقٌّ مَائِكَ بِالْمَلِكِ، وَكُلُّ مَائِنِ إِمَامٍ<sup>(١)</sup>.

وَحَقُوقُ رَعِيَّتِكَ ثَلَاثَةٌ، أَوْجِبَهَا عَلَيْكَ: حَقٌّ رَعِيَّتِكَ بِالْسلْطَانِ، ثُمَّ حَقٌّ رَعِيَّتِكَ بِالْعِلْمِ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ رَعِيَّةَ الْعَالِمِ، وَحَقٌّ رَعِيَّتِكَ بِالْمَلِكِ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَمَا مَلَكَتِ الْأَيْمَانُ.

وَحَقُوقُ رَحِمِكَ كَثِيرَةٌ مَتَّصِلَةٌ بِقَدْرِ اتِّصَالِ الرَّحِمِ فِي الْقَرَابَةِ؛ فَأَوْجِبَهَا عَلَيْكَ: حَقٌّ أَمَتِكَ، ثُمَّ حَقٌّ أَبِيكَ، ثُمَّ حَقٌّ وَلَدِكَ، ثُمَّ حَقٌّ أَخِيكَ، ثُمَّ

(١) السَّائِسُ: الْقَائِمُ بِأَمْرِ وَالْمُنْتَزِعُ لَهُ.

الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجارية نعمتك عليه، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤدبك بالصلاة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليتك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه<sup>(١)</sup>، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق غليطك<sup>(٢)</sup>، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستصحبك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرة بذلك بقول أو فعل، عن تعمد منه أو غير تعمد منه، ثم حق أهل ملتك عامة، ثم حق أهل الذمة<sup>(٣)</sup>.

ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب. فطوبى لمن أعانته الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدده.

(١) لم تكتب على تفاصيل (حق الغريم الذي تطالبه) في النسخ المتوفرة من هذه الرسالة، ولعلها كانت مذكورة ضمن حق الغريم المذكور بالرغم ٣٥، فإن الغريم كما يطلق على المدين فإن يطلق على الدائن أيضا، وربما كان موجوبا في بعض النصوص القديمة بصورة منفردة، ولغرضها لم نقل منها في النسخ التي وصلتنا بين أيدينا وأعرض الناسخون عن إثباتها في المصادر المتوفرة، نظير ما حصل بالنسبة إلى (حق الحج) الذي اختصت بفقه رواية الخصال. (راجع الرغم ١٠ من رسالة الحقوق).

(٢) الخليط: المشارك في حقوق الملك كالشرب والطريق ونحو ذلك. وخليط القوم: مخالطهم. (لسان العرب، ج ٧، ص ٢٩٩).

(٣) في بعض النسخ: أثم حق أهل ملتك عليك، ثم حق أهل فمكتك.

## النوع الثالث: المجادلة بالنبي هي أحسن

وهذا أسلوب ثالث من الأساليب التي مارسها الإمام في إصلاح المجتمع، وهو تطبيق لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالنَّوْظَانِ لُفْسَةً وَعَدِلْ لَهُم بِالْقُرْآنِ مِنْ أَحْسَنَ﴾<sup>(١)</sup>. وغالباً ما استفاد الإمام من هذا الأسلوب في المواجهة مع المخالفين، لأن الجدل في الأساس هو عملية محاولة اقناع الخصم بالأدلة التي يتعامل معها في حياته غالباً حتى لو لم تكن تلك الأسس هي ما يعتمد عليها المجادل نفسه، كالأساليب التي مارسها الإمام الرضا في قبال المسيحيين حيث قال عليه السلام طارحاً السؤال على الجاثليق: هل إن عيسى كان يصلي؟

فأجاب الجاثليق: وهل يعقل لعيسى أن يترك الصلاة؟!

فقال عليه السلام: فلن كان يصلي إذا كان هو الله نفسه؟

فإن كان يصلي فأذن هو عبد لله، لأن العبادة هي بمعنى العبودية.

وهكذا فقد استفاد الإمام من عقيدة المسيحي نفسه. فبدأ الحديث قائلاً: إن جميع حياة المسيح كانت حسنة إلا أنه لم يكن يشعبد ولا يصلي.

فأنهري المسيحي متعجباً من هذا الكلام وقال: إن عيسى كان من أعبد أهل زمانه وعبادته كانت أكثر من الجميع.

فقال الإمام: إن كان عابداً حقاً فهو أذن عبد لله، لا أنه ابن الله.

وجرى مثل ذلك فيما حكاه القرآن لإرشاد الكفار حيث تسائل

أحدهم قائلاً: ﴿مَنْ يُتَى الْيَتَامَىٰ مِنْ رَبِّهِ﴾ فاجابه القرآن الكريم قائلاً: ﴿قُلْ يُحِبُّهَا آلَ اللَّهِ أَنْتَاهَا بِئْسَ مَثْوًى﴾<sup>(١)</sup>.

ومجادلات المعصومين كانت جميعها بالتي هي أحسن، وقد جمع العلامة الطبرسي جملةً من احتجاجات المعصومين الأربعة عشر: الرسول ﷺ والزهراء ﷺ والأئمة الاثني عشر ﷺ في كتابه المعروف بالاحتجاج، ومنها: احتجاجات الإمام زين العابدين ﷺ.

ونشير هنا إلى الإصلاحات التي قام بها الإمام زين العابدين ﷺ بأسلوب المجادلة بعدة طرق:

### ١ - احتجاجات الإمام بطريق المناظرة:

إنَّ من الاحتجاج والمناظرة العلمية فنَّ جليل، لما ينبغي أن يتمتع به المناظر من مقدرة علمية وإحاطة ودقَّة ولياقة أدبية خاصة.

وقد تميَّز أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين بهذا الفن، واستطاعوا من خلال هذا المجال إفحام خصومهم وإثبات جدارتهم العلمية بنحو لا يدع مجالاً للريب في أنهم مؤيدون بتأييد ريثاني، وكما عبر بعض أعدائهم: أنهم أهل بيت قد زُفوا العلم زُفاً.

١ - جاء رجل من أهل البصرة إلى علي بن الحسين ﷺ فقال: يا علي بن الحسين، إنَّ جدَّك علي بن أبي طالب قتل المؤمنين، فهملت عينا علي بن الحسين دموعاً حتى امتلأت كفه منها، ثم ضرب بها على الحصى، ثم قال: يا أخا أهل البصرة، لا والله ما قتل علي مؤمناً، ولا قتل مسلماً، وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكنتموا الكفر وأظهروا

(١) القرآن الكريم، سورة يس ٣٦: ٧٩.

الإسلام، فلما وجدوا على الكفر أعوانا أظهروه، وقد علمت صاحبة الجذب<sup>(١)</sup> والمستحفظون من آل محمد ﷺ أَنَّ أصحاب الجمل وأصحاب صفين وأصحاب النهروان لعنوا على لسان النبي الأُمِّي، وقد خاب من افترى<sup>(٢)</sup>.

فقال شيخ من أهل الكوفة: يا علي بن الحسين، إِنَّ جَدَّكَ كَانَ يقول: «إخواننا بغوا علينا».

فقال علي بن الحسين ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، فهم مثلهم، أنجى الله عز وجل هودا والذين معه وأهلك عاداً بالريح العقيم<sup>(٤)</sup>».

٢ - وعن أبي حمزة الثمالي قال: دخل فاضل من قضاء أهل الكوفة على علي بن الحسين ﷺ فقال له: جعلني الله فداك، أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْفُرَىٰ أَتَىٰ بُرْصَتَنَا فِيهَا قَرَىٰ ظَهْرُهُ وَقَدَرْنَا فِيهَا الشَّيْءَ مِيْرُطًا فِيهَا تَبَالَىٰ وَلَيْسَ أَمِينٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال له ﷺ: «أما يقول الناس فيها يَبْلُكُكُمْ»<sup>(٦)</sup>.

قال: يقولون إِنَّهَا مَكَّة.

فقال ﷺ: «أهل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكة»<sup>(٧)</sup>.

قال: فما هو؟

قال ﷺ: «إِنَّمَا عَنِ الرِّجَالِ».

(١) كفا في النسخ والمصدر، ولعله كتابة عن صاحبة الجمل واليهودج.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ٦٥.

(٣) الاحتجاج، للطبرسي ٢: ٤٠.

(٤) القرآن الكريم، سورة سبأ ٣٤: ١٨.

قال: وأين ذلك في كتاب الله؟

فقال ﷺ: «أو ما تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَرَّبَيْكَ عَتَقْتَ عَنْ أَنفُسِهِمْ وَرُسُلَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿وَقَالَتِ الْفِرْعَوْنُ أَطَعَكُمُ﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿وَتَشْتَلِي الْقَرْيَةَ﴾<sup>(٣)</sup> أليس أكلنا فيها؟<sup>(٤)</sup> أليس الرجال أو العير؟

قال: وتلا عليه آيات في هذا المعنى.

قال: جعلت فداك، فمن هم؟

قال: نحن هم.

فقال ﷺ: «أو ما تسمع إلى قوله: ﴿مَبِئُوثًا فِيهَا لَبَائِلٌ وَلَهُمَا مَا بَيْنَ﴾<sup>(٥)</sup>».

قال ﷺ: «أمنين من الزيف»<sup>(٦)</sup>.

٣- وروي: أَنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ ﷺ مرَّ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَهُوَ يَعْظُ النَّاسَ بِمَعْنَى، فَوَقَفَ ﷺ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «أَمْسِكْ، أَسْأَلُكَ عَنِ الْحَالِ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا مُقِيمٌ، أَرْضَاهَا لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ بِكَ غَدًا؟»<sup>(٧)</sup> قال: لا.

قال: «أَفَتَحَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالتَّحَوُّلِ وَالْإِنْتِقَالِ عَنِ الْحَالِ الَّتِي لَا تَرْضَاهَا لِنَفْسِكَ إِلَى الْحَالِ الَّتِي تَرْضَاهَا؟» قال: فأطرق مليًا ثم قال: إنِّي أقول ذلك بلا حقيقة.

قال: «أفترجو نبيًا بعد محمد ﷺ يكون لك معه سابقة؟»<sup>(٨)</sup>

(١) القرآن الكريم، سورة الطلاق ٦٥: ٨.

(٢) القرآن الكريم، سورة الكهف ١٨: ٥٩.

(٣) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٨٢.

(٤) الاحتجاج، للطبرسي ٢: ٤١.



قال: لا.

قال: «أفترجو داراً غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها؟».

قال: لا.

قال: «أفرايت أحداً به مسكة عقلي رضي لنفسه من نفسه بهذا؟ إنك على حال لا ترضاها ولا تحدّث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة، ولا ترجو نبياً بعد محمّد، ولا داراً غير الدار التي أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها، وأنت تعظ الناس؟».

قال: فلما ولي عليه السلام قال الحسن البصري: من هذا؟

قالوا: عليّ بن الحسين.

قال: أهل بيت علم. فما رُوي الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس<sup>(١)</sup>.

٤ - وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يحدث رجلاً من قريش قال: لما تاب الله على آدم واقع حواء ولم يكن غشياً منذ خلق وخلقته إلّا في الأرض، وذلك بعد ما تاب الله عليه، قال: وكان آدم يعظم البيت وما حوله من حرمة البيت، فكان إذا أراد أن ينشئ حواء يخرج من الحرم وأخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشياً في الحقل، ثمّ ينتسلان إعظاماً منه للحرم، ثمّ يرجع إلى فناء البيت.

قال: فولد لآدم من حواء عشرون ذكراً وعشرون أنثى، فولد له في كلّ بطن ذكر وأنثى، فأول بطن ولدت حواء «هابيل» ومعه جارية يقال لها: «أقليما»، قال: وولدت في البطن الثاني «قابيل» ومعه جارية يقال

لها: «لوزا»، وكانت لوزا أجمل بنات آدم، (قال): فلما أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه فقال: أريد أن أنكحك يا هابيل لوزا، وأنكحك يا قابيل أقليما.

قال قابيل: ما أرضى بهذا، أنكحني أخت هابيل القبيحة، وتنكح هابيل أختي الجميلة؟

قال: فأننا أقرع بينكما، فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزا وخرج سهمك يا هابيل على أقليما زوجت كل واحد منكما التي خرج سهمه عليها، قال: فرغيا بذلك فاقترعا، قال: فخرج سهم هابيل على لوزا وأخت قابيل، وخرج سهم قابيل على أقليما أخت هابيل، قال: فزوجهما على ما خرج لهما من عند الله، قال: ثم حرم الله نكاح الأخوات بعد ذلك.

قال: فقال له القرشي: فأولداهما؟

قال: نعم.

قال: فقال القرشي: فهذا فعل المجوس اليوم!

قال: فقال علي بن الحسين: «إن المجوس إنما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله».

ثم قال له علي بن الحسين عليه السلام: «لا تنكر هذا، إنما هي الشرايع جرت، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها له؟ فكان ذلك شريعة من شرايعهم، ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك»<sup>(١)</sup>.

٥ - روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لما قتل الحسين بن

عليّ عليه السلام أرسل محمّد بن الحنفية إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فغلا به ثم قال: يا بن أخي! قد علمت أنّ رسول الله كان جعل الوصية والإمامة من بعده لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ثم إلى الحسن، ثم إلى الحسين، وقد قتل أبوك (رضي الله عنه) وصلى عليه ولم يوصي، وأنا صمك وصنو أبيك، وأنا في سنّي وقدمي أحقّ بها منك في حداثتك، فلا تنازعني الوصية والإمامة ولا تخالفني.

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: «اتق الله ولا تدع ما ليس لك بحق، إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين، يا عم! إنّ أبي صلوات الله عليه أوصى إلى قبل أن يتوجه إلى العراق، وعهد إليّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فلا تعرض لهذا فإنّي أخاف عليك بنقص العمر وتشتت الحال، وإنّ الله تبارك وتعالى أبي إلّا أن يجعل الوصية والإمامة إلّا في عقب الحسين، فإن أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتّى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك». وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما تقدم<sup>(١)</sup>.

٦ - وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بذاته، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض ولو لا ما في الأرض منّا، لساخت الأرض بأهلها».

ثم قال: «ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله، ولو لا ذلك لم يعبد الله»<sup>(١)</sup>.

٧ - المناظرة مع ابن زياد في دار إمارة الكوفة:

روى المحدثون أن ابن زياد التفت إلى علي بن الحسين عليه السلام وقال له: مَنْ أنت؟ فقال علي بن الحسين فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال علي عليه السلام: «قد كان لي أخ يسمى علياً قتلته الناس»، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال علي بن الحسين عليه السلام: «الله يَبْرُؤُ الْآفَاقَ يَوْمَئِذٍ»، فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للرد علي؟ اذهبوا به فاضربوا عنقه<sup>(٢)</sup>.

فتعلقت به عنته زينب وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دماننا، واعتنقت وقالت: لا والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه، فقال لها علي عليه السلام: اسكتي يا عمة حتى أكلمه، ثم أقبل عليه فقال: أبا القتل تهذني يا ابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة؟ ثم أمر ابن زياد بعلي بن الحسين عليه السلام وأهل بيته فحملوا إلى دار بجانب المسجد الأعظم<sup>(٣)</sup>.

(١) الاحتجاج، للطبرسي ٢: ٤٧ - ٤٨.

(٢) الإرشاد للمفيد ٢: ١١٦، وقصة الطف ٢٦٢، ٢٦٣، أعيان الشيعة ١: ٦١٤.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٤٣ مرسلاً، واللهموف في قتل الطفوف: ٩٥.

ب - تنوير الأذهان بتوضيح الحقائق بالمواجهة والمحادثة وجهاً لوجه :

وقد مارس الإمام السجاد هذا الأسلوب في الشام عند مواجهة الشيخ الشامي الذي دنا من الإمام السجاد عليه السلام عند دخول سبأيا آل محمد عليهم السلام وقال له : الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم.

فقال له علي بن الحسين عليهما السلام : يا شيخ ، أقرأت القرآن ؟ قال : بلى .

إلى ان قال : قال علي عليه السلام : فمن أهل البيت الذين اختصنا الله بآية الطهارة يا شيخ ، قال : بقي الشيخ ساكناً نادماً على ما تكلم به ، وقال : بالله إنكم هم ١٩

فقال علي بن الحسين عليهما السلام : نالته إنا لنحن هم من غير شك وحق جئنا رسول الله صلى الله عليه وآله إنا نحن هم .

فبكى الشيخ ورمى عمامته ، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إني أبرأ إليك من عدو آل محمد عليهم السلام <sup>(١)</sup>.

ج - الوعظ بأسلوب المباشرة مع الخصم :

ومن مظاهر هذا الأسلوب ، ما ذكره المؤرخون من أنه لما قدم علي بن الحسين عليهما السلام وقد قُتل الحسين بن علي عليهما السلام استقبله إبراهيم بن

(١) مقتل الخواري : ٢ : ٦٦ ، الملهوف على قلى الطغرف : ١٠٠ ، مقتل المرقم : ٢٢٩ عن تفسير ابن كثير والألويسي ، لوائح الأشجان : ٢١٩ ، كتاب الفتح ٥ : ١٢٠ ، مع اختلاف

طلحة بن عبيد الله وقال: يا علي بن الحسين، من غلب؟ وهو منظر رأسه وهو في المحمل، فقال له علي بن الحسين: «إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذن ثم أقم»<sup>(١)</sup>.

لقد كان جواب علي بن الحسين ﷺ أن الصراع إنما هو على الدين الذي تتجلى مظاهره في الأذان وتكبير الله تعالى والإقرار بوحدةانيته وليس الصراع صراعاً على الحكم والسلطان، وأن استشهاد الحسين والصنوفة من أهل بيته وأصحابه هو سب بقاء الإسلام المحمدي ونباته أمام جاهلية بني أمية وعتوها وطغيانها وطفبان من حذا حذوهم ممن لم يذوقوا حلاوة الإيمان والإسلام.

٨ - وروى أحمد بن علي الطبرسي في الاحتجاج، عن علي بن الحسين ﷺ أنه سئل عن النبيذ؟ فقال: قد شربه قوم وحرمه قوم صالحون، فكان شهادة الذين دفعوا بشهادتهم شهراتهم أولى أن تقبل من الذين جروا بشهادتهم شهراتهم<sup>(٢)</sup>.

٩ - وبالإسناد عن أحمد بن محمد عن ابن أبي نجران عن صباح الحذاء عن رجل عن أبي حمزة قال: قال علي بن الحسين ﷺ: يا ثمالي إن الصلاة إذا أقيمت جاء الشيطان إلى قرين الإمام فيقول: هل ذكر ربك؟ فإن قال: نعم ذهب وإن قال: لا ركب علي كتفيه فكان إمام القوم حتى ينصرفوا قال: فقلت جعلت فداك، ليس يقرأون القرآن؟ قال: بلى ليس حيث تذهب يا ثمالي إنما هو الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم<sup>(٣)</sup>.

(١) أمالي الطوسي: ٦٧٧.

(٢) وسائل الشيعة (ط: آل البيت) ٢٥ : ٣٥٦، ح ٣٢١١٤.

(٣) وسائل الشيعة (ط: آل البيت) ٦ : ٧٥، ح ٧٣٨٧.

## د - الوعظ بأسلوب المقارنة :

ومن الأساليب التي سلكها الإمام السجاد في توعية المجتمع : مقابلة دعاوى المنحرفين بأسلوب المقارنة ، وإليك بعض النماذج من ذلك :

١ - روى العلامة المجلسي في بحار الأنوار ، قال : إنه لما جئنا بالإمام علي بن الحسين أميراً في مجلس يزيد ، وأمر يزيد خطيب البلاط بأن يعلو المنبر ويظمن في أهل البيت وفعل الخطيب ما أمر به ، قال علي بن الحسين عليه السلام : يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات لله فيهن رضا ، ولهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب ، قال : فأبى يزيد عليه ذلك فقال الناس : يا أمير المؤمنين ائذن له فليصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئاً... قال : فلم يزالوا به حتى أذن له فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة أبكى منها الميئون ، وأوجل منها القلوب ، ثم قال : أيها الناس ، أعطينا سقاً وفضلنا بسبع... ولم يزل يقول : أنا أنا ، حتى خجج الناس بالبكاء والنحيب ، وخشي يزيد لعنه الله أن يكون فتنة فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام فلما قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر قال علي : لا شيء أكبر من الله ، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال علي بن الحسين : شهد بها شعري وشرعي ولحمي ودمي ، فلما قال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله . التفت من فوق المنبر إلى يزيد فقال : محمد هذا جدي أم جدك يا يزيد؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت ، وإن زعمت أنه جدي فلم تلت عترته؟<sup>(١)</sup>

فالتفتاه من فوق المنبر إلى يزيد وقوله : محمد هذا جدي أم جدك يا

يزيد؟

كان لتوعية المجتمع المغفل الذي أعلن له بأن الحسين خارجي.

٢ - روى العلامة المجلسي في بحار الأنوار، عن السيد وغيره، قال: خرج زين العابدين عليه السلام يوماً يمشي في أسواق دمشق فاستقبله المنهال بن عمرو فقال له: كيف أمست يا ابن رسول الله؟ قال: أمسنا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم. يا منهال أمست العرب تفتخر على المعجم بأن محمداً عربي، وأمست قریش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسنا معشر أهل بيته ونحن مغبوبون مقتولون مشردون، فانا لله وإنا إليه راجعون مما أمسنا فيه، يا منهال<sup>(١)</sup>.

#### هـ - الوعظ بأسلوب المقابلة الصريحة:

ومن الأساليب التي سلكها الإمام السجاد في توعية المجتمع: مقابلة دعاوى المخالف بالصراحة، وإليك نماذج ذلك:

١ - من السيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز: أن يزيد خاطب الإمام عليه السلام قائلاً: يا علي بن الحسين! وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم؟ فقال علي بن الحسين - عليه السلام -: كلا، ما هذه فينا نزلت، إنما نزلت فينا: ﴿مَا كُنَّا مِنْ شُوعْبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي حُكْمٍ بَيْنَ قَبْلِي أَنْ نَبْرَأَهُ﴾<sup>(٢)</sup>. فمنع الذين لا نأس على ما فاتنا، ولا نفرح بما آتانا منها<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٥: ١٤٣.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحديد: ٥٧: ٢٢.

(٣) مدينة المعاجز - للسيد هاشم البحراني ٤: ٣٥٧ - ٣٥٨.



٢ - وعن محاسن البرقي: بلغ عبد الملك أن سيف رسول الله ﷺ عنده، فبعث يستوهمه منه ويسأله الحاجة، فأبى عليه، فكتب إليه عبد الملك يهدده وأنه يقطع رزقه من بيت المال، فأجابه عليه: أما بعد، فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾<sup>(١)</sup>. فانظر أينما أولى بهذه الآية<sup>(٢)</sup>.

٣ - وفي الاحتجاج: روي أن زين العابدين عليه السلام مر بالحسن البصري وهو يعظ الناس بمنى فوقف عليه ثم قال: امسك. أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم، أترضاه لنفسك فيما بينك وبين الله إذا نزل بك غدا؟

قال: لا.

قال: أفتحدث نفسك بالتحول والانتقال عن الحال التي لا ترضاه لنفسك إلى الحال التي ترضاه؟ (قال): فأطرق ملياً ثم قال: إني أقول ذلك بلا حقيقة.

قال: أفترجو نبيا بعد محمد ﷺ يكون لك معه سابقة؟

قال: لا.

قال: أفترجو داراً غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها؟

قال: لا.

قال: أفرأيت أحداً به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا؟ إنك

(١) القرآن الكريم، سورة الحج ٢٢: ٣٨.

(٢) بهار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٦: ٩٥.

على حال لا ترضاها ولا تحدث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة، ولا ترجو نيا بعد محمد، ولا دار غير الدار التي أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها، وأنت تعظ الناس!!

قال: فلما ولي عليه السلام قال الحسن البصري: من هذا؟ قالوا: علي بن الحسين. قال: أهل بيت علم. فما ربي الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس<sup>(١)</sup>.

### و - الوعظ بأسلوب التوبيخ:

ومن الأساليب التي سلكها الإمام السجّاد في توعية المجتمع: أسلوب التوبيخ، وإليك بعض النماذج من ذلك:

١ - خرج علي بن الحسين عليه السلام على أهل الكوفة من الفسقاط وأخذ بتوبيخهم على غدرهم ونكثهم. فيما رواه حذيم بن شريك الأصدي، قال: خرج زين العابدين عليه السلام إلى الناس وأوما إليهم أن اسكتوا فسكتوا، وهو قائم، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه، ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني! ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين، المذبح بشط الفرات من غير ذحل ولا ثرات، أنا ابن من انتهك حرمة، وسلب نعيمه، وانتهب ماله، وسبي هiale، أنا ابن من قتل صبوا، فكفى بذلك فخرا. أيها الناس، ناشدكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخذعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة؟ فأنلتموه وخذلتموه!! فبنا لكم ما قلتم لأنفسكم وسوء

لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ، يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، قلستم من أمتي.

قال: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء، ويدعو بعضهم بعضا: هلكتم وما تعلمون.

فقال علي بن الحسين، رحم الله امرأ قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله، وفي أهل بيته، فإن لنا في رسول الله أصوة حسنة.

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا ابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك رحمك الله فإننا حرب لحريك، سلم لسلمك، لناخذن ثرتك ونثرنا، عمن ظلمك وظلمنا.

فقال علي بن الحسين ﷺ: هيهات هيهات!! أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتكم إلى آبائي من قبل كلا ورب الرافضات إلى مني، فإن الجرح لما يندمل!! قتل أبي بالأمس، وأهل بيته معه، فلم ينسني نكل رسول الله ﷺ، ونكل أبي وبني أبي وجدي شق لهازمي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري. ومسألتي: أن لا تكونوا لنا ولا علينا<sup>(١)</sup>.

٢ - وروى الشيخ الكليني في الكافي، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن أبي عبدالله، عن عبد الرحمن بن محمد، عن يزيد بن حاتم قال: كان لعبد الملك بن مروان

(١) الاحتجاج، للشيخ الطوسي ٢: ٣٦ - ٣٧.

عين بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها وإن علي بن الحسين عليه السلام أعتق جارية ثم تزوجها فكتب العيين إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى علي بن الحسين عليه السلام أما بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستجبه في الولد، فلا لشك نظرت ولا علي ولذلك أبقيت، والسلام.

فكتب إليه علي بن الحسين عليه السلام: أما بعد، فقد بلغني كتابك تعفني بتزويجي مولاتي وتزعم أنه كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر واستجبه في الولد وأنه ليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله مرتقى في مجد ولا مستزاد في كرم، وإنما كانت ملك يميني خرجت متى أراد الله عز وجل مني بأمر ألتص به ثوابه، ثم ارتفعت على سنو، ومن كان زكيا في دين الله فليس يخل به شيء من أمره وقد رفع الله بالإسلام الخبيصة وتمم به النقيصة وأذهب اللؤم، فلا لؤم على امرئ مسلم، إنما اللؤم لؤم الجاهلية، والسلام.

فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان فقراءه فقال: يا أمير المؤمنين لشدة ما فخر عليك علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا بني لا تقل ذلك، فإنه السن بني هاشم التي تطلق الصخر وتغرف من بحر، إن علي بن الحسين عليه السلام يا بني يرتفع من حيث يتضع الناس<sup>(١)</sup>.

### ز - الوعظ بأسلوب التهيب عن معاونة الظالمين:

ومن الأساليب التي سلكها الإمام السجاد في توعية المجتمع:

(١) الكافي، للشيخ الكليني ٥: ٣٤٤ - ٣٤٥.

أسلوب الشريفة من الارتباط بمن لا يدعو إلى الله والحق، ومن الاستماع إليهم، وهم دعاة السوء، وأدعياء العلم، من علماء البلاط، الذين ركنوا إلى الظالمين وأزروهم. وقد كان عليه السلام يدأب على تربية الأمة وتهذيبها، وتقديم الإرشادات إليها، وتجلى ذلك في وصاياه المأثورة التي جمعت بين معالم الهداية والحكمة، ووسائل الحذر والوقاية، وبث الأمل والقوة، وبعث النشاط والهمة في نفوس أصحابه، وإليك بعض النماذج من ذلك:

روى الفيض الكاشاني في الوافي، ما نصه: قال أبو حمزة: وقرأت في صحيفة كان فيها كلام زهد من كلام علي بن الحسين عليه السلام وكتبت ما فيها ثم أتيت علي بن الحسين عليه السلام فمرغست ما فيها عليه فعرفه وصححه وكان ما فيها بسم الله الرحمن الرحيم كفانا الله وإياكم كبد الظالمين وبغي الحاسدين ويطش الجبارين.

أيها المؤمنون لا يفتنكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا المائلون إليها، المفتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد، وهشيمها البائد فدا<sup>(١)</sup>.

وروى إبراهيم بن محمد الثقفى الكوفي في الغارات، عن محمد بن شيبه قال: شهدت مسجد المدينة فإذا الزهري وعروة بن الزبير قد جلسا فذكرا علياً قالوا منه<sup>(٢)</sup>. فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فجاء حتى وقف

(١) الوافي، للفيض الكاشاني ٢٦ : ٢٤٥.

(٢) الغارات، لإبراهيم بن محمد الثقفى الكوفي ٢ : ٥٧٧، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١ : ٣٧٠ : وكان الزهري من المنحرفين عنه عليه السلام وروى جرير بن عبد الحميد عن-

عليهما فقال: أما أنت يا هريرة فإن أبي حاكم أباك إلى الله، فحكم الله لأبي علي أبيك، وأما أنت يا زهري فلو كنت أنا وأنت بمكة لأرتك كن<sup>(١)</sup> أبيك<sup>(٢)</sup>.

### ج - الوعظ بأسلوب المناقشة والتحاكم:

ومن الأساليب التي سلكها الإمام السجاد في نوعية المجتمع: أسلوب التحاكم، ويظهر ذلك مما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ولما قتل الحسين بن علي عليه السلام أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين عليه السلام فخلا به ثم قال: يا ابن أخي! قد علمت أن رسول الله كان جعل الوصية والإمامة من بعده لعلي بن أبي طالب عليه السلام ثم إلى الحسن، ثم إلى الحسين، وقد قتل أبوك (رضي الله عنه) وصلى عليه ولم يوصي، وأنا صمك وصنو أبيك، وأنا في سنتي وقدمتي أحق بها منك في حديثك، فلا تنازعني الوصية والإمامة ولا تغالفي.

محمد بن شيبة قال: شهدت مسجد المدينة... الحديث. ونقله المجلسي (ره) في المجلد الحادي عشر من البحار في باب أحوال أهل زمان علي بن الحسين عليه السلام، ص ٤١ - ٤٢. (١) في بعض النسخ: كبير، وفي بعضها: بيت، والكن: بمعنى البيت. ففي النهاية: في حديث الاستقاء: فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك، والكن: ما برد الحر والبرد من الأبنية والمساكن، وقد كتته أخته كئا والاسم: الكن، وصرح الفيروزآبادي أيضاً بأن الكن بمعنى البيت، وعليه ينطبق ما ورد في الطبعة الأولى بمصر من شرح النهج من كون النسخة: (بيت أبيك) ومع ذلك من المحتمل ضعفاً أن يكون ما في الطبعة الحديثة بمصر صحيحاً على أن يكون المراد به إشارة إلى رداءة شغل أبيه من كونه حادداً، فإن الكبير في اللغة بمعنى الرق الذي ينفخ به النار. لكن هذا الاحتمال لا يذهب إليه إلا بعد ثبوت أن أباه كان حادداً ولم يثبت. فراجع كتب التراجم.

(٢) الغارات، لإبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ٢: ٥٧٧.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «اتق الله ولا تدع ما ليس لك بحق، إني أعظك أن تكون من الجاهلين، يا حم! إن أبي صلوات الله عليه أوصى إلى قبل أن يتوجه إلى العراق، وعهد إلى في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فلا تعرض لهذا فأني أخاف عليك بنقص العمر وتشتت الحال، وإن الله تبارك وتعالى أبي إلا أن يجعل الوصية والإمامة لأبي في عقب الحسين، فإن أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك».

قال الباقر عليه السلام: «وكان الكلام بينهما وهما يومئذ بمكة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن الحسين عليه السلام لمحمد: ابدا فابتهل إلى الله وأسأله أن ينطق لك الحجر ثم سلّه، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله ثم دعا الحجر فلم يجبه، فقال علي بن الحسين عليه السلام: أما إنك يا حم لو كنت وصيًا وإمامًا لأجابه». إلى آخر ما قدمنا تفصيله<sup>(١)</sup>.

#### ط - الوعظ بمخاطبة الضمائر الحية:

ومن الأساليب التي سلكها الإمام السجاد في توعية المجتمع: أسلوب مخاطبة الضمائر، ويظهر ذلك عندما تبنى الإمام زين العابدين عليه السلام وعقائل أهل البيت - عليهم صلوات الله وسلامه - سياسة إسقاط الأئمة التي كان الأمويون قد غلفوا سياستهم الكالحة الخطيرة

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٤٦ - ٤٧.

بها، وحملوا الأثمة كذلك مسؤوليتها التاريخية أمام الله والرسالة الإسلامية.

ومن هنا نلاحظ بوضوح أن الخطابات والتصريحات التي صدرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام وعقائل أهل البيت عليه السلام في العراق قد انصبّت على مخاطبة ضمائر الناس، وإلفات نظرهم إلى جسامه الخطر الذي حاق بهم، وإلى حجم الجريمة التي ارتكبتها بنو أمية بحق رسالة الله تعالى.

١ - ففي الشام ركزت كلمات الإمام زين العابدين عليه السلام على التبرير بالسبایا ذاتهم، وأنهم آل الرسول صلى الله عليه وآله، ثم فضح الحكم الأموي وتعريته أمام أهل الشام الذين أصلهم بنو أمية عن معرفة الواقع.

٢ - وقبل دخوله المدينة عمل الإمام زين العابدين عليه السلام على إثارة الرأي والوعي العام الإسلامي، وتوجيهه إلى محنة الرسالة التي تمثلت في فاجعة القلف، فقد كان خطابه الذي ألقاه في الناس يستبطن هذه المعاني.

لقد أعطت تجربة كربلاء مؤشراً عملياً على أن الأئمة المسلمة في حالة ركود وتبلّد، مما جعل الروح الجهادية لديها في حالة غياب إن لم نقل إنها كانت معدومة نهائياً، ومن أجل ذلك فإن الإمام زين العابدين عليه السلام - باعتباره الإمام الذي انتهت إليه مرجعية الأمة - أخذ تلك الظاهرة بعين الاعتبار، ولذلك مارس دوره من خلال العمل على تنمية التيار الرسالي في الأمة، وتوسيع دائرته في الساحة الإسلامية، والعمل على رفع مستوى الوعي الإسلامي، والانفتاح العملي على قطاعات



الأمة المختلفة، وخلق قيادات متميزة تحمل الفكر الإسلامي النقي، لا الفكر الذي كان يُشيّعه الحكم الأموي.

ولهذا التهج مبرراته الموضوعية، فإن قوى الانحراف عبر سنوات عديدة من سيطرتها على مراكز التوجيه الفكري والاجتماعي استطاعت صنع أجيال ذاتية في الانحراف، الأمر الذي أصبح فيه من المتعذر على التيار الإسلامي السليم مواجهتها، بالنظر لضخامة تلك القوى، وتوفر الغطاء الواقفي لها من مؤسسات وقدرات؛ ولتعرض التيار الإسلامي ذاته للخسائر المتتالية.

ومن هنا، فإن أمر تكثيف التيار الإسلامي وإثرائه كمّاً وكيفاً مسألة لا تقبل التأجيل، مادام أمر بقاء الرسالة حية - فكراً وعملاً - متوقفاً على بقاء سلامة هذا التيار في كيان الأمة وفواعلها الشعبية، طالما لم يتسنّ له تسلم المرجعية العامة في الإدارة والحكم.

## النوع الرابع: الدعاء والمناجاة

الدعاء - في اللغة: بمعنى النداء.

وفي الاصطلاح: هو طلب الداعي من العالي مقارنا بالخضوع والذل.

والدعاء في الحقيقة هي علاقة معنوية بين الإنسان وخالقه، وله أثر بالغ في تربية الروح، ولهذا أكد عليه القرآن الكريم في آياته من قوله تعالى: ﴿أَتَشْفُوهُ أَنْتَ شَيْءٌ لَّكُمُ<sup>(١)</sup>﴾. وقد عبر عنه في الروايات بأنه صلاح المؤمن، وجنة المؤمن، وأفضل العبادة.

وحيث كان الدعاء ارتباطاً بين العبد وربه، لم يمكن لحكام الجور المنع منه أو تعديده، فتمكن الإمام عليه السلام من الاستفادة منه في إصلاح المجتمع بشكل قوي وفعال، ولم تتمكن السلطة الحاكمة من الوقوف امامه أو الحد منه في المجتمع.

وتمكن الإمام من فضح الظالمين واحقاق حقوق المظلومين بواسطة هذا الأسلوب الفريد.

كما تمكن من التصدي للعدوان الغاشم الذي كان يهدد كيان الأمة من الناحية الثقافية والتي سلكها الحاكمون المتسلطون على مقدرات الشعب المسلم.

وكتاب نهج البلاغة والصحيفة السجادية مشحونان بهذا الأسلوب المثين في إصلاح المجتمع، وليس الصحيفة مجرد ادعية للتواصل بين العبد وربه، بل هي مشحونة بالمسائل الاعتقادية والاجتماعية والسياسية

(١) القرآن الكريم، سورة غافر ٤٠: ٦٠.

وبيان الأحكام الشرعية في صورة الأدعية، وكل ذلك بتعابير يمكن للباحث عن الحقيقة الوقوف عليها من خلال هذه الأدعية.

والصحيفة الكاملة وإن كانت تحتوي على أربع وخمسين دعاء، إلا أن هناك أدعية أخرى للإمام جمعت من مجموعات أخرى سميت بعنوان الصحيفة أحياناً أو وجدت ملحقة بالصحيفة الكاملة، والدعاء بصورة عامة يعد أسلوباً آخر من أساليب الإمام في إصلاح المجتمع مارسه ﷺ في إرشاد الأمة - من خلال تعليم المسلمين كمية كبيرة من الأدعية المشحونة بمختلف المعارف الإلهية، فصارت منارات لتحصيل الغاية المتوخاة من الدين الإسلامي، وفيها ما يلزم القيام به للأمة من الاجتماع والتضامن، وحفظ الحقوق، ومعرفة خالق الكون والحياة.

وحيث أن الإسلام والقرآن الكريم خطط لثورة ثقافية عظيمة، وكانت آياته الأولى تبشر بحركة كبرى في عالم العلم والمعرفة، حيث ابتدأ الوحي الرباني بالأمر بالقراءة أمراً مؤكداً والإشارة بنعمة التعليم الإلهي، والاهتمام بظاهرتي القلم والكتابة في التعليم وتدوين المعرفة ونقلها وتطويرها، وتطوير الإنسان من خلال تكامل المعرفة وتطور العلوم. والرسول الأمين وإن عرف عنه بأنه لم يتعلم القراءة والكتابة المتعارفة ولكنه حثَّ على طلب العلم ونشره وتدوينه بإلهام إلهي، فإنَّ الجهاز الحاكم الذي خلف الرسول ﷺ أصدر قراراً بمنع تدوين حديث الرسول ﷺ وبذلك وجه ضرباً كبيرة للثقافة الإسلامية المتمثلة في أحاديث الرسول الأعظم، لكنها قد تلورت - بعد أن خلقت مضاعفات كبيرة لا زال العالم الإسلامي والإنساني يدفع غصبيتها حتى يومنا هذا - بعد أن لمسوا آثار تلك المضاعفات - التي ترتبت على مثل هذا القرار.

وأما الأئمة من أهل البيت عليهم السلام فقد أدركوا في وقت مبكر مضاعفات منع التدوين، والتكسة التي سوف يصاب بها العالم الإسلامي، بل الإنساني، فبادروا إلى التدوين وشجعوا أصحابهم على عملية التدوين بالرغم من أنه كان ذلك يشكل تحدياً للسلطة الحاكمة آنذاك، لأن حفظ الشريعة والدفاع عنها بعدة من أعظم الأهداف التي تجعل الأئمة المعصومون حُرَّاساً لها أمناً عليها.

فالأئمة الأعلام عليهم السلام هم الرواد الأوائل الذين خططوا لمسيرة الأئمة الثقافية، وفجَّروا لها ينابيع العلم والحكمة على هدى الكتاب الحكيم وتعاليم الرسول العظيم، ولم يقتصر النشاط الثقافي للأئمة عليهم السلام على جانب خاص، وإنما تناول أنواع العلوم وشتى مجالات المعرفة.

فكان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رائد هذه النهضة العلمية، والفتاح لأبواب العلوم العقلية والنقلية، والمؤسس لأصولها وقواعدها، وقد اعترف بهذه الحقيقة جملة من العلماء الكبار وألف السيد حسن الصدر كتابه «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» فأثبت فيه تاريخياً صحة هذه الدعوى.

ومن اعترف بذلك الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «عقبة الإمام علي» قافلاً: إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد فتح أبواب اثنين وثلاثين علماً، فوضع قواعدها وأسس أصولها.

وقال العلامة ابن شهر آشوب في كتابه «معالم العلماء»: الصحيح أن أول من صنَّف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثم سلمان ثم أبو ذر ثم

الأصمغ بن نباتة ثم حبيد الله بن أبي رافع، ثم صُنفت الصحيفة الكاملة<sup>(١)</sup>.

فالصحيفة السجّادية من ذخائر التراث الإسلامي ومن مناجم كتب البلاغة والتربية والأخلاق والأدب في الإسلام، ومن هنا سمّيت بـ «إنجيل أهل البيت» و«زبور آل محمد»<sup>(٢)</sup>.

### مميزات الصحيفة:

١ - إنها تمثل التجرد التام من عالم المادّة والانقطاع الكامل إلى الله تعالى والاعتصام به، والذي هو أثنى ما في الحياة.

٢ - إنها تكشف عن كمال معرفة الإمام عليه السلام بالله تعالى وعميق إيمانه به.

٣ - امتازت الصحيفة السجّادية على سائر أدعية المعصومين عليه السلام بتكرار الصلاة على محمد وآل محمد، لأنّه من الأرجح أن هذه الأدعية أنشئت في أعقاب واقعة كربلاء، التي كان منشئها يزيد، الذي كان هو وأبوه وجده ومن ورائهم بنو أمية يسعون في إطفاء النور المحمّدي عليه السلام.

والأرجح أنّ الإمام كان يريد من خلال هذه الأدعية تكريس مبادئ الإسلام، وترسيخها في النفوس في مواجهة المعاصي الأموية الهدّامة.

٤ - فتحت الصحيفة للإنسان المسلم أبواب الأمل والرجاء برحمة الله الواسعة.

(١) الذريعة ١٥ : ١٨. وللتفصيل راجع عنوان «عند الأدعية».

(٢) حياة الإمام زين العابدين: ٣٧٣ - ٣٧٤.

٥ - كما فتحت للمناظرات البديعة مع الله تعالى باباً مهماً يتضمن أنواع الحجج البالغة لاستجلاب عفو الله وغفرانه، مثل قوله ﷺ: «إلهي إن كنت لا تغفر إلا لأوليائك وأهل طاعتك فإلى من يفرغ العذبيون؟ وإن كنت لا تكرم إلا أهل الوفاء لك فبمن يستغيث المُسيئون؟»<sup>(١)</sup>.

وهكذا قوله ﷺ: «أفارحمني اللهم فإني امرؤ حقير وخطري يسير، وليس عذابي منّا يزيد في ملكك مثقال ذرة...»<sup>(٢)</sup>.

٦ - تضمنت الصحيفة برامج أخلاقية روحية وسلوكية مهمة لتربية الإنسان، ورسمت له أصول الفضائل النفسية والكمالات المعنوية.

٧ - احتوت على حقائق علمية لم تكن معروفة في عصره.

٨ - كما تصدّت الصحيفة لمواجهة الفساد الفردي والاجتماعي والسياسي في عصرٍ أشاعت فيه السياسة الأموية الفساد الأخلاقي والخلاعة والمجون بين المسلمين، فكانت الصحيفة خير وسيلة للإصلاح في أحلك الظروف التي اتبع فيها الأمويون سياسة القمع والإرهاب.

٩ - والصحيفة بعد هذا هي منجم من مناجم البلاغة والفصاحة وينبوع ثرّ للأدب الإسلامي الهادف، فهي لا تفتقر من نهج البلاغة في هذا المضمار.

١٠ - وقد ضمن الإمام زين العابدين ﷺ أدعيته - التي تمثلت في الصحيفة الكاملة وسائر الأدعية التي وصلت عنه وجمعت مؤخرًا في ما سمي بـ «الصحيفة الجامعة» - منهاجاً كاملاً للحياة الإنسانية الفريدة، ولم

(١) الصحيفة الجامعة، للأبطحي: ٢٢٢.

(٢) الصحيفة الجامعة، للأبطحي: ٢٧٦، وخطري: قدري ومزلني.

يترك الإمام جانباً ممّا تحتاجه الأمة الإسلامية إلّا وتعرض له، وعالجه بأسلوبه الفذّ وبلاغته البديعة.

والإمام السّجاد توفّر على نتاج فتنٍ ضخمٍ يجيء - من حيث الكمّ - بعد الإمام عليّ عليه السلام، كما يجيء - من حيث الكيف - متميّزاً بسمات خاصة، وفي مقدمة ذلك أدب الدّعاء الذي منحه السّجاد عليه السلام خصائص فكرية وفنّية تفرّد بها<sup>(١)</sup>.

ونحن نعرض في هذا الفصل وهو الإصلاح الاجتماعي بواسطة الدّعاء والعمل على التوعية الدينية بتقوية المعرفة الإلهية في عدة محاور:

**أولاً - في مجال بيان أصول العقيدة والعرفان وإشاعة ثقافة الحب والمثلّق الإلهي:**

كان الإمام عليه السلام يناجي ربّه ويدعوه بتضرّع وإخلاص في سحر كلّ ليلة من ليالي شهر رمضان بالدّعاء الجليل الذي عرف بدّعاء أبي حمزة الثمالي؛ لأنّه هو الذي رواه عنه، وهو من غرر أدعية أهل البيت عليه السلام وهو يمثل مدى إنابته وانقطاعه إلى الله تعالى، كما أنّ فيه من المواقف ما يوجب صرف النفس عن غرورها وشهواتها، كما يمتاز بجمال الأسلوب وروعة البيان وبلاغته العرض، وفيه من التذلّل والخشوع والخضوع أمام الله تعالى ما لا يمكن صدوره إلّا عن إمام معصوم.

وقد احتلّ هذا الدّعاء مكانة مهتة في نفوس الأخيار والصلحاء من المسلمين، إذ واظبوا على الدّعاء به:

١ - ومما قاله الإمام عليه السلام في دعائه: «إلهي، لا تؤذّني بعقوبتك،

(١) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٣٥٣.

ولا تمكربني في حيلتك، من أين لي الخير يا رب ولا يوجد إلا من عندك؟ ومن أين لي النجاة ولا تستطيع إلا بك؟ لا الذي أحسن استغنى عن عونك ورحمتك، ولا الذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج من قدرتك... بك عرفتك وأنت دلتني عليك ودعوتني إليك، ولو لا أنت لم أدر ما أنت. الحمد لله الذي أدموه فيجبني وإن كنت بطيئاً حين يدعوني، والحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني...

ومنه: أدهوك يا سيدي بلسان قد أخرسه ذنبه، رب أناجيك بقلب قد أوبقه جرمه، أدهوك يا رب راهباً راغباً راجياً خائفاً، إذا رأيت مولاي ذنوبي فزعت، وإذا رأيت كرمك طمعت...

يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، فوعزتك يا سيدي لو انتهرتني ما برحت من بابك ولا كففت عن تعلقك لما انتهى إلي من المعرفة بجودك وكرمك...

ومنه: اللهم إني كلما قلت قد نهيت وتعبأت وسمعت للصلاة بين يديك وأناجيتك ألقيت علي نعاساً إذا أنا صليت وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت، ما لي كلما قلت قد صلحت سريرتي وقرب من مجالس التواوين مجلسي عرضت لي بلية أزال قديمي وحالت بيني وبين خدمتك. سيدي لعلك من بابك طردتني، وعن خدمتك نحييتني، أو لعلك رأيتني مستخفاً بحقك فأقصيتني، أو لعلك رأيتني معرضاً عنك فقلبتني، أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني، أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني، أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني، أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمته آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس



البقالين فيني وبينهم غليتي، أو لعلك لم تحب أن نسمع دعائي فاعدتي، أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتي، أو لعلك بقلّة حياتي منك جازيتي...

ومنه: إلهي، لو قرّنتني بالأصفاد ومنعتني سبيك من بين الأشهاد ودللت علي فضايحي عيون العباد، وأمرت بي إلى النار وحلت بيني وبين الأبرار؛ ما قطعْتُ رجائي منك، ولا صرفت وجه تأميلي للعفو عنك، ولا خرج حبك من قلبي...

أرحم في هذه الدنيا غريبي، وعند الموت كربي، وفي القبر وحدتي، وفي اللحد وحشتي، وإذا نُشِرْتُ للحساب بين يديك ذلّ موقفِي، واغفر لي ما خفي على الأعمى من عملي، وأدم لي ما به مسترني، وأرحمني صريحاً على الفراش، تغلّبني أيدي أحبتي، وتفضّل عليّ ممدوداً على المختلّ بقلّبي صالح جيرتي، وتحنّن عليّ محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي، وجُد عليّ متغولاً قد نزلت بك وحيداً في حفرتي، وأرحم في ذلك البيت الجديد غريبي، حتّى لا أستاذس بغيرك...<sup>(١)</sup>

وهكذا كان يعلّم الإمام عليه السلام المجتمع كيفية الشكر لله تعالى على ما أولاهم من جزيل النعم، وأنّ الإنسان مهما بالغ في شكره فإنّه عاجز وقاصر عن أداء حق الشكر.

٢ - وقال عليه السلام: اللهمّ احملنا في سفن نجاتك، ومتّعنا بلذيت

(١) راجع: مفاتيح الجنان «الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي»، الصحيفة السجّادة الأبطي: ٢١٨ - ٢٢٩، وريح المكان ومنه: زال عنه، وتلفك: التوفّد اليك. وسريرتي: نيتي. والنّيب: المطام.

مناجاتك، وأوردنا حياض حبك، وأذقنا حلاوة وذك وقربك، واجعل  
جهادنا فيك، وحمنا في طاعتك، وأخلص نيّاتنا في معاملتك، فإنّا بك  
ولك ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت...<sup>(١)</sup>.

وهكذا طلب ﷺ من الله تعالى أن يخلص نيّته في معاملته ويبلغه أعزّ  
أمانيه وهي ابتغاء رضوانه جلّ جلاله.

٣ - وقال ﷺ: «... إلهي فأصلك بنا سُبُل الوصول إليك، وسيرنا  
في أقرب الطرق للوفود عليك، قَرَب علينا البعيد، وسَهّل علينا العسير  
الشديد، وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على  
الدوام مطرقون، وإيّاك في الليل والنهار يعبدون، وهم من هيبتك  
مشفقون، الذين صفيت لهم المشارب، وبَلّغتهم الرغائب، وأنجحت لهم  
المطالب، وقضيت لهم من فضلك المآرب، وملأت لهم ضمائرهم من  
حبك، ورويتهم من صافي شريك، فيك إلى لذيد مناجاتك وصلوا،  
ومنك أقصى مقاصدهم حصلوا...»

فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرّة  
هيني، ووصلك مُنى نقسي، وإليك شوقي، وفي محبتك ولهي، وإلى  
هواك صبايتي، ورضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وجوارك طلبتي،  
وقربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك رَوْحي وراحتي، وعندك دواء علّتي،  
وشفاء غلّتي، ويرد لوعتي، وكشف كربتي...<sup>(٢)</sup>.

(١) الصحيفة السجّادية، للأبطحي: ٤١١، مناجاة المطيعين.

(٢) الصحيفة السجّادية، للأبطحي: ٤١٢، مناجاة الحريدين، والبخار: السابق. والمآرب: جمع مأرب ومأربة أي العاجلة. ولهي: تحبّي من شدة الوجد. وصبايتي: شرفي.  
والرّوح: الفرح والراحة. وغلّتي: عطشي الشديد. ولوعتي: حرقة حزني وهواي ووجدني.  
وكربتي: هني وضحي.

وهكذا ينقطع ﷺ إلى الله جلّ جلاله، وتنتلق بالله روحه وعواطفه، فلا يصبر غيره، ولا يجد شافياً لنفسه سواه.

٤ - وقال ﷺ: «إلهي كسري لا يجبره إلا لطفك وحنانك، وفقرتي لا يغنيه إلا عطفك وإحسانك، ورزقي لا يسكنها إلا أمانك، وذلتني لا يرميها إلا سلطانك، وأمتيتني لا يملغنيها إلا فضلك، وغلتي لا يسدّها إلا طولك، وحاجتي لا يقضيه غيرك، وكربي لا يفرّجه سوى رحمتك، وضرتني لا يكشفه غير رأفتك، وغلتي لا يبرّدها إلا وصلك، ولوعتي لا يطفيها إلا لقاءك، وشوقي إليك لا يُبيله إلا النظر إلى وجهك، وقراري لا يقرّ دون دنوّي منك»<sup>(١)</sup>.

لقد أبدى الإمام ﷺ فقره وفاقته إلى الله سبحانه، وقد هام ﷺ بحبّ سيّده ومولاه خالق الكون وواهب الحياة، فعمد جميع آماله عليه ورجاءه في قضاء جميع أموره كأعظم ما يكون الرجاء.

٥ - وقال ﷺ في بيان التجليات العرفانية الإلهية: «... إلهي ما أذلّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب، وما أطيب طعم حبك، وما أعذب شرب قربك! فأعزنا من طردك وإبعادك، واجعلنا من أخصّ عارفيك وأصلح عبادك وأصدق طاعتك وأخلص عبّادك»<sup>(٢)</sup>.

حقاً إنّ الإمام زين العابدين ﷺ سيّد الموحّدين وزعيم العارفين بالله، ولم تكن عبادته تقليداً، وإنّما كانت ناشئة عن كمال معرفته بالله

(١) الصحيفة السجّادة، للأبيّ: ٤٦٥، مناجاة المفترّين، والخلة: الحاجة والفقير.

(٢) الصحيفة السجّادة، للأبيّ: ٤١٧، مناجاة العارفين.

تعالى، وقد أهرّب في النص المذكور عن كمال بغيته ألا وهو الإخلاص في عبادته سبحانه وتعالى.

٦ - وقال ﷺ: «... إلهي فآلهما ذكرك في الخلا والملا والليل والنهار والإعلان والإسرار، وفي السراء والضراء، وآيسنا بالذكر الخفي، واستعملنا بالعمل الزكي والسعي المرضي...»

أنت المُسَبِّح في كلِّ مكان، والمعبود في كلِّ زمان، والموجود في كلِّ أوان، والمدعو بكلِّ لسان، والمعظم في كلِّ جنان، وأستغفرك من كلِّ لذو بغير ذكرك، ومن كلِّ راحق بغير أنسك، ومن كلِّ سرور بغير قربك، ومن كلِّ شغل بغير طاعتك...»<sup>(١)</sup>

وبأخذنا الذمور حينما نقرأ هذا النص السجّادي الذي أعطانا فيه صورة واضحة متميزة عن نضره وتذللّه أمام الله سبحانه الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

إن المعرفة الحقيقية بأنّ الإنسان فقير إلى الله تعالى - كما جسّدته النصوص السابقة - نجعله يلتجئ إليه تعالى دائماً، ومن هنا نجد أنّ للإمام السجّاد ﷺ أدعية في أوقات وحالات متعدّدة بالإضافة إلى ما أوردناه، فله ﷺ دعاء في الصلاة على محمّد وآله، وفي الصلاة على حملة العرش، وفي اللجوء إلى الله تعالى، وفي طلب الحوائج، وعند المرض، وفي مكارم الأخلاق، ولجبرانه، ولأوليائه، ولأهل الثنور، وفي الامتناع، وفي التوبة، وإذا نظر إلى الهلال، وفي يوم عيد الفطر،

(١) الصحيفة السجّادية، للأبطحي: ٤٦٨، ساجدة الذاكرين، والخلا: المكان الفارغ الذي ليس فيه أحد. والملاء: مجتمع الناس. والجنان: القلب.

وفي التذلل، وعند الشدة، وعند ذكر الموت، وفي الرهبة، وفي استكشاف الهموم.

٧ - وَمِنْ دُعَائِهِ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بَعْدَ الْقِرَاءِ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ لِيُغْفِرَ فِي الْاِخْتِرَافِ بِالذَّنْبِ:

اللَّهُمَّ يَا ذَا الْمُلْكِ الْمُنْتَابِ بِالْخُلُودِ وَالسُّلْطَانِ الْمُتَّحِبِ بِغَيْرِ جُنُودٍ وَلَا  
أَعْوَانٍ. وَالْجَزْءِ الْبَاقِي عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ وَخَوَالِي الْأَعْوَامِ وَمَوَاضِي الْأَزْمَانِ  
وَالْأَيَّامِ عَزَّ سُلْطَانُكَ جِزَاءً لَا حَدَّ لَهُ بِأَوْلِيَّتِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَهُ بِأَعْيُنِهِ وَاسْتَعْلَى  
مُلْكُكَ عُلُوقًا مَقَطَبَتِ الْأَشْيَاءِ دُونَ بُلُوغِ أَمَدِهِ وَلَا يَتَلَعَّ أَذُنِي مَا اسْتَأْثَرَتْ بِهِ  
مِنْ ذَلِكَ أَنْفُسِي نَعْبِ النَّاجِعِينَ<sup>(١)</sup>.

٨ - وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ :

سُبْحَانَكَ لَا تَعْصُ وَلَا تُجْصُ وَلَا تُعْمَسُ وَلَا تُكَادُ وَلَا تُعَاذُ وَلَا تُنَارِعُ وَلَا تُجَارِي وَلَا تُنَازِي وَلَا تُخَادِعُ وَلَا تُعَاكِرُ سُبْحَانَكَ سَبِيلُكَ جَدُّدٌ وَأَمْرُكَ رَشْدٌ، وَأَنْتَ خَيْرُ صَمَدٍ. سُبْحَانَكَ أَمْرُكَ حُكْمٌ، وَقَضَاؤُكَ حَقٌّ، وَإِزَادَتُكَ عَزَمٌ<sup>(١)</sup>.

٩ - وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ نَكَ الْحَمْدُ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَإِلَهُ كُلِّ مَلَكُوتٍ، وَخَالِقِ  
كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَوَارِثِ كُلِّ شَيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وَلَا يَغْرُبُ عَنْهُ  
جَلْمُ شَيْءٍ، وَهُوَ ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ<sup>(١)</sup>.

(١) الصحيفة الكاملة المصحوبة: الدعاء ٣٢.

(٢) الصفحة الكاملة السجادة: الدهاء ٢٧.

(٣) الصفحة الكاملة السَّادِيَّة: الدعاء ٤٧.

١٠ - وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ يَوْمَ الْأُضْحَى وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ:

اللَّهُمَّ إِنْ وَضَعْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْفَعُنِي، وَإِنْ رَفَعْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَضَعُنِي، وَإِنْ أَهْلَكْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْرِضُ لَكَ فِي عَذَابِكَ، أَوْ يَسْتَلُكُ عَنْ أَمْرِهِ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي حُكْمِكَ ظُلْمٌ، وَلَا فِي نِقْمَتِكَ عَجَلَةٌ، وَإِنَّمَا يَسْجُلُ مَنْ يَخَافُ الْقَوْتَ، وَإِنَّمَا يَخْتَانُ إِلَى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ، وَقَدْ تَعَالَيْتَ يَا إِلَهِي عَنْ ذَلِكَ هُلُوًّا كَبِيرًا<sup>(١)</sup>.

١١ - وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ لِنَفْسِهِ وَأَهْلٍ وَلَايَةٍ:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، واجْعَلْ سَلَامَةً قُلُوبِنَا فِي ذِكْرِ عَظَمَتِكَ، وَفَرَاغِ أَبْذَانِنَا فِي شُكْرِ نِعْمَتِكَ، وَانْطِلَاقِ السَّبْتِنَا فِي وَضْعِ يَمِينِكَ<sup>(٢)</sup>.

١٢ - وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ يَوْمَ الْأُضْحَى وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ:

اللَّهُمَّ واجْمَعْ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِكَ، وَالتَّضْيِيقِ بِرَسُولِكَ، وَالْأَيْمَةِ الَّذِينَ خَتَمْتَ طَاعَتَهُمْ بِمَنْ يَجْرِي ذَلِكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ، آمِينَ رَبُّ الْعَالَمِينَ<sup>(٣)</sup>.

١٣ - وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ فِي يَوْمِ حَرْفَةٍ:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَبْذَنْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عِلْمًا لِعِبَادِكَ، وَمَنَارًا فِي بِلَادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيْعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَافْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَخَفَرْتَ مَغْصِبَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامْتِنَالِ أَوَامِرِهِ، وَالْإِنْتِهَاءِ

(١) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ٤٨.

(٢) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ٥.

(٣) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ٤٨.

جَنَدَ نَفِيٍّ، وَالْأَ تَقَدَّمَ مَقْدَمًا، وَلَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ فَهُوَ عِصْمَةُ اللَّائِيَيْنِ،  
وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ وَغُرُورُ الْمُتَشَكِّينَ، وَنَهَاءُ الْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup>.

١٤ - وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ إِذَا اغْتَدِي عَلَى أَرَأَى مِنَ الظَّالِمِينَ مَا لَا  
يُجِبُ:

اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَتْ الْخَيْرَةُ لِي جَنَّتْكَ فِي تَأْخِيرِ الْأَخِي لِي وَتَرْكِ الْإِنْتِقَامِ  
مِنْ ظَلَمَتِي أَلَسَ بِزِمِ الْفَضْلِ وَمَجْمَعِ الْخُصَمِ قَعْلٌ عَلَى مُحَدِّدِ آلِهِ،  
وَأَيْتَنِي بِنِكَ بَيْنِي صَادِقٌ وَصِيرَ دَائِمٍ<sup>(٢)</sup>.

ثانياً - ومن أدعية الصحيفة في مجال بيان الأحكام الشرعية  
وتفوية روح العبودية والخضوع لله:

أَجْمَعَ مَعَاصِرُوا الْإِمَامَ زَيْنَ الْعَابِدِينَ ﷺ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْبَدِ  
النَّاسِ وَأَكْثَرِهِمْ طَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ فِي عَظِيمِ إِنَابَتِهِ  
وَعِبَادَتِهِ، وَقَدْ بُهِرَ بِهَا الْمُتَّقُونَ وَالصَّالِحُونَ، وَحَسِبَ أَنَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي قَدْ  
لَقِبَ بِزَيْنِ الْعَابِدِينَ وَسَيِّدِ السَّاجِدِينَ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ.

أَمَّا عِبَادَتُهُ ﷺ فَكَانَتْ نَاشِئَةً مِنْ إِيمَانِهِ الْعَمِيقِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَكِمَالِ  
مَعْرِفَتِهِ بِهِ، وَقَدْ عَبَدَهُ لَا طَمَعًا فِي جَنَّتِهِ وَلَا خَوْفًا مِنْ نَارِهِ، وَإِنَّمَا وَجَدَهُ  
أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدَهُ، وَشَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ جَدِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدِ  
الْعَارِفِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَقَدْ أَصْرَبَ ﷺ عَنْ عَظِيمِ إِخْلَاصِهِ فِي عِبَادَتِهِ  
بِقَوْلِهِ: فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَرْضَى لِي إِلَّا ثَوَابُهُ، فَأَكُونُ كَالْعَبْدِ

(١) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ٤٧.

(٢) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ١٤.

الطمع المطيع، إن طمع عمل ولا لم يعمل، وأكره أن أعبده إلا غرضي لها إلا لخوف عقابه، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل...<sup>(١)</sup>

قيل له: فلم تبعده؟ قال: «لما هو أهله بأياديهِ وإنعامه»<sup>(٢)</sup>.

ولقد ملأ حب الله تعالى قلب الإمام عليه السلام وسخر عواطفه، فكان مشغولاً بعبادة الله وطاعته في جميع أوقاته، وقد سُئِلت جارية له عن عبادته فقالت: أطنب أو اختصر؟

قيل لها: بل اختصري.

فقالت: ما أتيت به طعام نهاراً قط، وما غرست له فراشاً بليل، قط<sup>(٣)</sup>.

لقد قضى الإمام عليه السلام معظم حياته صائماً نهاره، قائماً ليله، مشغولاً تارةً بالصلاة، وأخرى بالدعاء.

١ - في الصلاة:

- مِنْ ذَمَائِهِ عليه السلام إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَفَقْنَا فِيهِ عَلَى مَزَاقِيهِ الصَّلَوَاتِ  
الْخَمْسِ بِحُدُودِهَا الَّتِي خَلَّدَتْ، وَفُرُوعِهَا الَّتِي قَرَضَتْ، وَوَعَائِيقِهَا الَّتِي  
وَلَّفَتْ، وَأَوْقَاتِهَا الَّتِي وَقَّتْ وَأَنْزَلْنَا فِيهَا مَنَزِلَةَ الْمُعْصِيَيْنِ لِمَنْزِلِهَا،  
الْحَافِظِينَ لِأَرْكَانِهَا، الْمُؤَدِّينَ لَهَا فِي أَوْقَاتِهَا عَلَى مَا سَنَّهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ  
- صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فِي رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَجَمِيعِ قَوَائِمِهَا عَلَى أَنْتُمْ  
الْكَلُوبِ وَأَسْبَحِهِ، وَأَتَيْنَ الْحُشُوعَ وَأَبْلَغَهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري: ٣٢٨.

(٢) الخصال: ٥١٨، حلال الشرائع ١: ٢٣٢.

(٣) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ٤٤.



## ٢ - في الصوم:

- مِنْ دُعَائِهِ ع إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ:

وَالْتَحَمْتُ لَهُ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ شَهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ الصِّيَامِ، وَشَهْرَ الْإِسْلَامِ، وَشَهْرَ الطَّهْوَرِ، وَشَهْرَ التَّنْجِيصِ، وَشَهْرَ الْقِيَامِ ﴿الْبَيْتُ أَنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ فَأَبَانَ فَضِيلَتَهُ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمُتَوَفَّرَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَشْهُورَةِ، فَحَرَّمَ فِيهِ مَا أَحَلَّ فِي غَيْرِهِ إِعْظَامًا، وَحَبَّرَ فِيهِ الْمَطَاعِمَ وَالْمَشَارِبَ إِكْرَامًا، وَجَعَلَ لَهُ وَقْتُاً بَيِّنًا لَا يُجِيرُ - جُلٌّ وَعَرٌّ - أَنْ يُقَدَّمَ قَبْلَهُ، وَلَا يُتَّخَذَ أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْهُ<sup>(١)</sup>.

## ٣ - في الخمس:

- مِنْ دُعَائِهِ ع لِأَهْلِ الثُّغُورِ:

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلَ الثُّغُورِ جَلَمَ مَا لَنَا مِنَ الْحَقِّ فِي خُمُسِ الْغَنَائِمِ الَّذِي يَنْتَمُونَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ عِوَضٌ مِّمَّا حَرَّمْتَهُ عَلَيْنَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكَ مِنَ الصَّدَقَةِ الَّتِي هِيَ عُسَالَاتُ الْفُتُوبِ النَّاسِ؛ تُنْزِعُهَا مِنْكَ لِنَبِيِّكَ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَوَلَدِيهِ وَعِزَّتِيهِ، وَمَا عَلَى مَا بَيْنَنَا لِيَأْهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَبَيْنَ عَظِيمِ الْحَوْبِ، وَانْتِقَائِكَ مِنْ قَلَمْنَاهُ عَاجِلًا وَآجِلًا<sup>(٢)</sup>.

(١) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ٤٤.

(٢) هذا هو المقطع الأول من الدعاء ٢٧ الذي ورد في الصحيفة السجادية برواية علي بن مالك، وهذا المقطع مما اختص بروايته ابن مالك، ولم يرد في سائر نسخ الصحيفة. وتضمن بيان وجوب الخمس، وكونه عوضاً عن الصدقة التي هي أوساخ ذنوب الناس، وأن عملة الوجوب تنزه قوة الرسول من الأوساخ، وحفوة العائز للخمس. (راجع: الصحيفة السجادية، من ط: دليل ما، قم، سنة ١٤٢٢ هـ، الدعاء ٢٧).

٤ - في الزكاة:

- من دعائه ﷺ إذا دخل شهر رمضان:

وَأَنْ نَخْلُصَ أَمْوَالَنَا مِنَ التَّبَعَاتِ، وَأَنْ نَطْهَرَهَا بِإِخْرَاجِ الزُّكُوتِ<sup>(١)</sup>.

٥ - في الجهاد:

- مِنْ دُعَائِهِ ﷺ لِأَهْلِ الثُّغُورِ:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَخَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِجِزَّتِكَ، وَأَيِّدْ حِمَايَتَهَا بِقُوَّتِكَ، وَأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَّتِكَ... إِلَى آخِرِ الدُّعَاءِ<sup>(٢)</sup>.

وإليك بعض مواقف الإمام في مجال سائر العبادات:

١ - الوضوء:

الوضوء هو نور وطهارة من الذنوب، والمقدمة الأولى للصلاة، وكان الإمام ﷺ دوماً على طهارة، وقد نَحَدَّثَ الرواةُ عَنْ خُشُوعِهِ لِلَّهِ فِي وَضُوئِهِ، فَقَالُوا: إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ الْوُضُوءَ أَصْفَرَ لَوْنَهُ، فَيَقُولُ لَهُ أَهْلُهُ: مَا هَذَا الَّذِي يَمْتَرِكُ عِنْدَ الْوُضُوءِ؟ فَيَجِيبُهُمْ قَائِلاً: «أَتَدْرُونَ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ أَقُومُ؟»<sup>(٣)</sup>.

٢ - الصلاة:

أما الصلاة فمعراج المؤمن وقربان كل تقى، كما في الحديث الشريف، وكانت الصلاة من أهم الرغبات النفسية للإمام ﷺ فقد اتخذها معراجاً ثرفه إلى الله تعالى، وكانت تأخذه رعدة إذا أراد

(١) الصحيفة الجامعة (للإيطي): الدعاء ١٥٥.

(٢) الصحيفة الكاملة: الدعاء ٢٧.

(٣) نهاية الإرب ٢١: ٣٢٦، سير أعلام النبلاء ١: ٢٣٨، مستدرك الوسائل ١: ٣٥٥.

الشروع فيها، فقبل له في ذلك فقال: «أتدرون بين يدي من أقوم، ومن أناجي؟»<sup>(١)</sup>.

وتعرض لبعض شؤونه في حال صلاته:

#### أ - تطيّب للصلاة:

وكان الإمام إذا أراد الصلاة تطيّب من قارورة كان قد جعلها في مسجد صلاته<sup>(٢)</sup>.

#### ب - لباسه في صلاته:

وكان الإمام ﷺ إذا أراد الصلاة لبس الصفوف وأغلظ الثياب، مبالغة منه في إذلال نفسه أمام الخالق العظيم<sup>(٣)</sup>.

#### ج - الخضوع في الصلاة:

كانت صلاته تمثل الانقطاع التام إلى الله جلّ جلاله والتجرّد من عالم الحاديات، فكان لا يحسّ بشيء من حوله، بل لا يحسّ بنفسه فيما تعلّق قلبه بالله تعالى، ووصفه الرواة في حال صلاته، فقالوا: كان إذا قام إلى الصلاة غشي لونه بلون آخر، وكانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله، وكان يقف في صلاته موقف العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، وكان يصلي صلاة مودّع يرى أنّه لا يصلي بعدها أبداً<sup>(٤)</sup>.

وتحدّث الإمام الباقر ﷺ عن خضوع أبيه في صلاته فقال: «كان

(١) الخصال ٢: ٦٢٠، الطيفات الكبرى ٥: ٢١٦، تهذيب الكمال ٢٠: ٣٩٠.

(٢) بحار الأنوار ١٦: ٥٨.

(٣) بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨.

(٤) حياة الإمام زين العابدين ﷺ: ١٩٠.

عليّ بن الحسين إذا قام في الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلا ما حركت الريح منه<sup>(١)</sup>.

ونقل أبان بن تغلب إلى الإمام الصادق عليه السلام صلاة جده الإمام السجاد عليه السلام فقال له: إني رأيت عليّ بن الحسين إذا قام في الصلاة غشي لونه بلون آخر، فقال له الإمام الصادق عليه السلام: «والله إن عليّ بن الحسين كان يعرف الذي يقوم بين يديه...»<sup>(٢)</sup>.

وكان من مظاهر خشوعه في صلاته أنه إذا سجد لا يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً<sup>(٣)</sup>. أو كأنه غمس في الماء من كثرة دموعه وبكائه<sup>(٤)</sup>، ونقل عن أبي حمزة الثمالي أنه رأى الإمام قد صلى فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوّه، فسأله أبو حمزة عن ذلك فقال له: «ويحك، أتدري بين يدي من كنت؟ إن العبد لا يقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه»<sup>(٥)</sup>.

## د - صلاة ألف ركعة :

وأجمع المترجمون للإمام عليه السلام أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة<sup>(٦)</sup>، وأنه كانت له خمسمائة نخلة، فكان يصلي عند كل نخلة ركعتين<sup>(٧)</sup>. ونظراً لكثرة صلاته فقد كانت له ثغفات في مواضع سجوده

(١) وسائل الشيعة ٤ : ٦٨٥ ، الكافي ٣ : ٣٠٠.

(٢) حلل الشرائع ١ : ٢٣١ ، وسائل الشيعة ٥ : ١٧٤.

(٣) تهذيب الأحكام ٢ : ٢٨٦ ح ١١٤٥.

(٤) بحار الأنوار ٤٦ : ١٠٨.

(٥) حلل الشرائع : ٨٨ ، بحار الأنوار ٤٦ : ٦١.

(٦) تهذيب التهذيب ٧ : ٣٠٦ ، نور الأبصار : ١٣٦ ، الإتحاف بحب الأشراف : ٤٩.

(٧) بحار الأنوار ٤٦ : ٦١ ، الخصال : ٤٨٧.

كثفناات البعير، وكان يسقط منها في كل سنة، فكان يجمعها في كيس، ولما توفي ﷺ دفنت معه<sup>(١)</sup>.

#### هـ - كثرة السجود:

إن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو في حال سجوده، كما في الحديث الشريف، وكان الإمام ﷺ كثير السجود لله تعالى خضوعاً وتذلاً له، وروي: أنه خرج مرة إلى الصحراء ف تبعه مولاه فوجداه ساجداً على حجارة خشنة، فأحصى عليه ألف مرة يقول: «لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً»<sup>(٢)</sup>.

وكان يسجد سجدة الشكر، ويقول فيها مائة مرة: «الحمد لله شكراً»، ثم يقول: «يا ذا المن الذي لا ينقطع أبداً، ولا يحصى غيره عدداً، ويا ذا المعروف الذي لا يفد أبداً، يا كريم، يا كريم» ثم يذهو ويتضرع ويذكر حاجته<sup>(٣)</sup>.

#### و - كثرة التسميح لله:

وكان دوماً مشغولاً بذكر الله تعالى وتسميحه وحمده، وكان يستبح الله بهذه الكلمات: «سبحان من أشرق نوره كل ظلمة، سبحان من قلدر يقدرة كل قدرة، سبحان من احتجب عن العباد ولا شيء يحجبه، سبحان الله ويحمله»<sup>(٤)</sup>.

(١) المنال: ٤٨٨.

(٢) وسائل الشيعة ٣: ٢٨٢، الصحيفة السجادية، للأبطمي: ٥٣١.

(٣) وسائل الشيعة ٧: ١٧.

(٤) دهرات القطب الراوندي: ٣٤، الصحيفة السجادية، للأبطمي: ٢٥، وفي نسخة: سبحان من احتجب عن العباد بطرائق نفوسهم فلا شيء يحجبه...

## ز - ملازمته لصلاة الليل :

من التواخل التي كان لا يدعها الإمام ﷺ صلاة الليل، فكان مواظباً عليها في السفر والحضر إلى أن انتقل إلى الرنيق الأعلى<sup>(١)</sup>.

## ح - دعواه بعد صلاة الليل :

وكان ﷺ إذا فرغ من صلاة الليل دعا بهذا الدعاء الشريف، وهو من غرر أدعية أئمة أهل البيت ﷺ، وإليك بعض مقاطعه: «اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود، والسلطان الممتنع بغير جنود ولا أعوان، والعز الباقي على مرّ الدهور وخوالي الأعوام ومواضي الأزمان والأيام، عز سلطانك عزاً لا حد له بأولية ولا منتهى له بأخيرة، واستعلى ملكك علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعمت الناعتين، ضلّت فيك الصفات، وتفسخت دونك النعموت، وحارت في كبرياتك لطائف الأوهام، كذلك أنت الله الأول في أوليتك، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول، وأنا العبد الضعيف عملاً، الجسم أملاً، خرجت من يدي أسباب الوصلات إلا ما وصله رحمتك، وتقطعت عني عصم الآمال إلا ما أنا متصم به من عفوك، قلّ عندي ما أعتد به من طاعتك، وكثر عليّ ما أبوء به من معصيتك، ولن يضيق عليك عفوّ عن عبدك، وإن أساء فاعف عني...».

«اللهم إني أحوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك، وتوقدت بها على من صدف عن رضاك، ومن نار نورها ظلمة، وهيتها أليم، وبعبدها قريب، ومن نار يأكل بعضها بمقرّ، ويصول بعضها على بعض،

(١) من صفة الصفوة ٢: ٥٣، كشف الغطاء ٢: ٢٦٣.

ومن نارٍ تُلز العظام رميمًا، وتسقي أهلها حميمًا، ومن نارٍ لا تقي على من تضرع إليها، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عن خضع لها واستسلم إليها، تلقي سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال وشديد الويال...<sup>(١)</sup>

لقد ذبل الإمام عليه السلام من كثرة العبادة وأجهدهه أيّ إجهاد، وقد بلغ به الضعف أن الريح كانت تعمله يميناً وشمالاً بمنزلة السنبلة التي تعملها الريح<sup>(٢)</sup>.

وقال ابنه عبدالله: كان أبي يصلي بالليل فإذا فرغ يزحف إلى فراشه<sup>(٣)</sup>.

## ٦ - الاهتمام بالمعالم الإسلامية:

حرص الإمام زين العابدين عليه السلام - كآبائه الكرام - على المحافظة على الشعائر الإسلامية، ويشهد لذلك اهتمامه بتحديد معالم البيت الحرام في فتنة ابن الزبير، فقد روى المؤرخون أنه هو الذي حدد معالم البيت الحرام عندما عزم الحجاج إعادة بنائه بعد فتنة ابن الزبير، كما أن زين العابدين عليه السلام هو الذي وضع الحجر الأسود في محله.

(١) الصحيفة الكاملة السجانية: الدعاء ٣٢، المصباح: ٥٨، وغرالي الأعرام: مواهبها وأمنه: خابته. ونسخت: أي تقطعت وتمزقت وبطلت. والوصلات: رُصلة - بالضم - وهي ما يتوصل به إلى المطلوب، يعني أنه قد فانتى الأسباب التي يتوصل بها إلى السعادات الأخروية إلا السبب الذي هو رحمتك فإنه لا يفوت من أحد، لأنها وسعت كل شيء. ويعظم: جمع عصمة، وهي الوقاية والحفظ. وما أبوء: أقرو وأرجع. وصدق: خرج وأعرض. ويصول: من الصولة بمعنى الحملة. ونذر: ترك. ورميمًا: بالياء. والمحميم: ماء شلبد الحرارة، والنكال: العقوبة. والويال: الرخامة وسره العاقبة.

(٢) الإرشاد: ٢٧٢، روضة الراحطين ١: ٢٣٧.

(٣) بحار الأنوار ٤٦: ٩٩.

ومع كفر الحجاج وبغضه لأهل البيت عليهم السلام، فقد فقد حدثت له آية اضطر معها إلى أن يطلب من الإمام زين العابدين عليه السلام أن يضع الحجر الأسود في محله، وذلك عندما أعاد بناء الكعبة سنة أربع وسبعين، بعد أن قُتل عبدالله بن الزبير وتهدمت الكعبة من ضرب جيشه وقبله جيش يزيد<sup>(١)</sup>.

روى الكليني في الكافي، بسند صحيح عن أبان بن تغلب قال: لما هدم الحجاج الكعبة فرّق الناس ترابها، فلما صاروا إلى بنائها فأرادوا أن ينوها فخرجت عليهم حية فمتعت الناس البناء حتى هربوا، فأتوا الحجاج فأخبروه فخاف أن يكون قد مُنع بنامها، فصعد المنبر ثم نشد الناس وقال: أنشد الله عبداً عنده مما ابتلينا به علم لما أخبرنا به، قال: فقام إليه شيخ فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى فقال الحجاج: من هو؟ قال: علي بن الحسين فقال: معدن ذلك؟ فبعث إلى علي بن الحسين فأتاه فأخبره ما كان من منع الله إياه البناء، فقال له علي بن الحسين: يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهبته، كأنك ترى أنه تراث لك! فصعد المنبر وأنشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئاً إلا رده. قال: ففضل فأنشد الناس أن لا يبقى منهم أحد عنده شيء إلا رده، قال: فردوه فلما رأى جمع التراب أتى علي بن الحسين فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا. قال: فتفويت عنهم الحية، وحفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد، قال لهم علي بن الحسين: تنحوا فتتحوا فلما منها فغطاها بثوبه ثم بكى، ثم غطاها بالتراب بيد نفسه، ثم دعا الفعلة



فقال: ضعوا بناءكم، فوضعوا البناء فلما ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلب فالتقى في جوفها، فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدرج<sup>(١)</sup>.

وفي الخرائج: أن الحجاج بن يوسف لما خرب الكعبة بسبب مقاتلة عبادة بن الزبير ثم عمروها، فلما أعيد البيت وأرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود، فكلما نصبه هالم من علمائهم أو فاض من فضائهم أو زاهد من زهادهم يتزلزل ويقع ويضطرب ولا يستقر الحجر في مكانه. فجاءه علي بن الحسين عليه السلام وأخذه من أيديهم وسمى الله ثم نصبه فاستقر في مكانه، وكبر الناس<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن بابويه: أن الحجاج لما فرغ من بناء الكعبة سأل علي بن الحسين أن يضع الحجر في موضعه، فأخذه ووضع في موضعه<sup>(٣)</sup>.

#### ٧ - الاهتمام بالقرآن الكريم:

وقد شغف الإمام زين العابدين عليه السلام - كأبائه الكرام - بشكل ملفت للنظر، بالقرآن الكريم وعلومه، وتمثل ذلك في سلوكه اليومي وأدعيته واهتماماته، تلاوة وتدبراً وتفسيراً وتعليماً وعملاً، بما لا يدع مجالاً للريب في أن الإمام عليه السلام كان هو القرآن الناطق، والتجسيد الحي لكل آيات القرآن الباهرة والمعجزة الإلهية الخالدة.

وها نحن نعرض بعض ما يشير إلى مدى اهتمام الإمام عليه السلام بالقرآن العظيم من خلال دهائه عند ختم القرآن، بالإضافة إلى ما مر في البحوث السابقة.

(١) الكافي ٤: ٢٢٢ والفقيه ٢: ١٩٣، والعلل ٢: ٤٤٨، والمتابع ٣: ٢٨١.

(٢) الخرائج والبرائج ١: ٢٦٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٤٧.



قال ﷺ: **«اللهم إني أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلت نوراً، وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلت، وفضلته على كل حديث قصصته، وفرقناً فرقت به بين حلالك وحرامك، وقرأناً أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتاباً فضلته لعبادك تفصيلاً، ووحياً أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلاً، وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه، وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وحلم نجاة لا يضل من أم قصد سنته، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته.**

**اللهم** فإذا أفدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت جواسي ألسنتنا بحسن عبارته، فاجعلنا ممن يرعاه حق رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه وموضحات بيئانه، **اللهم إني** أنزلته على نبيك محمد ﷺ مجملاً، وألهمته علم حجائه مكملًا، وورثتنا علمه مفسراً، وفضلتنا على من جهل علمه، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله.

**اللهم** فكما جعلت قلوبنا له حملة، وعرفنا برحمتك شرفه وفضله فصل على محمد الخطيب به وعلى آله الخزان له، واجعلنا ممن يعترف بأنه من عندك حتى لا يعارضنا الشك في تصديقه، ولا يخلطنا الزيف عن قصد طريقه<sup>(١)</sup>.

(١) الصحيفة السجادية: من دعائه في ختم القرآن ٤٢: ٢٠١، والقسط: المجلد. ولا يحيف: لا يحيل. وجواسي: جمع جاسية وهي الغليظة، والمراد غلاظ الألسنة.

إنَّ القرآن هو معجزة الإسلام الكبرى، وقد تحدّث سبيل النبوة في هذا المقطع عن بعض معالمه وأنواره، وهي:

١ - إنَّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم نوراً يهدي به الضالّ، ويرشد به الحائر، ويوضح به القصد.

٢ - إنَّ الله تعالى جعل القرآن الحكيم مهيئاً ومشرفاً على جميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه، فهو يكشف عمّا حدث فيها من التخيير والتبديل والتصرف من قبل المنحرفين ودعاة الضلال.

٣ - إنَّ الله تعالى فضّل كتابه العزيز على كلّ حديث عرض فيه قصص الأنبياء وشؤونهم، فقد تناول الذكر الحكيم بصورة موضوعية وشاملة أحوالهم وشؤونهم واقتباس المبر منهم.

٤ - إنَّ القرآن الكريم باعتباره منهجاً ومستوراً عامّاً للحياة يفرّق بين الحلال والحرام، ويحرب عن شرائع الأحكام، ويفضّل جميع ما يحتاجه الناس تفصيلاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموضاً.

٥ - إنَّ الله تعالى كما جعل كتابه الحكيم نوراً يُهتدى به في ظلم الضلالة والجهالة، كذلك جعله شفاء من الأمراض والمآفات النفسية، وذلك لمن آمن به وصدّقه.

٦ - إنَّ الذكر الحكيم ميزان عدل وقسط، ليس فيه ميلٌ من الحقّ، ولا اتباع لهوى، وأنّ من تمسك به واعتصم فقد سلك الطريق القويم الذي لا التواء فيه، ونجا من الهلاك.

٧ - طلب الإمام عليه السلام من الله جلّ جلاله أن يتفضل عليه برعاية كتابه والتسليم لمحكم آياته والإقرار بمشايهاته.

٨ - إنَّ الله تعالى قد منح نبيّه العظيم فهم حجاب ما في القرآن

الكريم وعلمه تفسيره، كما أشاد بأنفة الهدى من عثرة الرسول ﷺ الذين رفعهم الله هز وجلّ وأعلى درجاتهم، فجعلهم خزنة علمه والأدلاء على كتابه.

ثالثاً - ومن أدعية الصحيفة في مجال الأمور الأخلاقية:

- دَعَاؤُهُ ﷺ فِي مَنَاجَاةِ الْمُفْتَضِرِّينَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَهِي كَسْرِي لَا يَجْبِرُهُ إِلَّا لُطْفُكَ وَحَنَانُكَ وَفَقْرِي لَا يَغْنِيهِ إِلَّا عَطْفُكَ وَإِحْسَانُكَ، وَرَوْعَتِي لَا يَسْكُنُهَا إِلَّا أَمَانُكَ، وَذَلَّتِي لَا يَعْزِزُهَا إِلَّا سُلْطَانُكَ، وَأَمْنِيَّتِي لَا يَبْلُغْنِيهَا إِلَّا فَضْلُكَ، وَخَلَّتِي لَا يَسُدُّهَا إِلَّا طَوْلُكَ، وَحَاجَتِي لَا يَقْضِيهَا غَيْرُكَ، وَكَرْبِي لَا يَفْرِجُهُ سِوَى رَحْمَتِكَ، وَضُرِّي لَا يَكْشِفُهُ غَيْرُ رَأْفَتِكَ، وَغَلَّتِي لَا يَبْرِدُهَا إِلَّا وَصْلُكَ، وَلَوْعَتِي لَا يَطْفِئُهَا إِلَّا لِقَاؤُكَ، وَشَوْقِي إِلَيْكَ لَا يَبْلُهُ إِلَّا النَّظَرُ إِلَى وَجْهِكَ، وَقَرَارِي لَا يَقْرُدُونِ دَنُويَ مَنْكَ، وَلَهْفَتِي لَا يَبْرِدُهَا إِلَّا رَوْحُكَ، وَسَقَمِي لَا يَشْفِيهِ إِلَّا طِبُّكَ، وَغَمِّي لَا يَبْزِلُهُ إِلَّا قَرْبُكَ، وَجَرَحِي لَا يَبْرِثُهُ إِلَّا صَفْحُكَ، وَرَيْنَ قَلْبِي لَا يَجْلُوهُ إِلَّا عَفْوُكَ، وَوَسْوَاسَ صَدْرِي لَا يَبْزِيعُهُ إِلَّا أَمْرُكَ<sup>(١)</sup>.

- وَمِنْهُ دَعَاؤُهُ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنَيْتِي إِلَى أَحْسَنِ النَّيَاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَى أَحْسَنِ الْأَعْمَالِ. اللَّهُمَّ وَفَّرْ بِنُفْقَتِكَ نَيْتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي<sup>(٢)</sup>.

(١) الصحيفة الجامعة (للأبطحي): الدعاء ١٩٢.

(٢) الصحيفة السجادية: (دعاء مكارم الأخلاق).

- ومنه قوله ﷺ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا تَرْفُضَنِي فِي النَّاسِ تَرْجَةً إِلَّا حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي بِثَلَاثٍ، وَلَا تُخَيِّثْ لِي عِزًّا ظَاهِرًا إِلَّا أَخَذْتُ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِثَلَاثٍ<sup>(١)</sup>.

- ومنه قوله ﷺ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمُتَّعْنِي بِهَدَى صَالِحٍ لَا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةٍ حَقٍّ لَا أَرْيَغُ عَنْهَا، وَنِيَّةٍ رُشِدٍ لَا أَشُكُ فِيهَا، وَعَمَلٍ مَا كَانَ عُسْرِي بِذِلَّةٍ فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُسْرِي مَرْتَعًا لِلشُّبْطَانِ فَأَقِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكَمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ. اللَّهُمَّ لَا تَذَعْ خُصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إِلَّا أَضَلَّخْتُهَا، وَلَا عَابِيَةً أَوْثُبُ بِهَا إِلَّا خَسَّتْهَا، وَلَا أَكْرُومَةً فِيَّ نَافِضَةً إِلَّا أَنْتَسَتْهَا.

- ومنه قوله ﷺ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِلْقَاضِ أَهْلِ الثَّنَائِ الْمَحَبَّةِ، وَمِنْ خَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةِ، وَمِنْ ظِلَّةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ الثَّقَةِ، وَمِنْ عَذَاوَةِ الْأَذْنَنِ الْوَلَايَةِ، وَمِنْ عُقُوقِي ذَوِي الْأَرْحَامِ الْمَحَبَّةِ، وَمِنْ جَذَلَانِ الْأَقْرَبِينَ النُّصْرَةِ، وَمِنْ حُبِّ الْمُدَابِرِينَ تَضَرُّعِ الْيَمَةِ، وَمِنْ رَذَةِ الْمُلَاسِبِينَ كَرَمِ الْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حِلَاوَةِ الْأَمْنِ.

- ومنه قوله ﷺ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ لِي بَدْأً عَلَى مَنْ ظَلَمْتَنِي، وَلِسَانًا عَلَى مَنْ خَاصَمْتَنِي، وَظَفَرًا بِمَنْ هَانَدْتَنِي، وَقَبْ لِي مَكْرًا عَلَى مَنْ كَايَدْتَنِي، وَقُلُودَةً عَلَى مَنْ اضْطَلَمْتَنِي، وَتَكْذِيبًا لِمَنْ قَصَبْتَنِي، وَسَلَامَةً وَمَنْ تَوَعَّدْتَنِي، وَوَقْفِي لِمَنْ سَدَّدْتَنِي، وَمُتَابِقَةً مَنْ أَرْسَلْتَنِي.

- ومنه قوله ﷺ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي لِأَنْ أَحَارِضَ

مَنْ عَشَّنِي بِالنُّصِيحِ، وَأَجَزَيْ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وَأَتَيْبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْإِنْدِلِ،  
وَأَكَاثَنِي مَنْ قَطَعَنِي بِالصَّلَاةِ، وَأَخَالَفَ مَنْ اِهْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ  
أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وَأَغْفِي عَنِ السَّيِّئَةِ<sup>(١)</sup>.

رابعاً - ومن أدعية الصحيفة في مجال الأمور الاجتماعية:

١ - في باب شكر المنعم:

- من دعائه عليه السلام في سحر كل ليلة من شهر رمضان:

والحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي، فربي أحمد شيء  
عندي، وأحق بحمدي<sup>(٢)</sup>.

- ومنه الدعاء الأول: إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل  
والثناء عليه، فقال:

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده الذي  
قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين،  
ابتدع بقدرته الخلق ابتداء واختراعهم على مشيئة اختراعه، ثم سلك بهم  
طريق إرادته ويمشهم في سبيل محبته<sup>(٣)</sup>.

- ودعاؤه عليه السلام في سحر كل ليلة من شهر رمضان:

يا حبيب من تحبب إليك، وما قرء عين من لاذ بك وانقطع إليك<sup>(٤)</sup>.

(١) الصحيفة السجادية: (دعاء مكارم الأخلاق).

(٢) الصحيفة الجامعة (للأبطحي): الدعاء ١١٦.

(٣) الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء الأول.

(٤) الصحيفة الجامعة (للأبطحي): الدعاء ١١٦.

## ب - نقد الاوضاع المتردية من خلال الخطب والأدعية:

روى ابن شهر آشوب في المناقب: عن الأصمعي قال: كنت أطوف حول الكعبة ليلة، فإذا شاب ظريف الشماثل وعليه ذؤابتان، وهو متعلق بأستار الكعبة، وهو يقول: انامت العيون، وعلت النجوم، وأنت [الملك] الحي القيوم، خلقت الملوك أبوابها، وأقامت عليها حراسها، وبابك مفتوح للمساكين، جنتك لتنظر إلي برحمتك يا أرحم الراحمين<sup>(١)</sup>. ثم أنشأ يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم      يا كاشف الضر والبلوى مع القم  
قد نام وفدك حول البيت قاطبة      وأنت وحدك يا قيوم لم تنم  
أدهوك رب دعاء قد أمرت به      فأرحم بكاتي بحق البيت والحرم  
إن كان صفوك لا يرجوه ذو سرف      فمن يجود على الماصين بالنعم  
قال: فافتتته فإذا هو زين العابدين عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

- وعن السيد علي بن طاووس في مهج الدعوات: عن جماعة بأسانيدهم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، في حديث طويل، وأنه رأى في المسجد الحرام شاباً يبكي ويتضرع، فأتى به إلى أبيه عليه السلام، وذكر له عليه السلام: أنه كان لاهياً مشغوفاً بالمصيان، وأنه ضرب أباه وأوجعه إلى أن قال ثم حلف [بالله] يعني أباه ليقدمن إلى بيت الله الحرام، فيستعدي الله علي [قال:] فصام أسابيع، وصلى ركعات ودعا، وخرج متوجهاً على عبراته يقطع بالسير عرض الفلاة، ويطوي الأودية، ويحلو الجبال، حتى قدم مكة يوم الحج الأكبر فنزل من راحلته، وأقبل إلى

(١) مستدرك الوسائل - ميرزا حسين النوري الطبرسي ٩: ٣٥٣، ٣٥٤، ح ١١٠٥٨.

بيت الله المحرام فسعى، وطاف به، وتعلق بأستاره، وابتهل (إلى الله) بدعائه، وأنشأ يقول:

يا من إليه أنى الحجاج بالجهد      فوق المهاري من أقصى غاية البعد  
إني أثبتك يا من لا يخيب من      بذوه مبتهلا بالواحد الصمد  
هذا منازل لا يرتاع من عقبي      فخذ يحضي يا جبار من ولدي  
حتى (يشل بحول) منك جانبه      يا من تغلس لم يولد ولم يلد  
قال: فوالذي سمك السماء، وأنبع الماء ما استتم دعاءه حتى نزل  
بي ما ترى، ثم كشف عن يمينه فإذا بجانبه قد شل.. الخبر، وفيه ذكر  
الدعاء المعروف بدعاء المشلول<sup>(١)</sup>.

- ومنه دعاؤه ﷺ في السحر:

عن طاووس أنه قال: رأيت - أي علي بن الحسين ﷺ - يطوف من  
العشاء إلى السحر ويتعبد، فلما لم ير أحدا رمق السماء بطرفة، وقال:  
إلهي غارت نجوم سمواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك إلى  
أن قال: ثم بكى، وأنشأ يقول:  
انحرفني بالنار يا غاية السنى      فأين رجائي ثم أين محبتي

(١) مستدرك الوسائل - ميرزا حسين النوري الطبرسي ٩: ٣٥٢-٣٥٤، ح ١١٠٥٩، وفيه: وعن  
السيد ابن زهرة في الغنية: وتعلق بأستار الكعبة ويقول: اللهم بك استجرت فأجرتي، وبك  
استثبت فأثقتي، يا رسول الله، يا أمير المؤمنين، يا فاطمة بنت رسول الله يا حسن، يا  
حسين وبسبي الأئمة ﷺ إلى آخرهم بالله ربي استقيت، وبكم إليه تشفعت، أنتم عديتي،  
ولياكم أقدم بين يدي حوائجي، فكونوا شفعا لي إلى الله في إجابة دعائي، وتبليغي في (ديني  
ودنياي) مهدي، اللهم ارحم بهم حبرتي، واغفر بشفاعتهم خطيئي، واقل مناسكي،  
واغفر لي ولوالدي، واحفظني في نفسي وأهلي، وفي جميع إخواني، واشركهم في صالح  
دعائي، إنك على كل شيء قدير.



أتيت بأعمال قباح رديّة وما في الوري خلق جنى كجنايتي<sup>(١)</sup>  
- ومنه ما أورده السيد الأبطحي عنوان: ومن دعائه ﷺ بعد ركعتي  
الفجر وهو:

اللهم إني أستغفرك مما تبت إليك منه ثم عدت فيه، وأستغفرك لما  
أردت به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك، وأستغفرك للنعم التي مننت  
بها علي فقويت بها على معاصيك.

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم عالم الغيب والشهادة  
الرحمن الرحيم لكل ذنب أذنبه، ولكل معصية ارتكبتها.

اللهم ارزقني عقلا كاملا، وعزما ثاقبا، ولبا راجعا، وقلبا زكيا  
(ذكيا خ ل) وعلمًا كثيرًا، وأبيا بارعا، واجعل ذلك كله لي، ولا تجعله  
علي برحمتك يا أرحم الراحمين<sup>(٢)</sup>.

- ومنه دعاؤه ﷺ في المناجاة المعروفة بـ «التدبة»:

روى الزهري، قال: سمعت مولانا زين العابدين ﷺ يحاسب  
نفسه،

ويناجي ربه: وهو يقول:

يا نفس حثام إلى الحياة سكونك، وإلى الدنيا عمارتها ركونك، أما  
اعتبرت بمن مضى من أسلافك، ومن وارثه الأرض من ألافك، ومن  
فجعت به من إخوانك، ونقلت إلى دار البلى من أقرانك:

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوال دوائر

(١) الصحيفة الجامعة (للأبطحي): الدعاء ٩١.

(٢) الصحيفة الجامعة (للأبطحي): ١٧٧، راجع الهامش ٧.

خلت دورهم منهم وأقوت عراضهم وساقطتهم نحو المنابا المقادر  
وغلوا من الدنيا وما جمعوا لها وخسبهم تحت الثراب الحقائق<sup>(١)</sup>.

ج - الوهظ بأسلوب التجوى مع الله تعالى:

قال عبدالله بن مبارك: حججت بعض السنين إلى مكة فبينما أنا سائر  
في عرض الحاج وإذا صبي سباعي أو ثمانني؟ وهو يسير في ناحية من  
الحاج بلا زاد ولا راحلة فتقدمت إليه وسلمت عليه، وقلت له: مع من  
قطعت البر؟ قال: مع البار فكبر في عيني، فقلت: يا ولدي أين زادك  
وراحلتك؟ فقال: زادي تقواي، وراحلتي رجلاي، وقصدي مولاي،  
فعظم في نفسي، فقلت: يا ولدي ممن تكون؟ فقال: مغربي، فقلت:  
أين لي؟ فقال: هاشمي، فقلت: هاشمي، فقلت: أين لي، فقال: علوي  
فاطمي فقلت: يا سيدي هل قلت شيئا من الشر؟ فقال: نعم، فقلت:  
أنشدني شيئا من شعرك، فأشد:

لنحن على الحوض رواده نلود ونسقي وراه  
وما فاز من فاز إلا بنا وما غاب من غابنا زاده  
ومن سرتنا نال منا السرور ومن ماءنا ماء ميلاده  
ومن كان غاصبتنا حقتنا فبوم القيامة مبعاده  
ثم غاب عن عيني إلى أن أتيت مكة فقصيت حجتني ورجعت، فأتيت  
الأبطح فإذا بحلقة مستديرة، فاطلمت لأنظر من بها فإذا هو صاحبي،  
فسألت عنه فقيل: هذا زين العابدين عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

ويروى له عليه السلام:

(١) الصحيفة الجامعة (للأبطمي): الدعاء ٢١٤.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٦: ٩١ - ٩٢.

نحن بنو المصطفى ذوو غصص      يجرعها في الأنام كظمنا  
عظيمة في الأنام محنتنا      أولنا مبتلى وأخرنا  
يفرح هذا السورى بميلهم      ونحن أحياناً ماأتمنا  
والناس في الأمن والسور      وما بأمن طول الزمان خائفنا  
وما خصصنا به من الشرف      الطائل بين الأنام آفئنا  
يحكم لنا الحكم فيه لنا      جاحدنا حقنا وعاصبنا<sup>(١)</sup>

- وفي البحار، عن أعلام الدين للديلمى: عن طاووس اليماني، قال: رأيت في جوف الليل رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول:

ألا أيها الساسول في كل حاجة      شكوت إليك الضر فاسمع شكايي  
ألا يا رجائي أنت تكشف كرمي      فهب لي فتوي كلها واقض حاجتي  
فزادني قليل لا أراه مبللي      اللزاد أبكي أم لطول مسافتي  
أنبت بأعمال قبائح رديّة      فما في السورى عبد جنى كجنايتي  
أحرقني في النار يا غاية المعنى      فأين رجائي ثم أين مخافتي

قال: فأتاك فإذا هو علي بن الحسين عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

- ومن مناجاته عليه السلام:

إِلَهِى وَتَيْدِي إِنْ كُنْتَ لَا تُغْفِرُ إِلَّا لِأَوْلِيَايِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ قُلْ لِي مَنْ  
يَقْرَعُ الْمُذْنِبُونَ؟ وَإِنْ كُنْتَ لَا تُكْرِمُ إِلَّا أَهْلَ الزَّهَادِ بِكَ فِيمَنْ يَسْتَفِيئُ  
الْمُؤْمِنُونَ؟<sup>(٣)</sup>

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ١٦: ٩١ - ٩٢.

(٢) مستدرک الوسائل - ميرزا حسين السورى الطبرسي ٩: ٢٥٢، ٢٥٣، ح ١١٠٥٧.

(٣) إقبال الأسمال - السيد ابن طاووس ١: ١٧٣، ومفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي،

- ومن متاجانه ﷺ :

اللَّهُمَّ - فَأِنِّي امْرُؤٌ خَفِيرٌ، وَخَطِيرِي بَسِيرٌ، وَلَيْسَ عَذَابِي بِمَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مِثْقَالَ قَرْدٍ، وَلَوْ أَنَّ عَذَابِي بِمَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ لَسَأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ، وَأَخْبَيْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَكَ، وَلَكِنْ سُلْطَانُكَ - اللَّهُمَّ - أَغْلَمُ، وَمُلْكُكَ أَذْوَمُ مِنْ أَنْ تَزِيدَ فِيهِ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ، أَوْ تَنْقُصَ مِنْهُ مَمْنَعَةُ الْمُذْنِبِينَ. فَارْحَمْنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَتَجَاوَزْ عَنِّي يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ<sup>(١)</sup>.

د - النقد البناء لموجة الانحراف من خلال أدعية الصحيفة :

إنَّ المسلمين في عصر الإمام زين العابدين ﷺ واجهوا خطرين كبيرين خارج النطاق السياسي والعسكري، وكان لا بدَّ من البدء بعمل حاسم للوقوف في وجههما :

أحدهما : الخطر الذي نجم عن انفتاح المسلمين على ثقافات متنوعة، وأعراف تشريعية وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التي دخلت في دين الله أفواجا، وكان لا بدَّ من عمل على الصعيد العلمي يؤكد في المسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيتهم التشريعية المتميزة المستمدة من الكتاب والسنة، وكان لا بدَّ من حركة فكرية اجتهادية تفتح آفاقهم الذهنية ضمن ذلك الإطار لكي يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنة بروح المجتهد البصير والممارس الذكي، الذي يستطيع أن يستنبط منها ما يفيد في كلِّ ما يستجدُّ له من حالات.

كان لا بدَّ إذن من تأصيل للشخصية الإسلامية ومن زرع بذور

الاجتهاد، وهذا ما قام به الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام فقد بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله...

وأما الخطر الآخر: «فقد نجم عن موجة الرخاء التي سادت المجتمع الإسلامي في أعقاب ذلك الامتداد الهائل، لأن موجات الرخاء تعرّض أيّ مجتمع إلى خطر الانسياق مع ملذّات الدنيا، والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة، وانطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقية والصلة الروحية بالله واليوم الآخر، وبما تضمنه هذه الصلة أمام الإنسان من أهداف كبيرة، وهذا ما وقع فعلاً، وتكفي نظرة واحدة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني لتتضح الحال.

وقد أحسّ الإمام عليّ بن الحسين بهذا الخطر، وبدأ بعلاجه، واتخذ من الدعاء أساساً لهذا العلاج، وكانت الصحيفة السجّادية من نتائج ذلك، فقد استطاع هذا الإمام العظيم بما أوتي من بلاغة فريدة وقدرة فائقة على أساليب التعبير العربي، وذهنية ربّانية تتفق عن أروع المعاني وأدقّها في تصوير صلة الإنسان برّبّه، ووجده بخالقه وتعلّقه بمبدئه ومعاده، وتجسيد ما يعبّر عنه ذلك من قيم خلقية وحقوق وواجبات.

وقد استطاع الإمام عليّ بن الحسين بما أوتي من هذه المواهب أن ينشر من خلال الدعاء جوّاً روحياً في المجتمع الإسلامي، يساهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المفريات، وشدّه إلى ربّه حينما نجّره الأرض إليها وتأكّد ما نشأ عليه من قيم روحية، لكي يظلّ أميناً عليها في عصر الفنى والثروة كما كان أميناً عليها وهو يشدّ حجر المجاعة على بطنه.

وهكذا نعرف أنّ الصحيفة السجّادية تعبّر عن عمل اجتماعي عظيم

كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام، إضافةً إلى كونها تراثاً ريتانياً فريداً يظلُّ على مرِّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظلُّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، وتزداد حاجةً كلما ازداد الشيطان إغراءً والدنيا فتنةً<sup>(١)</sup>.

هـ - ومن أهمية الصحيفة في مجال بيان الحقائق العلمية:

فبالإضافة إلى أنَّ الصحيفة السجّادية وُكِّفت أديعتها لتربية الإنسان وترشيد حركته الفردية والاجتماعية، فقد حوت جملةً من الحقائق العلمية التي تنبئ عن إحاطة الإمام بالحقائق العلمية، وشمخ مقامه العلمي - كما تفضّلت خطب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ودعاء عرفة للإمام الحسين (عليه السلام) قسماً كبيراً من العلوم والمعارف - فيما يرتبط بشركيبة الإنسان الجسمية وكيفية خلقه، أو كيفية خلق أنواع الكائنات الأخرى الأرضية والسموية.

وتجد في كثير من أديعته (عليه السلام) إشاراتٍ واضحةً إلى أمثال هذه الحقائق العلمية.

١ - ممّا يلوح من الصحيفة السجّادية، وهو جعل مبدأ التاريخ الإسلامي هجرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى المدينة المنورة، ويظهر ذلك من سند الصحيفة التي يقول فيها الإمام الصادق (عليه السلام) - في ضمن حديثه للمتوكل بن هارون: «يرحم الله يحيى، إنَّ أبي حدثني، عن أبيه، عن جده علي (عليه السلام) «أَنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذته نعسة، وهو على منبره، فرأى في منامه رجالاً يتزوّنون<sup>(٢)</sup> على منبره نزو

(١) نقلاً عن مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر على الصحيفة السجّادية الكاملة.

(٢) يتزوّنون: يتنون.

القرعة، يردون الناس على أعقابهم القهقري، فاستوى رسول الله ﷺ جالساً والحزن يعرف في وجهه، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا آلِهَةً إِلَّا لَزِينًا لَا يَذْكُرُ الْفَائِرَ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُفِثَتْهُمْ فَأَرْبَتْهُمْ إِلَّا غُلَبْنَا كَكَبْرًا﴾<sup>(١)</sup> يعني بني أمية.

فقال: يا جبرئيل أعلني عهدني يكونون وفي زماني؟

قال: لا، ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك، فثلبت بذلك عشراً، ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك، فثلبت بذلك خمساً، ثم لا بُدَّ من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها، ثم ملك الغراعة.

قال: وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾<sup>(٢)</sup> وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ<sup>(٣)</sup> لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ<sup>(٤)</sup> يملكها بنو أمية ليس فيها ليلة القدر.

قال: فأطلع الله عز وجل نبيه ﷺ أن بني أمية تملك سلطان هذه الأمة، وملكها طول هذه المدة، فلو طاولتهم الجبال لطلوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت ويغضنا، أخبر الله نبيه بما يلقي أهل بيت محمد وأهل مودتهم وشيعتهم منهم في أيامهم وملكهم<sup>(٥)</sup>.

هذا، وقد ورد تأكيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على جعل مبدأ التاريخ الإسلامي الهجرة النبوية في أحاديث أخرى نذكر منها ما رواه

(١) الفرقان الكريم، سورة الإسراء ١٧: ٦٠.

(٢) الفرقان الكريم، سورة القدر ٩٧: ١ - ٣.

(٣) راجع سند الصحفة في النسخ المتداولة.

العلامة المجلسي في البحار بإسناده قال: جمع عمر بن الخطاب الناس يسألهم: أي يوم يكتب؟ فقال علي عليه السلام: «من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك»، فكانت عليه السلام أشار إليهم أن لا تبدعوا بدعة وأرغوا كما كان في زمن رسول الله ﷺ لأنه عليه السلام لنا قدم المدينة في شهر ربيع الأول أمر بالتاريخ<sup>(١)</sup>.

وروى المتقي الهندي في كنز العمال أحاديث عديدة في ذلك، منها: قول ابن المسيب: «أول من كتب التاريخ عمر لستين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب»<sup>(٢)</sup>.

٢ - ومنها قوله عليه السلام: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيَّرَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حُدًّا مَحْدُودًا، وَأَعَدَّ مَمْدُودًا، يُوَلِّجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُوَلِّجُ صَاحِبَهُ فِيهِ، بِتَقْدِيرٍ مِنْهُ لِلْعِبَادِ قِيمًا يَخْذُوهُمْ بِهِ وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

قال السيد محمد حسين الجلالي في شرحه للمصحفة السجادية، ما نصه: الليل والنهار ظاهرتان طبيعتان يتأثر بهما كل ذي حياة على الكرة الأرضية صباحاً ومساءً، وشأن كل الظواهر المتكررة أن ينفل الإنسان عن مبدئها ودورها والمسؤولية المرتبطة بها في كل دور من الأدوار.

والظاهر أن كلام الإمام عليه السلام ناظر إلى مرحلتين من التحول، أولاً: التحول من الليل إلى النهار، ثم من النهار إلى الليل، ولذلك أتى بالجمليتين معاً فقال: (يولج كل واحد منها في صاحبه) ثم قال: (ويولج

(١) البحار ٤١: ٢١٨، الحديث ٩.

(٢) أنظر كنز العمال، الأحاديث: ٢٩٥٥٢ - ٢٩٥٥٦ و ٢٩٥٦٥.

(٣) المصحفة السجادية، (ط: مهرجان تراثيل سجادية)، الدعاء رقم (٦)، المقطع الأول.



صاحبه فيه). وقد نقل السيّد المدني (قدس سره) في الشرح (رياض السالكين) أقوالاً ختمها بقوله: «والله أعلم بمقاصد أولياته»<sup>(١)</sup>.

وقد استفاد السيّد الأستاذ الخوئي رحمه الله من هذا المقطع من الدعاء: كروية الأرض، وحيث أن هذا فكر بكر لم يسبقه إليه أحد، أورد نص كلامه رحمه الله، وإن كنت قد وعدت الإيجاز في الشرح، قال رحمه الله: «ومن ذلك ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه عند الصباح والمساء: (وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً، وأما محدوداً، يولج كل واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للمعاد). أراد صلوات الله عليه بهذا البيان البديع التعريف بما لم تدركه العقول في تلك المصوّر، وهو كروية الأرض، وحيث أن هذا المعنى كان بعيداً عن أفهام الناس؛ لانصراف العقول عن إدراك ذلك، تلتطف - وهو الإمام العالم بأساليب البيان - بالإشارة إلى ذلك على وجه بليغ، فإنه عليه السلام لو كان يصدد بيان ما يشاهده عامة الناس من أن الليل ينقصر تارة فتضاف من ساعاته إلى النهار، وينقصر النهار تارة أخرى فتضاف من ساعاته إلى الليل، لاقتصصر على الجملة الأولى: (يولج كل واحد منهما في صاحبه) ولما احتاج إلى ذكر الجملة الثانية: (ويولج صاحبه فيه)، إذن فذكر الجملة الثانية إنما هو للدلالة على أن إيلاج كل من الليل والنهار في صاحبه يكون في حال إيلاج صاحبه فيه، لأن ظاهر الكلام أن الجملة الثانية حالية، ففي هذا دلالة على كروية الأرض، وإن إيلاج الليل في النهار - مثلاً - عندنا يلازم إيلاج النهار في الليل عند قوم آخرين. ولو لم

تكن مهمة الإمام ﷺ الإشارة إلى هذه النكتة العظيمة، لم تكن لهذه الجملة الأخيرة فائدة، ولكانت تكراراً معنوياً للجملة الأولى<sup>(١)</sup>.

٣ - ومنها قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ إِذَا ذُكِرَ الْأَبْرَارُ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، صَلَاةٌ لَا يَنْقَطِعُ غَدُّهَا، وَلَا يُخَفِّضُ غَدُّهَا، صَلَاةٌ تَشْحَنُ الْهَوَاءَ، وَتَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَرْضَى، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ بَعْدَ الرُّضَا صَلَاةٌ لَا حَدَّ لَهَا وَلَا مُنْتَهَى، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»<sup>(٢)</sup>.

مما يدل على إمكان شحن الهواء، بل شحن الأرض والسماء.

٤ - وقوله ﷺ: «سبحانك تعلم وزن السماوات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الغيِّ والهواء»<sup>(٣)</sup>.

وقد قال ﷺ كلَّ هذه الحقائق العلمية في عصر لم تكن مثل هذه المفاهيم مطروحة في الأوساط العلمية آنذاك.

٥ - وأشار ﷺ إلى إمكانية وجود الجراثيم في المياه والأطعمة في دهائه لأهل الشَّور، داعياً على الأعداء: «اللَّهُمَّ وامزج مياههم بالوباء، وأطعمتهم بالأدواء»<sup>(٤)</sup>.

كلَّ ذلك في عصر لم تكن مثل هذه المفاهيم مطروحة في الأوساط العلمية في دنيا الإسلام أو غيرها.

(١) البيان في تفسير القرآن: ٧٦.

(٢) الصحيفة السجادية، المقطع السابع عشر من الدعاء رقم (٣٢).

(٣) الصحيفة الجامعة، للأبطحي: ٢٤.

(٤) الصحيفة الجامعة، للأبطحي: ١٣٥.

ونجد في كثير من أدعيته عليه السلام إشارات واضحة إلى أمثال هذه الحقائق العلمية<sup>(١)</sup>.

(١) وقد تقدم منا ما رواه الإمام محمد الباقر عن أبيه عليه السلام، في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي سَلَّمَ لَكُمْ الْأَرْضَ رِزْقًا وَآسَافَةً بِئَاءَ﴾ (سورة البقرة ٢: ٢٧)، قال: جعلها ملائمة لطباعكم، موافقة لأجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحسّ والحرارة فحترقكم، ولا شديدة البرودة فجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدح هاماتكم، ولا شديدة التّن فتمطّبكم، ولا شديدة المني كالماء فخرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم، ولكم عزّ وجلّ جعل فيها من البشارة ما تستفون به، وتستامكون عليها أبلانكم وبناتكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم، فخلقك جعل الأرض فراشاً لكم، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿وَآسَافَةً بِئَاءَ﴾ أي سقفاً من فوقكم، محفوظاً بدير شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ بَيْنَ الْكَنُوزِ يَدْخَالَكُمْ﴾ يعني المطر ينزله من حلّ لينبغ قتل جبالكم وتلاكم ومضايكم وأوحادكم ثم غزته رذاً وبابلاً وهطلاً لتشفه أرواحكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وتمازكم، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿فَلْيَرْجُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني ما يخرج من الأرض رزقاً لكم ﴿فَلَا يَحْشِلُوا فِيهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي أشباهاً وأمثلاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تفكر على شيء ﴿وَأَلَّيْمُ فَتَقَوُّوا﴾ أي لا تفكر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم تبارك وتعالى. (هيون أخبار الرضا ٢: ١٢٥ - ١٢٦). وقلنا إن هذه القطعة النحوية من كلام الإمام زين العابدين عليه السلام حوت أروع أدلة التوحيد وأوثقها، فقد أحملت صورة متكاملة مشرقة من خلق الله تعالى للأرض، فقد خلقها بالكيفية الرائعة التي ليست صلبة ولا شديدة ليسهل على الإنسان العيش عليها، والانضاع بغيراتها وتمازتها التي لا تحصى، فالأرض بما فيها من العجائب كالحبال والأودية والمعادن والبحار والأنهار وغير ذلك من أعظم الأدلة وأوثقها على وجود الخالق العظيم الحكيم.

كما استدل الإمام عليه السلام على عظمة الله تعالى بخلق السماء وما فيها من الشمس والقمر وسائر الكواكب التي تزود هذه الأرض بأشعتها. إن أشعة الشمس لها الأثر البالغ في تكوين الحياة النباتية، كما أنّ أشعة القمر لها الأثر على البحار في مدّها وجزرها، وكذلك لأشعة سائر الكواكب، فإنّ الأثر النام في منح الحياة العاتقة لجميع الموجودات الحيوانية والنباتية في الأرض، وهذه الظواهر الكونية التي لم تكتشف إلّا في هذه العصور الحديثة، إلّا أنّ الإمام عليه السلام ألمح إليها في كلامه. فكان حقاً هو وبآلؤه وأبنائه المعصومون الرواد الأوائل الذين رصفوا راية العلم، وسامعوا في تكوين الحضارة الإنسانية.

## أساليب أخرى للإمام السجّاد عليه السلام في التربية والتعليم

### ١ - التذكير بنعم الله:

يستحب للإنسان أن يظهر نعم الله عليه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَتَذَكَّرُ﴾<sup>(١)</sup>، وروي عن أنمة الهدى عليه السلام: «إن الله يحب الجمال والتجمل، ويكره البؤس والتبؤس، فإن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى عليه أثرها، قيل: كيف ذلك؟ قال: ينظف ثوبه، ويطيب ريحه، ويجصص داره، ويكس أفنيته، حتى إن السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق». وروي عنهم عليه السلام أيضاً أنه قال: «إنني لأكره للرجل أن يكون عليه من الله نعمة، فلا يظهرها». وعن بريد بن معاوية، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام لعبيد بن زياد: «إظهار النعمة أحب إلى الله من صيانتها، فلما كان أن تزين (أو تزين) إلا في أحسن زي قومك»، قال: «فما روي عبيد إلا في أحسن زي قومه حتى مات»<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما أمر به الله سبحانه في سورة الضحى، حيث قال فيه:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَأَنَّ ١ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ٢ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ٣ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٤ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ٥ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ٦﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال عز وجل:

- وأعطى الإمام عليه السلام صورة منيرة من الأمطار، وأنها تساقط بصورة ونية وفي أوقات خاصة، وذلك لإحياء الأرض وإخراج ثمراتها، ولو دام المطر ونزل دفعة واحدة لأهلك المحرث والنسل. فراجع المطلب في قسم الحكمة.

(١) القرآن الكريم، سورة الضحى: ١١.

(٢) الموسوعة الفقهية الميسرة - الشيخ محمد علي الأنصاري ٤: ١٠٧.

(٣) القرآن الكريم، سورة الضحى: ٦ - ١١.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَيْمًا وَلَا تَقْرَعُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَهْدَاءَ ۖ فَآلَتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاسْتَبَعْتُمْ يَسْخِيَهُ إِخْوَانَكُمْ كُنْتُمْ عَلَىٰ شَكَا حُفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (١).

وأكد الإمام زين العابدين على ذلك في ادعيته عليه السلام، ومنها قوله:  
والْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مَخَاصِيِنَ الْخَلْقِ، وَأَجْرَىٰ عَلَيْنَا عِلِّيَّاتِ الرَّزْقِ.  
وَجَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَ عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَكُلُّ خَلِيقَةٍ مُنْقَاذَةٌ لَّنَا  
بِقُدْرَتِهِ، وَصَاحِبَةٌ إِلَىٰ طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَهْلَقَ عَنَّا بَابَ  
الْحَاجَةِ إِلَّا إِلَيْهِ، فَكَيْفَ نُطِيقُ حَمْدَهُ أَمْ مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَهُ لَا، مَتَى.

والْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَكَّبَ بَيْنَنَا آيَاتِ الْبَسِيطِ، وَجَعَلَ لَنَا أَدْوَابَ الْقَبْضِ،  
وَمَتَّعَنَا بِأَرْوَاحِ السَّعْيِ، وَأَثَبَتْ بَيْنَنَا جَوَارِحَ الْأَعْمَالِ، وَعَدَّدَنَا بِطَيِّبَاتِ  
الرَّزْقِ، وَأَغْنَانَا بِفَضْلِهِ، وَأَفْنَانَا بِمَنِّهِ (٢).

وقال أيضاً:

والْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي دَلَّنَا عَلَى الثَّوْبَةِ الَّتِي لَمْ نَعِدْهَا إِلَّا مِنْ فَضْلِهِ، فَلَوْ  
لَمْ نَعْتَدِ مِنْ فَضْلِهِ إِلَّا بِهَا لَقَدْ حَسَنَ بَلَاءُ عِبْدَنَا، وَجَلَّ إِحْسَانُهُ إِلَيْنَا  
وَجَسَمَ فَضْلُهُ عَلَيْنَا، فَمَا هَكَذَا كَانَتْ شُكَّتْ فِي الثَّوْبَةِ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا، لَقَدْ  
وَضَعَ عَنَّا مَا لَا عَاقِلَةَ لَنَا بِهِ، وَلَمْ يُكَلِّفْنَا إِلَّا وُسْعًا، وَلَمْ يُجَسِّمْنَا إِلَّا  
بُسْرًا، وَلَمْ يَدْعُ لِأَحَدٍ مِنَّا حُجَّةً وَلَا عُذْرًا (٣).

وقال أيضاً في دعاء أبي حمزة الثمالي:

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران: ٣: ١٠٣.

(٢) الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام: ٣٠ - ٣٢.

(٣) الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام: ٣٢.

أين عطايك الفاضلة، أين مواهبك الهنيئة، أين كرمك يا كريم؟ به وبمحمد وآل محمد ﷺ فاستقلني، وبرحمتك فخلصني<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً:

وما قدر أعمالنا في جنب نعمك؟ وكيف نستكثر أحمالاً يقابل بها كرمك، بل كيف يضيق على الملئنين ما وسعهم من رحمتك؟<sup>(٢)</sup>.

ولهذا الأسلوب أبلغ الأثر في التربية مما يوجب الانتباه إلى النقاط الإيجابية التي أنعم الله بها على الإنسان بدلاً من الالتفات إلى السلبيات وإيجاد حالة اليأس والشقاء في الحياة.

## ٢ - أسلوب التفاؤل:

وهذا الأسلوب من الأساليب المؤثرة في ردع المعتدي وإيقاظ الجاهل الغافل أحياناً ويدونه لا يمكن من احراز السعادة، خصوصاً بالنسبة إلى من لا يفهم حقيقة الحياة أو لا يريد أن يفهمها، وقد أكد على هذا الأسلوب الأئمة ﷺ بل مارسوها مع الجاهلين مراراً، ونجحوا في إيقاظهم من الغفلة والانحراف، ونورد هنا بعض ما روي عنهم ﷺ في ذلك:

فروى علي بن إبراهيم عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله ع قال قال رسول الله ﷺ: مَذَارَةُ النَّاسِ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَالرَّفْقُ بِهِمْ نِصْفُ الْعَيْشِ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: خَالِطُوا الْأَبْرَارَ مِرّاً وَخَالِطُوا الْفُجَّارَ جَهَاراً وَلَا تَبْلُغُوا عَلَيْهِمْ فَيُظْلِمُوكُمْ فَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ

(١) إنبال الأحمال - السيد ابن طاووس ١: ١٦٠.

(٢) إنبال الأحمال - السيد ابن طاووس ١: ١٦١.

زَعَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ مِنْ ذَوِي الدِّينِ إِلَّا مَنْ عَثُرُوا أَنَّهُ أَبْنَاهُ وَصَبَّرَ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَمُنَّ [لَهُ] : إِنَّهُ أَبْنَاهُ لَا عَقْلَ لَهُ<sup>(١)</sup>.

وكان المراد بالمداراة هنا التفاوض والحلم عنهم وعدم معارضتهم، وبالرفق الإحسان إليهم وحسن معاشرتهم، ويحتمل أن يكون مرجعهما إلى أمر واحد، ويكون ثغنا في العبارة، فالغرض بيان أن المداراة والرفق بالعباد لهما مدخل عظيم في صلاح أمور الدين وتعيش الدنيا، والثاني ظاهر والأول لأنه إطاعة لأمر الشارع حيث أمر به وموجب لهداية الخلق وإرشادهم بأحسن الوجوه كما قال تعالى: ﴿أَتَعْزِزُ لَكَ سَبِيلَ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَنَدِيدُهُمْ بِالَّذِي مِنْ أَعْيُنٍ<sup>(٢)</sup> وَالْعَبَسِ الْحَيَاةِ وَالْمَرَادُ هُنَا التَّعِيشُ الْحَسَنَ بِرِفَاقَةِ مَخَالِطُوا الْأَبْرَارِ سِرًّا أَي أَحْبَبُهُمْ بِقُلُوبِكُمْ أَوْ أَفْشَوْا إِلَيْهِمْ أَسْرَارَكُمْ بِخِلَافِ الْفُجَّارِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا بِحَسَنِ مَخَالَطَتِهِمْ فِي الظَّاهِرِ لِلتَّقِيَّةِ وَالْمَدَارَاةِ، وَلَا يَجُوزُ مَوَدَّتُهُمْ قَلْبًا مِنْ حَيْثُ فَسَقْتُهُمْ وَلَبَّسُوا مَحَالًا لِأَسْرَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَيْنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: وَلَا تَمِيلُوا عَلَيْهِمْ، عَلَى بِنَاءِ الْمَجْرُودِ، وَالتَّعَدِيَةِ بِعَلَى لِلضَّرَرِ أَيْ لَا تَعَارِضُوهُمْ إِرَادَةً لِلْعُغْلِيَّةِ، قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ: مَالُ الْحَاكِمِ فِي حُكْمِهِ مِيلًا جَارٍ وَظَلَمٌ فَهُوَ مَائِلٌ، وَمَالُ عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ أَصَابُهُمْ بِجَوَانِحِهِ. وَفِي النِّهَايَةِ: فِيهِ لَا يَهْلِكُ أَمْتِي حَتَّى يَكُونَ بَيْنَهُمُ التَّمَايِلُ وَالتَّمَايِزُ، أَيْ لَا يَكُونُ لَهُمْ سُلْطَانٌ يَكْفِ النَّاسَ عَنِ التَّنَاطُلِ فَيَمِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْأَذَى وَالْحَيْفِ، انْتَهَى. وَقِيلَ: هُوَ عَلَى بِنَاءِ الْأَفْعَالِ أَوْ التَّضَعُّيلِ أَيْ لَا تَعَارِضُوهُمْ لَتَمِيلُوهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ إِلَى مَذْهَبٍ آخَرَ وَهُوَ تَكْلُفٌ وَإِنْ كَانَ أَنْسَبُ بِمَا

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول - العلامة المجلسي ٨: ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٢) القرآن الكريم، سورة النحل ١٦: ١٢٤.

بعده، وفي القاموس: رجل أبله بين البله والبله: غافل أو عن الشر أو أحسن لا تميز له، والميت الذاء، أي من شره ميت، والحسن الخلق القليل الفطنة لمذاق الأمور أو من غلبة سلامة الصدر<sup>(١)</sup>.

### أنواع التغافل:

وللتغافل نوعان محمود ومنموم، أما المحمود، فهو التغافل البناء في الأمور التي ينبغي التسامح فيها من ذوي العروة والكرامة، وعدم الاستقصاء للمعائب والمفوض اليه، فإنه قل من يخلو من الخطأ والاشتباه، وفي هذا المجال ورد عن الأئمة عليهم السلام العديد من الروايات، منها:

ما ورد عنه عليه السلام: إْحْتِمْلِ مَا يَمُرُّ عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْإِحْتِمَالَ يَسْتُرُ الْغُيُوبَ، وَإِنَّ الْعَاقِلَ نِصْفُهُ احْتِمَالٌ وَنِصْفُهُ تَغَافُلٌ<sup>(٢)</sup>.

ومن وصايا الإمام زين العابدين عليه السلام: اعلم يا بني أن صلاح الدنيا بعذافيرها في كلمتين: إصلاح شأن المعاش ملء مكياك ثلثاء فطنة وتلك تغافل، لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عرفه وفطن له<sup>(٣)</sup>.

وعنه عليه السلام: لَا تُعَاتِبِ الْجَاهِلَ فَيَمُتْكَ، وَعَاتِبِ الْعَاقِلَ يُحْيِكَ<sup>(٤)</sup>.

وعن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عِيْسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ أَبِي حَضْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول - العلامة المجلسي ٨ - شرح ص ٢٢٨ - ٢٣٠.

(٢) ميون الحكم والمواظ - علي بن محمد اللبني الواسطي: ٤٩٩، وموسوعة العقائد الإسلامية - محمد الريشهري ١: ٢٨٤، ج ٥٨٤.

(٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري ٣: ٢٢٨٨.

(٤) موسوعة العقائد الإسلامية - محمد الريشهري ١: ٢٨٤ - ٥٨٦.



الْمُحْسِنِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ يُبْعِرَ مِنَ النَّاسِ مَا يَخْتَصِي عَلَيْهِ مِنْ نَقَبِهِ وَأَنْ يُؤْذِيَ جَلِيسَهُ بِمَا لَا يَنْتَهِي<sup>(١)</sup>.

والاغضاء: هو التغافل عن الشيء، والاغضاء إثناء الجفون بعضها ببعض، ومنه قول القائل في مدح علي بن الحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

يَخْضِي حِيَاءً وَيُخْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يَكْلُمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ<sup>(٢)</sup>

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف الميث. وقال: رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك حق. بيان: كان المراد بالمداراة التغافل والحلم عنهم وعدم معارضتهم. وقال: أمرت بمداراة الناس كما أمرت بتبليغ الرسالة. سائر الروايات في مدح المداراة والرفق واللين. وقال: من مات مداريا، مات شهيدا. إن مداراة الناس من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال تعالى: ﴿خُذِ الْقُرْآنَ وَأَمْرَ الْكَلْبِ وَأَمْرَ مَنْ كَلْبَهُلِكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن مجموعة الشهيد قال: قال جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: أعظموا أقداركم بالتغافل فقد قال الله عز وجل: ﴿عَرَفَ بِسْمِهِ وَأَنْفَرَجَ عَنْ بَئْسٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

فظهر مما تقدم حسن التغافل عن الأمور الدنية التي منها تقصيرات الناس وإسافاتهم إليه.

(١) مرآة العطل في شرح أخبار آل الرسول - العلامة المجلسي ١١: ٣٨٢، ح ٢.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة - حبيب الله الهاشمي الخوئي ٦١: ٢٨٥.

(٣) مستدرک سفینة البحار - الشيخ علي التمازي الشاهرودي ٣: ٢٧٧-٢٧٨، والآية من القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٩٩.

(٤) القرآن الكريم، سورة التحريم ٦٦: ٣.

## التغافل المذموم:

وهناك تغافل مذموم، وهو التغافل عن الأمور التي تؤدي بالفرد أو المجتمع إلى السقوط في الرذائل والهلاك، كالتغافل عن الله وعن دين الله والأمور الأخروية. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَاقِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ وَالْأَضْمَةُ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آفَافٌ لَا يَحْسِبُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ لَوْلَا نَفْعُكَ هُمْ الْقَائِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي مصباح الشريعة: عن الصادق عليه السلام: وكثرة الذكر بلا غفلة، فإن الغفلة مصطاد الشيطان، ورأس كل بلية، وسبب كل حجاب... الحديث<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

والله الله في الأيتام، فلا تغبوا أغواهم ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من عال يتيما حتى يستغني أوجب الله له الجنة، كما أوجب لكل مال اليتيم النار<sup>(٤)</sup>.

وروى أحمد بن الحسين البيهقي، عن أبي بكر بن عياش قال: قال كسرى لوزيره: ما الكرم؟ قال: التغافل عن الزلل. قال: فما اللوم؟ قال: الاستقصاء على الضعيف والتجاوز عن الشديد. قال: فما الحياء؟

(١) القرآن الكريم، سورة الأعراف: ٧: ٢٠٥.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف: ٧: ١٧٩.

(٣) مستدرك مفيد البحار - الشيخ علي التمازي الشاهرودي: ٨: ٦٠٥.

(٤) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة - الشيخ المحمدي: ٧: ١٦٦ - ١٦٢.

قال: الكف عن الخنا. قال: فما اللذة؟ قال: الموافقة. قال: فما العزم؟ قال: سوء الظن<sup>(١)</sup>.

ومن أنواع التغافل المذموم:

١ - تغافل المحسود عن خطأ المحسود عندما يكون الغرض هو تعادي المحسود في الخطأ حتى السقوط والهلاك.

٢ - تغافل الشخص الانتهازي الذي يبني بذلك تحصيل منفعة من خطأ الآخرين.

٣ - تغافل الأناني الذي يريد الاستعلاء على الآخرين بظهور خطئهم، لينسب له المؤاخلة عليهم.

الإستفادة من أسلوب التغافل في سيرة الإمام السجّاد:

يمكن ملاحظة إعمال هذا الأسلوب في كلمات الإمام السجّاد بصورتين:

أ - إلفات النظر إلى لطف الله على العباد بالتغاضي عن ذنوبهم من خلال الإشارة إلى ذلك في أدعية الإمام السجّاد، كما ورد ذلك في القرآن الكريم في مدح الرسول الأعظم بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَمُؤَلِّفَاتٍ لَهُ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتُؤْمِنُ بِالْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ إِلَهِكُمْ أَمَّا مَنْ بَدَّلَ وَجْهَهُ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>. وفي كلام الإمام السجّاد، قوله:

(١) شمع الإيمان - أحمد بن الحسين البيهقي ٦: ٣٦٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة التوبة ٩: ٦١.

والحمد لله الذي يحلم عني حتى كاني لا ذنب لي، فربي أحمد شيء عندي وأحق بحمدي<sup>(١)</sup>.

### ب - التغافل عن تقصير الآخرين:

ويظهر ذلك فيما رواه محمد بن علي الخزاز في كفاية الأثر: عن أحمد بن محمد بن محمد بن عبيد الله، عن علي بن عبد الله الواسطي، عن محمد بن أحمد الجمحي، عن هارون بن يحيى عن عثمان بن عثمان بن خالد، عن أبيه، قال: مرض علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام مرضه الذي توفي فيه، فجمع أولاده محمدا عليه السلام، والحسن وعبد الله وعمر وزيدا والحسين، وأوصى إلى ابنه محمد بن علي عليه السلام وكناه بالباقر، وجعل أمرهم إليه، وكان فيما وعظه في وصيته أن قال: يا بني، إن العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والعقل ترجمان العلم، واعلم أن العلم أبقي، واللسان أكثر هفوا، واعلم يا بني أن صلاح الدنيا بحذاقها في كلمتين، إصلاح شأن الممايش حل، مكياك ثلثا فطنة، وثلثا تغافل، لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عرفه وفطن له<sup>(٢)</sup> الخبر.

### ج - أسلوب إشاعة المعبة:

قيل: المحبة ميل القلب إلى ما يوافقه وهي بين الطرفين لما روي عن الصادق عليه السلام حين سأله رجل عن رجل يقول: أودك فكيف أعلم أنه يودني فقال: امتحن قلبك فإن كنت تودّه فإِنَّه يودّك سيّما إذا أخبر

(١) مصباح السهجد - الشيخ الطوسي: ٨٢.

(٢) مستدرك الوسائل - ميرزا حسين النوري الطبرسي: ٩، ٣٧، ٣٨، ح ١٠١٣٩.

أحدهما الآخر بحبه له فإنه يوجب حب الآخر للمخبر أيضاً كما ورد في بعض الأخبار<sup>(١)</sup>.

وقول: أحب الله. أي أحب طاعته، ولا يقال: أريده بهذا المعنى، فجعل المحبة لطاعة الله محبة له كما جعل الخوف من عقابه خوفاً منه، وتقول: الله يحب المؤمنين، بمعنى أنه يريد إكرامهم وإثباتهم، ولا يقال: إنه يريدهم بهذا المعنى، ولهذا قالوا: إن المحبة تكون ثواباً وولاية، ولا تكون الإرادة كذلك<sup>(٢)</sup>.

﴿سَوِّىْ إِلَى اللَّهِ قَوِّىْ يُهَيِّئْ لِي سُبُلَكَ﴾ محبة الله تعالى للعباد أن يشبههم أحسن الثواب على طاعتهم، ويعظمهم ويثني عليهم، ويرضى عنهم، ومحبة العباد لله تعالى إرادة طاعته وإتفائه مرضاته، وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه<sup>(٣)</sup>.

قال حبيب الله الهاشمي الخوئي في منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:

وأما اتصافه بالمحبة لأوليائه المقربين فشواهد من النقل متجاوزة عن حدِّ الإحصاء قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّوْبِينَ وَيُحِبُّ الْمُكَلِّمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوهُ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) شرح أصول الكافي - المولى محمد صالح المازندراني ١ : ٦٩.

(٢) الفروق اللغوية - أبي حلال العسكري : ٤٨٤.

(٣) مسالك الأنهار إلى آيات الأحكام - الميرزا محمد كاظمي ٢ : ٣٦٥.

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢ : ١٩٥.

(٥) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢ : ٢٢٢.

(٦) القرآن الكريم، سورة المائدة ٥ : ٥٤.

وقال: ﴿يُحْيُونَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا وَاللَّهُ يَحْيِي الْمَوْتِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. وفي الحديث القدسي: قال الله عز وجل: من أحان لي ولياً فقد أرحم لِمَحَارِبِي وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دهاني أحبته، وإن سألتني أعطيته... الحديث<sup>(٣)</sup>.

وأما محبة الله لعبده فليس بالمعنى الذي يتصور في المخلوق إذ الحب في الاصطلاح عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق للملائم، وهذا من صفات ذوى النفوس النافسة المستفيدة بنيل المحبوب كملا فتلذ به، وهذا محال على الله سبحانه إذ ليس له تعالى وتقدس نفس فضلاً عن كونه نافعا وقد عرفت في تضاعيف الشرح في غير موضع أن ذات الله تعالى شأنه تام فوق التمام، وجميع صفات الجلال والجمال والكمال حاصلة له بالفعل وواجب الحصول أزلاً وأبداً، ومن هذا شأنه فكيف يتصور أن يكون نافعا بذاته مستكملاً بغيره، فلا بد أن يراد بحبه عز شأنه لعبده معنى آخر. وقد اختلفوا في تقريره وبيانه بوجوه يغرب بعضها من بعض. فقال صدر المتألهين: إن المحبة تابعة لأدراك الوجود لأنه خير محض فكل ما وجوده أتم كانت خيريته أعظم والأدراك به

(١) القرآن الكريم، سورة التوبة: ٩: ١٠٨.

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران: ٣: ٣١.

(٣) الكافي: ٢: ٣٥٢.

أقوى والابتهاج به أشدّ، فأجلّ مبتهج بذاته هو الحقّ الأوّل، لأنه أشدّ إدراكا لأعظم مدرك له الشرف الأكمل والنور الأنور والجلال الارفع، فمحبّة الله لعباده راجعة إلى محبّته لذاته، لأنه لما ثبت أنّ ذاته أحبّ الأشياء إليه تعالى وهو أشدّ مبتهج به وكلّ من أحبّ شيئا أحبّ جميع أفعاله وحركاته وآثاره لذلك المحبوب، وكلّ ما هو أقرب إليه فهو أحبّ إليه، وجميع الممكنات آثار الحقّ وأفعاله فالله يحبّها لأجل ذاته، وأقرب المجعولات إليه تعالى الرّوح المستدي ﷻ فكان ﷻ حبيب الله وأحبّ الخلق إليه، انتهى. وقال الغزالي بعد ما ذكر أنّ المحبة عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق ما لفظه: فأما حبّ الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا، بل الأسمي كلّها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله تعالى لم تطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى أنّ اسم الوجود الذي هو أهمّ الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد، بل كلّ ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى، فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع، وإنما الاستواء في إطلاق الاسم، فكان استعمال الأسمي في حقّ الخالق بطريق الاستعارة والتجوّز والنقل، والمحبّة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملايم. وهذا إنما يتصوّر في نفس ناقصة، فإنها تستفيد بنيل ما يوافقها كمالا فتلتذّ بنيله، وهذا محال على الله تعالى، فإنّ كلّ كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في حقّ الإلهية، فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أزلا وأبدا، ولا يتصوّر تجدّده ولا زواله، فلا يكون له نظر إلى غيره من حيث إنه غيره، بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط، وليس في الوجود إلّا ذاته وأفعاله، فلا يجاوز حبّه ذاته وتوابع ذاته من حيث

هي متعلّقة بذاته، فهو إذا لا يحبّ إلا نفسه. وما ورد من الألفاظ في حبّ عباده فهو مؤوّل ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتّى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل، فجبه لمن أحبه أزليّ مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب، وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى: لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتّى أحبه. فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب من قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه، فكلّ ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى قربه وهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا ثم صار قريبا فقد تغيّر، فربما يظنّ بهذا أنّ القرب لما تجدّد فقد تغيّر وصف العبد والربّ جميعا إذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حقّ الله تعالى، إذ التغيّر عليه محال، بل لا يزال في نعوت الجلال على ما كان عليه في أزل الأزال ولا ينكشف هذا إلّا بمثال في القرب بين الأشخاص. فإنّ الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا، وقد يكون أحدهما ثابتاً فيتحرّك الآخر فيحصل القرب بتغيّر في أحدهما من غير تغيّر في الآخر، بل القرب في الصفات أيضاً كذلك، فإنّ التلميذ يطلب من درجة استاده في كمال العلم وجماله، والاستاد واقف في كمال علمه غير متحرّك بالنزول إلى درجة تلميذه، والتلميذ متحرّك مشرق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم، فلا يزال دائما في التغيّر والترقي إلى أن يقرب من الأستاذ، والاستاد ثابت غير متغيّر<sup>(١)</sup>.

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة - حبيب الله الهاشمي المغربي ١٤ : ٣٤٥ - ٣٤٨.



وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدِّينَ وَالْآيَاتِ الْمُنَىٰ﴾ (١).

وقال الإمام زين العابدين:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بَعْضَةِ أَهْلِ الشَّانِ الْمَسْبُورَةِ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَيْتِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظَنَّةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ الثَّقَةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الْأَذْنَبِينَ الْوَلَايَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الْأَرْحَامِ التَّمَيُّزَةَ، وَمِنْ جَذَلَانِ الْأَقْرَبِيِّينَ النَّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ الْمُنَافِقِينَ تَضْجِيعَ الْبَيْتِ، وَمِنْ رَذَا الْمَلَأْسِيِّينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ خَلَاوَةَ الْأَمَةِ (٢).

وقال الإمام زين العابدين:

معرفتي يا مولاي دليلي عليك، وحيي لك شفيعي إليك، وأنا واثق من دليلي بدلائلك، وساكن من شفيعي إلى شفاعتك (٣).

وأملوب المحبة والرافة من الأساليب التي حباها الله لنبيه الكريم، حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا رَتَبُوا لَكَ إِلَّا أَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَخَذُوا مِنْ حَذَرِكَ مَا كُنْتَ مَعَهُمْ وَاسْتَفِيزَهُمْ وَأَمَّا فِي الْأُمْرِ فَأَنَا نَصِيْبُهُمْ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٤).

وهو الاجر الذي اقترح في مكافأة الرسالة، حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَتَدْرِكُ عَلَيْكَ لَبًّا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٥).

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٦٥.

(٢) الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام، الدعاء ٢٠ (دعاه في مكارم الاخلاق) والصفة: المحبة، والهاء عوض من الواو. وقد وقفه بفتح بالكسر. ليهما، أي أحبه، فهو واثق. (الصحيح - الجوهري ٤: ١٥٦٨).

(٣) إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس ١: ١٥٩.

(٤) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ١٥٩.

(٥) القرآن الكريم، سورة الشورى ٤٢: ٢٣.

فهو الوسيلة التي يمكن بها التقرب إلى الله تعالى، وقال الإمام زين العابدين:

وَيُحِبُّ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الْقُرَشِيَّ الْهَاشِمِيَّ الْعَرَبِيَّ التَّهَامِيَّ الْمَكِّيَّ الْمَدَنِيَّ  
أَرْجُو الرُّفْعَةَ لَدَيْكَ، فَلَا تُوجِسْ اسْتِثْنَاءَ مِنْ إِيْمَانِي وَلَا تَجْعَلْ ثَوَابِي ثَوَابَ  
مَنْ عَبَدَ سِوَاكَ، فَإِنْ قَوْمًا آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ لِيُخَفِّتُوا بِهِ دِمَائَهُمْ فَأَذَرَكُوا مَا  
أُمَلُّوا وَإِنَّا آمَنَّا بِكَ بِأَلْسِنَتِنَا وَقُلُوبِنَا لِنُخَفِّقَ هُنَا، فَأَذَرَكْنَا مَا أُمَلُّنَا وَبَيَّثَ  
رَجَائِكَ فِي صُدُورِنَا، وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ  
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ<sup>(١)</sup>.

وقد أحمل الإمام هذه الطريقة في تربية الكثير من اصناف المجتمع  
بما فيهم: الاولاد والاصدقاء والعبيد وكسب قلوبهم، بل وحتى الأعداء  
والمخالفين، ونجح في ذلك نجاحا باهرا.

#### ٤ - أسلوب الرفق والمداراة:

وهذا الأسلوب قد أكد عليه القرآن الكريم، حيث قال الله تبارك  
وتعالى: ﴿أَذْعَبَ إِلَيْكَ رُحُودَ اللَّهِ حَلَقَ ۝٢٧﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا نِيًّا لَعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ  
يَحْسَبُونَ<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوَلَّنِي فِي جِيرَانِي وَمَوَالِي الْعَارِفِينَ  
بِحَقِّنَا، وَالْمُنَابِذِينَ لِأَعْدَائِنَا بِأَفْضَلِ وَلَا يَبُذُّكَ<sup>(٣)</sup>.

(١) مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي (المعرب): ٣٠٩ - ٣١٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة طه ٢٢: ٢٣ - ٢٤.

(٣) الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام: ١٢٤.

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام:

وَرَفَعَهُمْ بِصِيرَةٍ فِي حَقِّي، وَمَعْرِفَةٍ بِفَضْلِي حَتَّى يَسْقُدُوا بِي وَأَسْقُدَ بِهِمْ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup>.

ويظهر ممارسة الإمام لهذا النوع من الوعظ والإرشاد مما أورد المؤرخون: أَنَّ شَيْخاً شامِياً دنا من الإمام السجادة عليه السلام عند دخوله سبائهما آل محمّد عليهم السلام الشام وقال له: «الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم».

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يا شيخ، أقرأت القرآن؟

قال: بلى.

قال عليه السلام: فهل عرفت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا آتِلُكُمْ عَذَاباً بَرّاً إِلَّا الْوَدْعَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾<sup>(٢)</sup>.

- إلى قوله: - قال عليّ عليه السلام: فنحن أهل البيت الذين اختصنا الله بآية الطهارة يا شيخ، قال: فبقي الشيخ ساكناً نادماً على ما تكلم به، وقال: بالله إنكم هم!

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: نال الله إننا لنحن هم من غير شك وحقّ جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله إننا لنحن هم.

فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد<sup>(٣)</sup>.

(١) الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام: ١٢٦.

(٢) القرآن الكريم، سورة الشورى: ٤٢: ٢٣.

(٣) مقتل الخوارزمي: ٢: ٦١، اللؤلؤ على قلى الطغرف: ١٠٠، مقتل المرقم: ٤٤٩ عن غير ابن كثير والأكوسي، لوايح الأشجان: ٢١٩، كتاب الفروع: ٥: ١٣٠، مع اختلاف يسير، وقد تقدم تمام الحديث في فصول سابقة.

فالرفق والمداواة مع الآخرين من الأساليب التي مارسها الإمام في تربية العديد من اصناف المجتمع بما فيهم: الاولاد والاصدقاء والمييد وكسب قلوبهم، بل وحتى الأعداء والمخالفين، ونجح في ذلك نجاحاً باهراً أيضاً.







## الأساليب العملية في الإصلاح الاجتماعي

يمكن بيان الأساليب العملية للإمام السَّجَّاد في مجالين :

أ - مع الأولياء والأحبة والأخلاء.

ب - مع الأعداء والمعادين.

### [أولاً]

تعامل الإمام عليه السلام مع الأولياء والأحبة والأخلاء

أما بالنسبة إلى الأحبة والأخلاء فقد مارس الإمام السبل التالية :

أولاً - ظاهرة البكاء لإيقاظ الضمائر النائمة :

إن الإمام كان أول من سَنَّ البكاء على الإمام الحسين عليه السلام على طول السنة لكي لا تُنسَى الأسباب التي أدت إلى مقتله والاهداف التي من أجلها قتل الإمام الحسين عليه السلام

وانتزم البكاء على سيد الشهداء عليه السلام ولقد صاحبت هذه الظاهرة

الإمام زين العابدين عليه السلام مدة إمامته ونضاله، بحيث لا يمكن المرور على أي مرفق من مرافق عمره الشريف، أو أي موقف من مواقفه الكريمة، إلا بالمعبور من مجرى دموعه وفيض عيونه. ولا ريب أن البكاء، كما أنه لا يتهيأ للإنسان إلا عند التأثر بالأمور الأكثر حساسية، وإثارة وحرقة، ليكون سبباً للهدوء والترويح عن النفس. فكذلك هو وسيلة لإثارة القضية، أمام الآخرين، وتهيج من يرى دموع الباكي تنهمر، ليتعاطف معه طبيعياً، وعلى الأقل يخطر على باله التساؤل عن سبب البكاء؟ وإذا كان الباكي شخصية مرموقة، وإذا خطر اجتماعي كبير، مثل الإمام زين العابدين عليه السلام، فإن ظاهرة البكاء منه، مدعاة للإثارة الأكثر، وجلب الاهتمام الأكبر، بلا ريب. والحكام الظالمون، فهم دائماً يهابون الثوار في ظل حياتهم، فيحاولون إسكاتهم بالقتل والخنق، مهما أمكن، ويتصورون ذلك أفضل السبل للتخلص منهم، أو تطويقهم بالسجن والحبس. وكذلك هم يحاولون بكل جدية، في زيادة آثار الثورة ومحوها عن الأنظار، والأفكار حتى لا يبقى منها ولا بصيص جذوة. ولكنهم - رغم كل قدراتهم - لم يتمكنوا من اقتلاع العواطف التي تستنزف الدموع من عيون الباكين على أهلهم وقضيتهم، فالبكاء من أبسط الحقوق الطبيعية للباكين. والإمام زين العابدين عليه السلام قد استغل هذا الحق الطبيعي في صالحي القضية التي من أجلها راح الشهداء صرعى على أرض معركة كربلاء<sup>(١)</sup>.

وفي جهاد الإمام السجاد عليه السلام، ما نصه:

إذا أمعنا النظر في تحليل التاريخ وتابعنا مجريات الأحداث، التي

(١) جهاد الإمام السجاد عليه السلام: ١٧٩.

قارنت كربلاء، وجدنا أن المعركة لم تنته بعد، وإنما الدماء الحمر، أصبحت تجري اليوم دموعاً حارة بيضاء، تحرق جذور الحدوان، وتجرف معها مخلفات الانحراف وتروي بالتالي أصول الحق والعدالة. وبينما يعد الطفلة ظاهرة البكاء دليلاً على العجز والضعف والانكسار والمغلوبة، فهم يكفون اليد عن الباكي، لكون بكائه علامة لاندحاره أمام القوة، وعلامة الاستسلام للواقع، نجد عامة الناس، يدون اهتماماً بليفاً لهذه الظاهرة، تستيع عطفهم، وتستدر تجاوبهم إلى حد ما، وأقل ما يدونه هو نشدانهم من أسباب البكاء؟ وتزداد كل هذه الأمور شدة إذا كان الباكي رجلاً شريفاً معروفاً وبالأخص إذا كان يفيض الدمعة بغزارة فائقة، وباستمرار لا ينقطع! كما كان من الإمام زين العابدين عليه السلام، حتى عد في البكائين، وكان خامسهم بعد آدم، ويعقوب، ويوسف، وجدته فاطمة الزهراء. إن البكاء على شهداء كربلاء، وثورتها، لم يكن في وقت من الأوقات أمر حزن ناتج من إحساس بالضعف والانكسار، ولا عبرة بأس وقنوط، لأن تلك الأحداث، بظروفها ومآسيها قد مضت، وتغيرت، وذهب أهلها، وعرف حقها من باطلها، وأصبحت للمقتولين كرامة وخلوداً، وللقائِلين لعنة ونقمة، لكن البكاء عليهم وعلى قضيتهم، كان أمر عبثاً وإثارة واستمداد من مفرجها، وصانع معجزتها، وحزناً على عرقلة أهدافها المستلهمة من ثورة الإسلام التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله. والدليل على كل ذلك أن لكل حزن أمداً، يبدأ من حين المصيبة إلى فترة طالت أو قصرت، وينتهي ولو بعد جيل من الناس. أما قبل حدوث المصيبة، فلم يؤثر في المعتاد، أو المعقول للناس، أن يبكوا لشيء. لكن قضية الحسين أبي عبدالله عليه السلام، قد أقيمت الأحزان عليها قبل



وفروعها بأكثر من نصف قرن، واستمر الحزن عليها إلى الأبد، فهي إلى القيامة باقية. والذين أثاروا هذا الحزن، قبل كربلاء، وأقاموا المآتم بعد كربلاء: هم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام. فعند ولد الحسين عليه السلام أقام النبي صلى الله عليه وآله مآتم على سبطه الوليد ذلك اليوم، الشهيد بعد غد. فكيف يقم النبي صلى الله عليه وآله مجلس الحزن على قرّة عينه، يوم ولادته، وهكذا يستقبل المعظماء مواليدهم؟ أو لا يجب أن يستبشروا بالولادات الجديدة، وينهادوا التهاني والأفراح والمسرات؟ وتكرر المجالس التي يعقدها الرسول العظيم، ليبكي فيها على وليده، ويبكي لأجله كل من حوله، وفيهم فاطمة الزهراء عليها السلام أم الوليد، وبعض أمهات المؤمنين، وأشرف الصحابة. وحقا عد ذلك من دلائل النبوة ومعجزاتها. وهكذا أقام الإمام علي عليه السلام، مجلس العزاء على ولده الحسين عليه السلام، لما مر على أرض كربلاء، وهو في طريقه إلى صفين، فوقف بها، فقبل: هذه كربلاء، قال: ذات كرب وبلاء، ثم أوماً بيده إلى مكان، فقال: ها هنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، وأوماً بعده إلى موضع آخر، فقال: ها هنا مهراق دمائهم. ونزل إلى شجرة، فصلى إليها، فأخذ ترية من الأرض فشمها، ثم قال: واما لك من ترية، ليفتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب. ورتاء أخوه الحسن عليه السلام وقال له: لا يوم كيومك يا أبا عبد الله... ويبكي عليك كل شيء.... وحتى الحسين عليه السلام نفسه، نعى نفسه ودعا إلى البكاء على مصيبته، وحث المؤمنين عليه، حيث قال: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى. وهكذا الأئمة عليهم السلام بعد الحسين، أكدوا على البكاء على الحسين بشئ الأشكال. لكن الإمام زين العابدين عليه السلام: قد تحمل أكبر الأعباء، في هذه المحنة، إذ عايش أسبابها، وهاصر

أحداثها، بل باشر جراحها وآلامها، فكان عليه أن يؤدي رسالتها، لأنه شاهد صدق من أهلها، بل الوحيد الذي ملك أزمة أسرارها، ولا بد أن يمثل أفضل الأدوار التي لم يبق لها ممثل غيره، ولم تبق لها صورة في أي منظار، غير ما عنده! وإذا عرفنا بأن الإمام زين العابدين (عليه السلام) هو أوثق من بروي حديث كربلاء، فهو أصدق الناقلين له، وخير المعبرين عنه بصدق. وأما أهداف شهداء كربلاء التي من أجلها صنعت، فلا بد لها أن تستمر، ولا تنقطع عن الحيوية، في ضمير الناس ووجدانهم، حتى تستنفذ أغراضها. وبينما الحكام التائهون لا يعاؤون ببكاء الناس، فإن الإمام زين العابدين (عليه السلام) اتخذ من البكاء عادة، بل اهتمت بها عبادة، فقد كانت - وفي تلك الفترة بالذات - وسيلة هامة لأداء المهمة الإلهية التي حملها الإمام (عليه السلام) أعباءها. والناس، لما رأوا الإمام زين العابدين (عليه السلام) يذرف الدموع ليل نهار، لا يفتأ يذكر الحسين الشهيد ومصائبه، فهم: بين من يدرك: لماذا ذلك البكاء والحزن، والدمع الذارف المنهمر، والحزن الدائب المستمر؟ وعلى من يكي الإمام (عليه السلام) فكان ذلك سببا لاستمرار الذكرى في الأذهان، وحياتها على الخواطر، وبقاء الأهداف حية نابضة، في الضمائر ووجدان التاريخ، وتقدس النعمة والثمرة من الفتلة الظلمة. وبين من يعرف الإمام زين العابدين بأنه الرجل الفقيه، الزاهد في الدنيا، الصبور على مكارهاها، فإنه لم يبك بهذا الشكل، من أجل أذى يلحقه، أو قتل أحد، أو موت آخر، فإن هذه الأمور هي مما تعود عليها البشر - على طول تاريخ البشرية - بل هي سنة الحياة<sup>(١)</sup>.

كما قال القائل :

له ملك ينادي كل يوم للواللموت وابنوا للمخرب  
وخصوصا النبلاء والناهبين ، والأبطال الذين يقتحمون الأهوال  
ويستصغرونها من أجل أهداف عظام ومقاصد عالية رفيعة. فبكاء مثله ،  
ليس إلا لأجل قضية أكبر وأعظم ، خاصة البكاء بهذا الشكل الذي لا  
مثيل له في عصره.

لقد ركز الإمام زين العابدين عليه السلام على قضية بكائه لما مثل عن  
سببه ؟ فقال : لا تلوموني. فإن يعقوب عليه السلام فقد سبطا من ولده ، فبكى ،  
حتى ابيضت عيناه من الحزن ، ولم يعلم أنه مات.. وقد نظرت إلى أربعة  
عشر رجلا من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة! فترون حزنهم يذهب  
من قلبي أبدا ١٩١. إنه عليه السلام في الحين الذي يربط عمله بما في القرآن من  
قصة يعقوب وبكائه ، وهو نبي متصل بالوحي والغيب ، إذ لا ينبع فعله  
عن العواطف الخالية من أهداف الرسائل الإلهية. وفي الحين الذي  
يمثل لفاجعة الطف في أشجى مناظرها الدامية ، وبأقصر عبارة واقية. فهو  
يؤكد على تبرير بكائه ، بحيث يعذره كل سامع. وفي حديث آخر : جعل  
الإمام عليه السلام من قضية كربلاء مدعاة لكل الناس إلى إحيائها ، وتزويدها  
بوقود اللعوب ، وإروائها ببياء العيون ، ولا يعتبرونها قضية خاصة بعائلة  
النبي صلى الله عليه وآله وحسب ، بل هي مصاب كل الناس ، وكل الرجال الذين  
لهم كرامة في الحياة ، أو يحسون بشيء اسمه الكرامة ، أو شخص يحس  
بالعاطفة ، فهو يقول : وهذه الرزية التي لا مثلها رزية. أيها الناس ، فأي  
رجال منكم يسرون بعد قتله ؟ أم أي فؤاد لا يحزن من أجله ؟ أم أي  
عين منكم تحبس دمعها ؟.

وكان ﷺ يبحث المؤمنين على البكاء ويقول: أيما مؤمن دعت عيناه لقتل الحسين ﷺ حتى تسيل على خده، بواه الله تعالى بها في الجنة غرقا يسكنها أحبابا. وأيما مؤمن دعت عيناه حتى تسيل على خديه مما مسنا من الأذى من عدونا في الدنيا، بواه الله منزل صدق. وكان البكاء واحدا من الأساليب التي جعلها وسيلة لإحياء ذكرى كربلاء.

وقد استعمل الإمام أصاليب أخرى:

منها: ترغيب المؤمنين على زيارة قبر الإمام الحسين ﷺ:

قال أبو حمزة الثمالي: سألت علي بن الحسين، عن زيارة الحسين ﷺ؟ فقال: زره كل يوم، فإن لم تقدر فكل جمعة، فإن لم تقدر فكل شهر، فمن لم يزره فقد استخف بحق رسول الله ﷺ.

ومنها: الاحتفاظ بتراب قبر الحسين ﷺ:

فكانت له خريطة ديباج صفراء، فيها تربة قبر أبي عبدالله ﷺ، فإذا حضرت الصلاة سجد عليها. ومنها: خاتم الحسين ﷺ: فقد كان الإمام زين العابدين ﷺ يتختم بخاتم أبيه الحسين ﷺ. كما كان ينقش على خاتمه: خزي وشقي قاتل الحسين بن علي ﷺ.

ومن المؤكد أن الإمام ﷺ لم يتبع هذه الأساليب لمجرد الانعطاف مع العواطف والسير وراءها، ولا لضعف في نفسه، أو لاستيلاء هول الفجيعة على روحه، ولم يتخذ مراقبه من بني أمية نتيجة للحقد أو الانتقام الشخصي، ممن له يد في مذبحة كربلاء. وإنما كان ﷺ يلتزم بتلك المخطط ويتبع تلك الأساليب لإحياء الفكرة التي من أجلها قتل الحسين ﷺ واستشهد هو وأصحابه على أرض كربلاء فخرجوا تربتها بدمائهم الزكية.

ولقد أثبت ذلك بصراحة في حياته العملية: فقد كانت له علاقات طبيعية مع عوائل بعض الأمويين مثل مروان بن الحكم، الذي التجأ بأهله وزوجته وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان إلى بيت الإمام زين العابدين عليه السلام، فأصبحوا تحت حمايته، مع أربعمائة عائلة من بني عبد مناف، مدة وجود الجيش الأموي في المدينة، فأمنوا من استباحتهم لها وهتكهم الأعراض فيها، في واقعة الحرة الرهيبة. وبالإضافة إلى أن الأئمة عليهم السلام بعيدون عن روح الانتقام الشخصي وإنما يفتشون لله لا لأنفسهم، فإنهم يشملون باللطف والرحمة النساء والأطفال في مثل تلك الظروف، وبذلك يكسبون ود الجميع حتى الأعداء، ويشتون جدارتهم، ولياقتهم لمنصب الإمامة والزعامة. فكسب الإمام زين العابدين عليه السلام بمواقفه اعتقاد الجهاز الحاكم فيه أنه (خير لا شر فيه) وأنه (مشغول بنفسه). ذلك الاعتقاد الذي أفاد الإمام عليه السلام نوعاً من الحرية في العمل في مستقبل تخطيطه ضد الحكم الأموي الغاشم، وعزز موقعه الاجتماعي حتى تمكن من اتخاذ المواقف الحاسمة من الظالمين وأخوانهم. كما رسمت في سيرته الشريفة صور من صبره على المصائب والبلايا، مما يدل على صلابته تجاه حوادث الدنيا ومكارهها، وهي أمثلة رائعة للمقاومة والجلد.

فمن إبراهيم بن سعد، قال: سمع علي بن الحسين وأمية في بيته، وعنده جماعة، فنهض إلى منزله، ثم رجع إلى مجلسه، فقيل له: أمن حدث كانت الواهية؟ قال: نعم. فعزوه، وتعجبوا من صبره. فقال: إنا أهل بيت نطيع الله في ما نحب، ونحمده في ما نكره.

وتتمكن من استخلاص الهدف الأساسي من كل هذه الإثارات لقضية

كربلاء وشهادتها خصوصاً ذكر أبيه الإمام الشهيد (ع) من خلال الحديث التالي: قال (ع) نسيحت: عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو أن قاتل أبي الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) اتممتي على السيف الذي قتله به، لأدينه إليه.

ففي الوقت الذي يشير فيه إلى مأساة قتل الحسين (ع)، ويذكر بقتله، ليحيي معالمها في الأفعان، فهو يؤكد بأغلب الأيمان على أن أمراً (مثل أداء الأمانة) يوجبه الإسلام، هو فوق المواقف والأحاسيس الشخصية. وهو يوحي بأن الإمام الحسين (ع) إنما قتل من أجل تطبيق كل المبادئ التي جاء بها الإسلام، والتي بعث بها جده النبي محمد (ص)، وأن الإمام زين العابدين يريد الاستمرار على تلك المبادئ والخطط التي أنارها الحسين الشهيد (ع) معالمها بوقود من دمه الطاهر.

وهو في الوقت ذاته، يرفع من قيمة البكاء أن يكون من أجل أمور مادية ولو كانت الدنيا كلها: ففي الخبر أنه (ع) نظر إلى سائل يبكي! فقال (ع): لو أن الدنيا كانت في كف هذا ثم سقطت منه ما كان ينخي له أن يبكي. ثالثاً: التزام الدعاة ومن أبرز المظاهر الفذة في سيرة الإمام زين العابدين (ع) الأدعية الماثورة عنه، فقد تميز ما نقل عنه بالكثرة، والنفس الطويل، والشهرة التداول، لما تحتويه من أساليب جذابة ومستهدفة للقلوب، تتجاوب معها الأرواح والنفوس، وما تضمنته من معان راقية تتفاعل مع العقول والأفكار<sup>(١)</sup>.

(١) جهاد الإمام السجاد (ع): ١٨٢ - ١٨٨.

## ثانياً - تربية العبيد والمماليك ثم تحريرهم :

ان تحرير المماليك من الأمور التي حث عليها الإسلام ، ومارسه أهل البيت على أوسع مدى ممكن في حياتهم العملية ، ومن تتبع موارد العتق في تاريخ الأئمة لوقف على ما يوجب العجب ، وان دل ذلك على شيء فهو يدل على ما كان يحرص به أهل البيت من الألم الذي يعانيه المملوك في رق العبودية ،

وقد مارس الإمام السجاد هذه العبادة في حكم بني أمية بصورة أكثر واقوى فعالية من أي فترة أخرى ، نظرا إلى الظروف التي كان يعيشها الإمام من الرقابة الشديدة على تحركاته العملية في المجتمع ، خصوصا بلعاط ما يلي :

١ - كثرة العبيد في عصر الإمام ، حيث كانت الحكومات الجائرة تصرف الناس إلى الخروج من الدولة الإسلامية إلى خارجها ، فتحقق بذلك سلامة حكمها الفاشم من التغيير ومحاولة الاطاحة به من قبل المهتمين بمصير الأمة وسعادتها .

٢ - ان العبيد الواقدون من بلاد الكفر بحاجة إلى من يرسلهم إلى الدين ولا يتيسر ذلك لكل أحد خصوصا من يملكهم لغرض الاستفادة منهم مادياً .

٣ - ان الحكام المتسلطين على رقاب المسلمين لم يكونوا يعرفوا الإسلام الصحيح ولم يهتموا بتعليم الأسرى بقدر ما كانوا يهتمون بسلطانهم ولذاتهم المادية ، لا هم ولا من كان يحوم حولهم من الوزراء والاعيان ، بل كان سلوكهم غالبا مما يخالف طريقة الشرع والدين بالنسبة إلى عموم الشعب ، فضلاً عن الدخلاء الجديدي العهد بالإسلام .

٤ - ان انتشار الفئات المأسورة من بلاد الكفر في ربوع بلاد المسلمين من دون تربية صحيحة قد يؤدي إلى انتشار ثقافتهم بين الاوساط الإسلامية مما قد يؤدي إلى عواقب وخيمة لا يمكن اصلاحها في المستقبل.

وأمر آخر لا تخفى على من له الملم بعلم الاجتماع والنفس.  
واضافة إلى كل ذلك فهناك جهات تخص شخص الإمام في هذا المجال، نذكر منها :

١ - ان الإمام لم يكن يحتفظ بالمملوك أكثر من عام واحد، وكان يبادر إلى عتقه في أقرب فرصة ممكنة مع تزويده بما يؤمن له العيش الكريم.

٢ - ان الإمام كان يبتغي من شراء المعاليك تعليمهم وتربيتهم بما يوافق الدين وما يضمن لهم السعادة في الحياة، حتى انه برز من بينهم من صار علماً في المجتمع من حيث الثقافة والادب، ومن اوضح نماذجهم القراء الذين كانوا يواكبون مدرسة الإمام في حله وترحاله.

٣ - ولم يكن الإمام يعتق المملوك بدون ان يساعده في شق طريقه في الحياة، فكان ﷺ يزوده بما يمكنه ان يعيش بواسطته عيشة كريمة من حرفة أو صناعة أو مورد رزق كإستان ومحل سكن.

٤ - سار الإمام ﷺ مع معاليكه سيرة تتسم بالرفق والمطف والحنان، فكان يعاملهم كأبنائه، وقد وجدوا في كنفه من الرفق ما لم يجدوا في ظل آبائهم، حتى أنه لم يعاقب أمةً ولا عبداً فيما إذا اقترفا ذنباً<sup>(١)</sup>.

(١) إقبال الأسمال ١: ١١٣ - ١١٥ بإسناده من التلمكيري من ابن عجلان عن الصادق ﷺ.

وحتى في بحار الأنوار: ٤٦: ١٠٣ - ١٠٥، و٩٨: ١٨٦ - ١٨٧.



وقد تقدم حديث المملوك الذي دعاه مرتين فلم يجبه، فقال له ﷺ :  
 «لِمَ لَمْ تُجِبْنِي؟» فقال : أمنت منك، فخرج الإمام وراح بحمد الله  
 ويقول : «الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمتني...»<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، في ترجمة الإمام زين  
 العابدين ﷺ، ما نصه : أخبرتنا أم البهاء قاطمة بنت مُحَمَّد، أنا أبو  
 طاهر بن محمود، نا أبو بكر بن المقرئ، نا مُحَمَّد بن جعفر الزرّاد، نا  
 عُبَيْد الله بن سعد، نا عُمَيّ يعقوب بن إبراهيم، نا هاشم بن مُحَمَّد، عن  
 واقد بن مُحَمَّد، عن سعيد بن مرجانة، قال : أعتق علي بن حسين غلاماً  
 له أعطاه به عَبْدُ الله بن جعفر عشرة آلاف درهم وألف دينار<sup>(٢)</sup>.

وكان نتائج هذه العملية الانسانية عدة أمور، منها:

ان الإمام تمكن من خلال هذه العملية الانسانية أن يحرر أكبر قدر  
 من العبيد الذين وقعوا في الأسر نتيجة للحروب الظالمة.

ان الإمام تمكن من خلال هذه العملية أن يكون مجموعة من العلماء  
 والمتعلمين الذين قاموا بأدوار متميزة في خدمة الدين والمجتمع.

ان الإمام تمكن من خلال هذه العملية الانسانية أن يبين للعبيد الذين  
 لم يعرفوا من الإسلام شيئاً الأسلوب الإسلامي الصحيح في التعامل مع  
 الانسان على أساس انسانيته وان كان اسيراً ومملوكاً.

ان المحاليك الذين اعتقهم الإمام بقوا اوفياء للإمام ولم يغادروا

(١) الإرشاد ٢ : ١٤٧، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٩٦ وفي تاريخ مدينة دمشق ٤١ : ٣٨٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤١ : ٣٨٤ - ٣٨٥، و ترجمة الإمام زين العابدين ﷺ : ٥٣.

ركابه حتى بعد الحرية، مما يدل على التأثير الإيجابي الذي تركه معاملة الإمام معهم في الحياة.

ويمكن الإمام من خلال هذه العملية الانسانية أن يثبت جذارة الإسلام في كسب وُدّ الناس حتى الذين كانوا على عقيدة مخالفة للإسلام.

ومما يروى في تعامله مع ممالئكه:

أنه كانت جارية له تسكب عليه الماء فنحست فسقط الإبريق من يدها فشبهه، فرفع رأسه إليهما. فقالت: ان الله تعالى يقول: ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ قال: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ النَّسَائِينِ﴾، قال: عفى الله عنك، قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال: فاذهبي فأنت حرة لوجه الله<sup>(١)</sup>.

وكسرت جارية له قصعة فيها طعام فاصفر وجهها فقال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله<sup>(٢)</sup>.

ورود من دعاته ﷺ في هذا المجال، قوله:

اللهم إنك أنزلت في كتابك العفو، وأمرتنا أن نعفو عن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا، فاعف عنا غناك أولى بذلك منا، وأمرتنا أن لا نرد سائلا عن أبوابنا، وقد جئتكم سائلا، فلا تردني إلا بقضاء حاجتي، وأمرتنا بالاحسان إلى ما ملكت أيماننا، ونحن أرقاؤك، فأعق رقابنا من النار، يا مغفر عني عند كربتي، يا غوثي عند شدتي، إليك فرحتي، وبك

(١) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ٣: ٢٩٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ٣: ٢٩٦ - ٢٩٧.

استغثت، وبك لذت، لا ألوذ بمسواك ولا أطلب الفرج إلا منك، فأغثني وفرج عني. يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير، إقبل مني اليسير واعف عني الكثير، إنك أنت الرحيم الغفور<sup>(١)</sup>.

وروى السيد ابن طاووس في إقبال الأعمال، ما نصه: رويناه بإسنادنا إلى الشيخ أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري رضي الله عنه بإسناده إلى محمد بن عجلان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان علي بن الحسين عليه إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبدا له ولا أمة، وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده أذنب فلان، أذنبت فلانة، يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الأدب. حتى إذا كان آخر الليلة من شهر رمضان، دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤدبك أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا بن رسول الله، حتى يأتي علي آخرهم ويقرروهم جميعا. ثم يقف وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت، كما أحصيت علينا كل ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها، وتجد كل ما عملت لديه حاضرا، كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضرا، واصفح كما نرجو من المليك العفو وكما تحب أن يعفو المليك عنك، فاعف عنا تجده عفوا، وبك رحيم، ولك غفورا، ولا يظلم ربك أحدا، كما لديك كتاب ينطق علينا بالحق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلا أحصاها. فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة، وكفى

بالله حسيباً وشهيداً، فاعف وأصفح يعفو عنك المليك وبصفح، فإنه يقول: ﴿وَلْيَمْنُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. قال: وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم، وهم ينادون معه، وهو واقف بينهم يبكي وينوح، ويقول: رب إنك أمرتنا أن نعفو عن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا، فنحن قد عفونا عن ظلمنا، كما أمرت، فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوانا، وقد أتيناك سؤالاً ومساكين، وقد أخذنا بفنائك وببابك، نطلب نائلك ومعروفك وعطامك، فامنن بذلك علينا، ولا تخيبنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين، إلهي كرمت فأكرمني، إذ كنت من سؤالك، وجدت بالمعروف فأخلطني بأهل نوالك يا كريم. ثم يقبل عليهم ويقول: قد عفوت عنكم فهل عفوت عني ومما كان عني إليكم من سوء ملكة، فاني مليك سوء، لثيم ظالم، صلوكم لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل، فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت، فيقول لهم قولوا: اللهم أعف عن علي بن الحسين كما عفى عنا، وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق، فيقولون ذلك، فيقول: اللهم آمين يا رب العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتي فيعتقهم. فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصوتهم وتغنيهم عما في أيدي الناس، وما من سنة إلا وكان يعتق فيها آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً إلى أقل أو أكثر. وكان يقول: إن لله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الانفطار سبعين ألف عتيق من النار، كلا قد استوجب النار، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه، واني

لأحب أن يراني الله، وقد أعتقت رقاباً في ملكي في دار الدنيا، رجاء أن يعتق رقبتني من النار. وما استخدم خادماً فوق حول، كان إذا ملك عبداً في أول السنة أو في وسط السنة، إذا كان ليلة الفطر أعتق واستبدل سواهم في الحول الثاني، ثم أعتق كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى، ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم حاجة يأتي بهم إلى عرفات، فيسد بهم تلك الفرج والخلال، فإذا أفاض أمر يعتق رقابهم وجوائز لهم من المال<sup>(١)</sup>.

وما استخدم خادماً فوق حول، كان إذا ملك عبداً في أول السنة أو في وسط السنة، إذا كان ليلة الفطر أعتق واستبدل سواهم في الحول الثاني، ثم أعتق كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى، ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم حاجة يأتي بهم إلى عرفات، فيسد بهم تلك الفرج والخلال، فإذا أفاض أمر يعتق رقابهم وجوائز لهم من المال<sup>(٢)</sup>.

ومن مجموع هذه الأحاديث يعلم أن الإمام عليه السلام كان قد اتخذ من عتق المماليك وسيلة لتكوين مدرسة تربوية ينشئ فيها أجيالاً من الدعاة المؤدبين بأداب الإسلام، بدلاً من يقعوا في فخاخ ذوي النفوس الدنيئة فيستعبدونهم لمآربهم الخاصة وشهواتهم الدنيئة.

إن تحرير الرقيق يشكل ظاهرة بارزة في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام بشكل ليس له مثيل في تاريخ الإمامة، فهو أمر يسترعي الانتباه والملاحظة. وإذا دققنا في الظروف والملابسات التي عايشها

(١) إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس ١: ٤٤٣ - ٤٤٤.

(٢) إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس ١: ٤٤٥، عنه البحار ٢٦: ١٠٥، ٩٨: ١٨٦ - ١٨٧،

عنه مختصر الوسائل ١٠: ٣١٧.

الإمام، وقمنا ببعض المقارنات بين أعمال الإمام، والأحداث التي كانت تجري من حوله، والظروف التي تكتنف عملية الإعناق الواسعة التي تبناها الإمام زين العابدين عليه السلام، نتضح الصورة الحقيقية لأهداف الإمام عليه السلام من ذلك. فيلاحظ أولاً:

١ - أن أعداد الرقيق، والعبيد، كانت تتواتر على البلاد الإسلامية، فكان الموالي في ازدياد بالغ مذهل، على أثر توالي الفتوحات.

٢ - أن الأمويين كانوا ينتهجون سياسة التفرقة العنصرية، فيعتبرون الموالي شبه الناص.

٣ - أن الجهاز الحاكم على الدولة الإسلامية، أخذاً من نفس الخليفة، إلى جميع الأمراء وموظفي الدولة، لا يمثل الإسلام، بل كان كل واحد يعارض معنوياته وأخلاقه، وإن نادى بشهادته واسمه.

٤ - إن انتشار العبيد والموالي، وبالكثرة الكثيرة، ومن دون أي تحصين أخلاقي، أو تربية إسلامية، لأمر يؤدي - لا محالة - إلى شروع البطالة، والفساد، وهو ما تركز عليه الدولة الظالمة التي تعمل في هذا الاتجاه بالذات.

ويلاحظ ثانياً:

١ - أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يشتري العبيد والإماء، ولكن لا يقي أحدهم عنده أكثر من مدة سنة واحدة فقط، وأنه كان مستغنياً عن خدمتهم. فكان يعتقهم بحجج متعددة، وبالمناسبات المختلفة. إذن، فلماذا كان يشتريهم؟ ولماذا كان يعتقهم؟

٢ - إنه عليه السلام كان يعامل الموالي، لا كعبيد أو إماء، بل يعاملهم

معاملة إنسانية مثالية، مما يفرز في نفوسهم الأخلاق الكريمة، ويجب إليهم الإسلام، وأهل البيت الذين ينتمى إليهم الإمام عليه السلام.

٣ - إنه عليه السلام كان يعلم الرقيق أحكام الدين ويملأهم بالمعارف الإسلامية، بحيث يخرج الواحد من عنده محصناً بالعلوم التي يفيد منها في حياته، ويدفع بها الشبهات، ولا ينحرف عن الإسلام الصحيح.

٤ - إنه عليه السلام كان يزود كل من يعتقه بما يغنيه، فبدخل المجتمع الجديد ليزاول الأعمال الحرة، كأبي فرد من الأمة، ولا يكون عالة على أحد.

إن المقارنة بين هذه الملاحظات، وتلك، تعطينا بوضوح الفناعة بأن الإمام كان يصدد إسقاط السياسة التي كان يزاولها الأمويون في معاملتهم مع الرقيق.

إن عمل الإمام زين العابدين عليه السلام أنتج نتائج عظيمة، هي:

١ - حرر مجموعة كبيرة من عباد الله، وإماته الذين وقعوا في الأسر، وتلك حالة استثنائية غير طبيعية، ومع أن الإسلام كان قد أقرها لأمر يعرف بعضها من خلال قراءة التاريخ، إلا أن الشريعة قد وضعت طرقاً جديدة لتخليص الرقيق وإعطائهم الحرية، وقد استغل الإمام عليه السلام كل الظروف والمناسبات لتطبيق تلك الطرق، وتحرير العبيد والإماء.

وفي عمله تطبيقاً للشريعة وسننها، كما يدل عليه الحديث التالي: فمن سعيد بن مرجانة، قال: سمعت أبا هريرة يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إرباً منه من النار، حتى أنه يعتق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج). فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة قال سعيد: نعم. فقال

الإمام: ادع لي مطرفاً - لفلان له أفره غلمانه - فلما قام بين يديه، قال: اذهب، فأنت حر لوجه الله.

إن الإمام زين العابدين (عليه السلام) لا يخفى عليه ثواب عتق الرقبة، وإنما أراد أن يؤكد على سنة العتق من خلال تقرير الراوي على سماع الحديث! وليكون عمله قدوة للآخرين كي يقوموا بعتق ما يملكون من الرقاب.

٢ - إن الرقيق المعتقدين يشكلون جيلاً من التلامذة الذين تربوا في بيت الإمام (عليه السلام) وعلى يده، بأفضل شكل، وعاشوا معه حياة مفعمة بالحق والمعرفة، والصدق والإخلاص، وبتعاليم الإسلام من عقائد وشرائع وأخلاق كريمة. فقد كانت جماعة الرقيق تحتفظ بكل ذلك في قرارات النفوس، في شعورهم أو لا شعورهم، وينقلونه إلى الأجيال المتعاقبة، وفي ذلك حفظ الإسلام.

ولا ريب أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) لو أراد أن يفتح مدرسة لتعليم مجموعة من الناس، فلا بد أنه كان يواجه منها من الجهاز الحاكم، أو عرقلة لعمله، أو رقابة شديدة على أقل تقدير.

٣ - إن الإمام (عليه السلام) استطاع ولاء الأعداد الكبيرة من هؤلاء الموالين المحررين، إذ لا يزال ولاء العتق يرتبطهم بالإمام (عليه السلام)، ولا ريب أنهم أصبحوا جيشاً، فإن عددهم بلغ - في ما قيل - خمسين ألفاً، وقيل: مائة ألف!

فمن عبد الغفار بن القاسم أبي مريم الأنصاري، قال: كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسهبه! فثارت إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل على الرجل، فقال له: ما ستر عتك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟



- فاستحى الرجل - فالتقى عليه خميسة كانت عليه، وأمر له بألف درهم.  
فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول.

وقد كان لهؤلاء العبيد موقف دفاعي آخر، عن أهل البيت، لما سمعوا أنباء ضغط ابن الزبير على آل أبي طالب في مكة، وشيخهم محمد بن الحنفية عم الإمام زين العابدين عليه السلام، فيما رواء البلاذري بسنده عن المشايخ يتحدثون: أنه لما كان من أمر ابن الحنفية ما كان، تجمع بالمدينة قوم من السودان، غضبا له، ومراغمة لابن الزبير. فرأى ابن عمر غلاما له فيهم، وهو شاهر سيفه فقال له: رباح! قال رباح: والله، إنا خرجنا لنردكم عن باطلكم إلى حقنا. فبكى ابن عمر، وقال: اللهم إن هذا لذنوبنا.

وقال عبد العزيز سيد الأهل: وجعل الدولاب يسير، والنزمن يمر وزين العابدين يهب الحرية في كل عام، وكل شهر، وكل يوم، وعند كل هفوة، وكل خطأ، حتى صار في المدينة جيش من الموالي الأحرار، والجواري الحرائر، وكلهم في ولاء زين العابدين.

حفا لقد تحبين الإمام عليه السلام الفرص، واهتبل حتى الزلة الصغيرة تصدر من أحد الموالي ليهب له الحرية، فكان يكافئ الإساءة بالإحسان ليكون أهذب عند الذي يعتق، وأركز في خطئه، فلا ينسأه. إن الإمام زين العابدين عليه السلام استفد كل وسيلة للتحرير. وتقدم حديث الجارية التي سقط الإبريق من يدها على وجهه، فشقه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها وقال لها: اذهبي، فأنت حرة.

فكان هذا الحوار كان امتحانا واختبارا، نجمت فيه هذه الجارية،

يحفظها هذه الآية، واستشهادها بها، فكانت جائزتها من الإمام عليه السلام أن  
تعتق

وقال عبدالله بن عطاء: أذنب غلام لعلي بن الحسين ذنبا استحق منه  
العقوبة، فأخذ له السوط، فقال: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَتَّقُوا لِيَكُونَ لَكُمُ الْوَيْفُوتُ أَتَمَّ  
أَقْوَمُ﴾<sup>(١)</sup>. فقال الغلام: وأما أنا كذلك، إني لأرجو رحمة الله وأخاف  
عقابه. فألقى السوط، وقال: أنت حقيق. فلقد لقنه الإمام عليه السلام بقراءة  
الآية، وهو يختبر معرفته بمعناها وذكاءه، فأعنته مكافأة لذلك.

وكان عند الإمام عليه السلام قوم، فاستعجل خادم له شواها كان في التنور،  
فأقبل به الخادم مسرعا، وسقط السفود من يده على بني للإمام عليه السلام  
أسفل الدرجة، فأصاب رأسه، فقتله، فوثب الإمام عليه السلام، فلما رآه، قال  
للغلام: إنك حر، إنك لم تتعمده، وأخذ في جهاز ابنه.

ولعملية الإعتاق على يد الإمام عليه السلام صور مشيرة أحيانا، تتجاوز  
الحسابات المتداولة: ففي الحديث المتقدم عن سعيد بن مرجانة، وجدنا  
أن الإمام عليه السلام قد أعتق غلاما اسمه (مطرف) وجاء في ذيل الحديث، أن  
عبدالله بن جعفر الطيار كان قد أعطى الإمام زين العابدين عليه السلام بهذا  
الغلام (ألف دينار) أو (عشرة آلاف درهم).

وكان بإمكان الإمام عليه السلام أن يبيع الغلام بهذا الثمن الغالي، ويعتق  
بالثمن مجموعة من الرقيق أكثر من واحد، ولكن الإصرار على إعتاق  
هذا الغلام بالخصوص - مع غلاء ثمنه - يحتوي على معنى أكبر من  
العتق: فهو تطبيق لقوله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُفِيقُوا بِنَا شُيُوءٍ﴾<sup>(٢)</sup>. وهو

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة: ١٧٨.

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران: ٩٢.

إيماء إلى أن الإنسان لا يعادل بالأثمان، مهما خلت وعلت أرقامها! ولعل السبب الأساسي هو: أن غلاء ثمن الغلام لا يكون إلا من أجل أدبه، وذكائه، وحنكته، وقوته، وغير ذلك مما يجعله فردا نافعا، فإذا صار حرا، وهو متصف بهذه الصفات، يفيد المجتمع ككل، فهو أفضل - عند الإمام عليه السلام - من أن يكون عبدا يستخدمه شخص واحد لأغراضه الخاصة، مهما كانت شريفة! وبهذا واجه الإمام زين العابدين عليه السلام مشكلة الرق، واستفاد منها، في صالح المجتمع والدين.

وبما أنه عليه السلام كان يحتل موقعا رفيعا بين الأمة الإسلامية جمعاء: إما لأنه إمام مفترض الطاعة، عند المعتقدين بإمامته عليه السلام. أو لأنه من أفضل فقهاء عصره، والمعترف ببروحيه وتقواه وعلمه، عند الكافة<sup>(١)</sup>.

فكانت سيرته هذه ذات جنبين إنسانية ودينية، حيث انقذ الكثير ممن وقع في الأسر من المهانة والذل إلى عز الحرية والكرامة، وقد عمل الإمام إضافة إلى كل ذلك على رفع معنويات المماليك بأن أعتق أحدهم ثم تزوجها، على ما رواه محمد بن الحسن بإسناده عن علي بن الحسن بن فضال، عن محمد بن عبدالله بن زرار، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليه السلام قال: لما زوج علي بن الحسين عليه السلام أمه مولاة وتزوج هو مولاته فكتب إليه عبد الملك كتابا يلومه فيه ويقول: قد وضعت شرفك وحسبك، فكتب إليه علي بن الحسين عليه السلام: إن الله رفع بالإسلام كل خسيمة، وأتم به الناقصة، وأذهب به اللؤم، فلا لؤم على مسلم، وإنما اللوم لوم الجاهلية، وأما تزويج أمي فإني أردت بذلك برها، فلما انتهى الكتاب

إلى عبد الملك قال: لقد صنع علي بن الحسين عليه السلام أمرين ما كان يصنعهما أحد إلا علي بن الحسين فإنه بذلك زاد شرفاً.

وعن الحسين بن سعيد في كتاب (الزهد): عن النضر بن سويد، عن حسين بن موسى، عن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام، نحوه، وزاد في كتاب علي بن الحسين عليه السلام: ولنا برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة، زوج زينب بنت عمه زيداً مولاه، وتزوج مولاته صفية بنت حيى بن أخطب<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً - رعاية الإمام بالفقراء والمساكين:

وتنوعت رعاية الإمام بالفقراء والمساكين وإشاعة تعاليم الدين في المجتمع بصورة شتى، نذكر منها:

#### أ - إكرام الفقراء والمساكين:

روي أنه عليه السلام كان يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره، وفيه الضرر من الدنانير والدراهم، وربما حمل على ظهره الطعام أو الحطب حتى يأتي باباً باباً فيقرعه، ثم يناول من يخرج إليه. وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً ثلثاً يعرفه، فلما توفي عليه السلام فقدوا ذلك، فعلموا أنه كان علي بن الحسين عليه السلام ولما وضع على المفتل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل، يشا كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين<sup>(٢)</sup>.

وعن الصادق عليه السلام: إنه كان علي بن الحسين عليه السلام يحجب بالجنب

(١) وسائل الشيعة (ط: آل البيت) - الحر العاملي ٢٠: ٧٥، ح ٢٥٠٧٠ - ٢٥٠٧١.

(٢) بحار الأنوار ٤٦: ٦٦.

فدخل منه إلى المدينة شيء حسن، فاشترت منه أم ولده شيئاً وأتته به عند إفطاره فأعجبه، فقبل أن يمد يده وقف بالباب سائل، فقال لها: أحمله إليه، قالت: يا مولاي بعضه يكفيه، قال: لا والله، وأرسله إليه كله، فاشترت له من غد وأتت به فوقف السائل، ففعل مثل ذلك فأرسلت فاشترت له، وأتته به في الليلة الثالثة ولم يأت سائل فأكل وقال: «ما فاتنا منه شيء والحمد لله»<sup>(١)</sup>.

وكان علي بن الحسين عليه السلام ليخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب فيه الضر من الدنانير والدراهم حتى يأتي باباً باباً فيقرعه ثم يتناول من يخرج إليه، فلما مات علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا أن علي بن الحسين الذي كان يفعل ذلك<sup>(٢)</sup>.

فحملته المناع إلى دور الفقراء صون لهم من التذلل والطلب، وهو من أفضل أنواع الأكرام للمعوزين والفقراء حفظاً لماء وجههم من ذل الطلب.

- تكريمه للفقراء:

كان عليه السلام يحتفي بالفقراء ويرعى عواطفهم ومشاعرهم، فكان إذا أعطى سائلاً قبله، حتى لا يرى عليه أثر الذل والحاجة<sup>(٣)</sup>.

وكان إذا قصده سائل رغب به وقال له: «مرحباً بمن يحمل لي زادي إلى الآخرة»<sup>(٤)</sup>.

(١) بحار الأنوار ٤٦ : ٩١.

(٢) بحار الأنوار ٤٦ : ٦٦.

(٣) حلية الأولياء ٣ : ١٣٧، وعنه في مناقب آل أبي طالب ٤ : ١٦٧.

(٤) كشف الغمّة ٢ : ٢٨٨، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليه السلام ٤١٢، بحار الأنوار

### - صطفه على الفقراء :

كان ﷺ كثير العطف والحنان على الفقراء والمساكين، وكان يعجبه أن يحضر على مائدة طعامه البتاسي والأضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب على ظهره حتى يأتي باباً من أبوابهم فيناولهم إيّاه<sup>(١)</sup>.

ويلغ من مراعاته لجانب الفقراء والعطف عليهم أنه كره اجتذاذ النخل في الليل؛ وذلك لعدم حضور الفقراء في هذا الوقت فيحرمون من العطاء، فقد قال ﷺ لقهرمانه ووجده قد جدّ نخلاً له من آخر الليل: «لا تفعل، ألا تحلم أن رسول الله ﷺ نهى عن الحصاد والجدّاذ بالليل؟» وكان يقول: «الضفت تعطيه من يسأل فذلك حقه يوم حصاده»<sup>(٢)</sup>.

### - نهيه عن ردّ السائل :

وكان الإمام ﷺ ينهى عن ردّ السائل؛ وذلك لما له من المضاعفات السيئة التي منها زوال النعمة وفجأة النعمة.

وقد أكد الإمام ﷺ ضرورة ذلك في كثير من أحاديثه، فقد روى أبو حمزة الثمالي، قال: «صليت مع عليّ بن الحسين الفجر بالمدينة يوم الجمعة، فلما فرغ من صلاته وسبحته نهض إلى منزله وأنا معه، فدعا مولاه له تستي سكينه، فقال لها: لا يعبر عليّ بابي سائل إلا أطعمتموه فإن اليوم يوم الجمعة، فقلت له: ليس كل من يسأل مستحقاً، فقال ﷺ:

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٦ و ١٦٧ من الباقر ﷺ.

(٢) وسائل الشيعة ٩: ٢٠١، جامع أحاديث الشيعة ٨: ١١١، بحار الأنوار ٩٣: ٩٨.

يا ثابت، أخاف أن يكون بعض من يألنا مستحقاً فلا نطعمه، ونردّه  
فينزل بنا أهل البيت ما نزل يعقوب وآله، أطعموهم، أطعموهم، إن  
يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً فيتصدق منه، ويأكل هو وحياله منه، وإن  
سائلاً مؤمناً مؤاماً محقاً، له عند الله منزلة وكان مجتازاً غريباً اعثر على  
باب يعقوب عشية جمعة عند أوان إبطاره، يهتف على بابه: أطعموا  
السائل الغريب الجائع من فضل طعامكم، يهتف بذلك على بابه مراراً  
وهم يسمعون، وقد جهلوا حقه، ولم يصدقوا قوله، فلما يشن أن  
يطعموه وغشيه الليل استرجع واستعير وشكا جوعه إلى الله عز وجل،  
وبات طاوياً وأصبح صائماً جائعاً صابراً حامداً لله، وبات يعقوب وآل  
يعقوب شباعاً بطاناً وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم، قال: فأوحى  
الله إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذلت يا يعقوب عبي ذلة  
استجرت بها غضبي، واستوجبت بها أدبي ونزول عقوبي، ويلوأي  
عليك وعلى ولدك. يا يعقوب، إن أحب أنبيائي إليّ وأكرمهم عليّ من  
رحم مساكين عبادي وقريهم إليه وأطعمهم، وكان لهم مأوى وملجأ، يا  
يعقوب، أما رحمت ذمّال عبي المجتهد في عبادته، القانع باليسير من  
ظاهر الدنيا؟!... أما وعزّي لأنزلن بك بلوأي، ولأجعلنك وولدك غرضاً  
لمصائبني. فقال أبو حمزة: جعلت فداك متى رأى يوسف الرقيماً؟  
قال ﷺ: في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآل يعقوب شباعاً،  
وبات فيها ذمّال طاوياً جائعاً<sup>(١)</sup>.

(١) علل الشرائع ١: ٦١ ب ٤٢ ح ١، ط: بيروت، وقمل البحر: سار سيراً لناً. وضمّال هنا: اسم السائل.

ـ صدقاته :

وكان من أعظم ما يصور إليه الإمام زين العابدين عليه السلام في حياته : الصدقة على الفقراء لإنعاشهم ورفع البؤس عنهم ، وكان عليه السلام يحث على الصدقة ، وذلك لما يترتب عليها من الأجر الجزيل ، فقد قال : دعا من رجل تصدق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشيء في تلك الساعة إلا استجيب له<sup>(١)</sup>.

ـ مساعدته للفقراء والتحسن بآلامهم :

أجمع المؤرخون على أنه كان من أسخى الناس وأنداهم كفاً ، وأبرهم بالفقراء والضعفاء ، وقد نقلوا نوادر كثيرة من فيض جوده ، وقد تقدم في سخائه أن محمد بن أسامة مرض فعاده الإمام عليه السلام ، ولما استقر به المجلس أجهد محمد بالبكاء ، فقال له الإمام عليه السلام : ما يبكيك ؟ فقال : عليّ دين ، فقال له الإمام : كم هو ؟ فأجاب : خمسة عشر ألف دينار ، فقال له الإمام عليه السلام : هي عليّ ، ولم يقم الإمام من مجلسه حتى دفعها له<sup>(٢)</sup>.

ب ـ عطفه على أهله :

كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أرف الناس وأبرهم وأرحمهم بأهل بيته ، وكان لا يتميز عليهم ، وقد أثر عنه أنه قال : «لئن أدخل

(١) وسائل الشيعة : ٦ : ٢٩٦ ، جامع أحاديث الشيعة ٨ : ٢٨٩ ، نواب الأعيان : ١٤٥ .

(٢) الإرشاد : ٢ : ١٤٩ ، مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٦٣ ، راجع : البداية والنهاية : ٩ : ١٠٥ ، وسير أعلام النبلاء : ٤ : ٢٣٩ .



السوق ومعى دراهم ابتاع بها لعيالي لحماً وقد فرموا أحب إلي من أن أحتق نسمة<sup>(١)</sup>.

وكان يبكر في خروجه مصباحاً لطلب الرزق لعياله، فقيل له: يا بن رسول الله، أين تذهب؟ فقال: «أتصدق لعيالي، قيل له: أتصدق؟ قال: من طلب الحلال فهو من الله عز وجل صدقة عليهم»<sup>(٢)</sup>.

وكان ﷺ يعين أهله في حوائجهم البيتية، ولا يأمر أحداً منهم فيما يخص شأنًا من شؤون الخاصة، كما كان يتولى بنفسه خدمة نفسه خصوصاً فيما يخص شؤون عبادته، فإنه لم يك يستعين بها أو يعهد إلى أحد في قضائها.

### ج - مع مريته:

وقابل الإمام المعروف الذي أسدته إليه مريته بكل ما تمكن عليه من أنواع الإحسان، وقد بلغ من جميل برّه بها أنه امتنع أن يواكلها فلامه الناس، وأخفوا يسألونه بالحاج قائلين: أنت أبرّ الناس وأوصلهم رحماً، فلماذا لا تواكل أمك؟ فأجابهم جواب من لم تشهد الدنيا مثل أدبه وكماله قائلاً: «أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون عاقاً لها»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي ٤: ١٢، جامع أحاديث الشيعة ٢٩: ٤٦٦، والفرغ: شقة الليل والشهوة إلى أكل اللحم، كما في القاموس.

(٢) الكافي ٤: ١٢، وسائل الشيعة ١٧: ٦٧.

(٣) الكامل للمبرد ١: ٣٠٢، شلوات اللعب ١: ١٠٥، مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧٦ من أمالي النيشابوري، الخصال: ٥١٨ مع اختلاف سير.

## د - ومن برّه لأبويه: دعاؤه لهما :

وهو من أسمى القواعد في التربية الإسلامية الهادفة، وهذه مقاطع من هذه اللوحة الخالدة من دعائه ﷺ : ... واخصص اللهم والديّ بالكرامة لديك، والصلاة منك يا أرحم الراحمين... وألهمني علم ما يجب لهما عليّ إلهاماً، واجمع لي علم ذلك كلّهما، ثم استعملني بما تلهمني منه، ورفقني للنفوذ فيما تبصرني من علمه... اللهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرّهما برّ الأم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالديّ وبرّي بهما أقرّ لعيني من رقدة الوسنان، وأثلج لصدري من شربة الظمان، حتّى أوتر على هواي هواهما، وأقدّم على رضاي رضاهما، واستكثر برّهما بي وإن قلّ، واستقلّ برّي بهما وإن كثر.

اللهم خفّض لهما صوتي، وأطب لهما كلامي، وآلن لهما عريكتي، واعطف عليهما قلبي، وصبرني بهما رفيقاً وعليهما شفيقاً... اللهم اشكر لهما تربيتي، وألبهما على نكرمتي، واحفظ لهما ما حفظاء منّي في صغري... اللهم لا تُنسني ذكرهما في أديار صلواتي، وفي إناء من أناء لبلي، وفي كل ساعة من ساعات نهاري... اللهم صلّ على محمد وآله، واغفر لي بدعائي لهما، واغفر لهما ببرّهما بي...<sup>(١)</sup>.

## هـ - سيرته ﷺ مع أبنائه :

أمّا سلوك الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين ﷺ مع أبنائه فقد تميّز بالتربية الإسلامية الرفيعة لهم، فغرس في نفوسهم نزعاته الخيرة

(١) الصحيفة السجّادة، دعاؤه لأبويه: ١٢٨، والصوف: القلوم، والريسان: التمان والمريكة: الطيبة.

ورأى أجهلته الإصلاحية العظيمة، وقد صاروا بحكم تربيته لهم من النعم رجال الفكر والعلم والجهاد في الإسلام.

و - مع سائر شرائح المجتمع:

وتشير إلى بعض ألوان صدقاته وجميل خصاله في تعامله مع الناس بصورة عامة:

أ - التصدق بشيئه:

كان عليه السلام يلبس في الشتاء الخنز، فإذا جاء الصيف تصدق به أو بابه وتصدق بثمنه، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر ويتصدق بهما إذا جاء الشتاء، وكان يقول: «إني لأستحي من ربي أن آكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه»<sup>(١)</sup>.

ب - التصدق بما يحب:

كان يتصدق باللوز والسكر، فئل عن ذلك فقرا قوله تعالى: ﴿لَنَنَاقِلَهُ الْإِبْرَ حَتَّىٰ نُنْفِقَهُ إِنَّا فَاعِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وروي أنه كان علي بن الحسين عليه السلام يحببه العنب، فكان يوماً صائماً فلما أفطر كان أول ما جاء العنب، أتته أم ولد له بعنقود عنب، فوضعت بين يديه، فجاء سائل فدفعه إليه، فدمت أم ولد له إلى السائل فاشترته

(١) تاريخ مدينة دمشق (٤١: ٢٩٩، تهذيب الكمال ٢: ٣٩٨، شرح إحقاق الحق ٢٨: ٦١).

ومناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٧ من حلية الأولياء ٣: ١٣٦ - ١٤١، تهذيب الأحكام ٢:

٣٦٩، بحار الأنوار ٤٦: ١٠٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٣، بحار الأنوار ٤٦: ٨٩، أحيان الشيعة ١: ٦٣٣.

منه، ثم أتته به فوضعت بين يديه، فجاء سائل آخر فأعطاه إياه ففعلت أم الولد كذلك، ثم أتته به فوضعت بين يديه، فجاء سائل آخر فأعطاه<sup>(١)</sup>.

ج - مقاسة أمواله:

وقاسم الإمام أمواله مرتين فأخذ قسماً له، وتصدق بالقسم الآخر على الفقراء والمساكين<sup>(٢)</sup>.

د - صدقاته في السر:

وكان أحب شيء عند الإمام ﷺ الصدقة في السر، لئلا يعرفه أحد، وقد أراد أن يربط نفسه ومن يعطيهم من الفقراء برباط الحب في الله تعالى، توثيقاً لصلته بإخوانه الفقراء بالإسلام، وكان يحث على صدقة السر ويقول: «إن صدقة السر تطفى غضب الرب»<sup>(٣)</sup>.

وقد اعتاد الفقراء على صلة لهم في الليل، فكانوا يقفون على أبوابهم ينتظرونه، فإذا راوه تباشروا وقالوا: جاء صاحب الجراب<sup>(٤)</sup>.

وكان له ابن عم يأتيه بالليل فيناوله شيئاً من الدنانير فيقول له العلوي: إن علي بن الحسين لا يوصلني، ويدعو عليه، فيسمع الإمام ذلك ويغضبي عنه، ولا يُعرفه بنفسه، ولما توفي ﷺ فقد الصلة، فعلم

(١) الكافي ٦: ٣٥٠، المحاسن ٢: ٥٤٧ مع اختلاف يميز.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٧ من حلية الأولياء ٣: ١٤٠، جمهرة الأولياء ٢: ٧١، خلاصة تهذيب الكمال: ٢٣١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٢ من الثمالي والثوري، وفي تذكرة الحفاظ: ١: ٧٥ وأخبار الدول: ١١٠ ونهاية الأرباب: ٢١: ٣٢٦، وكشف القمّة: ٢: ٢٨٩ من مطالب السؤل من حلية الأولياء. وفي الكشف: ٢: ٣١٢ من الجنازدي عن الثوري عنه ﷺ كان يقول: إن الصدقة تطفى غضب الرب يد السر.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٢، شرح الأخبار ٣: ٢٥٤.

أنّ الذي كان يوصله هو الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام فكان يأتي قبره باكياً ومعتزراً منه<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتى مات عليّ بن الحسين<sup>(٢)</sup>.

وكان عليه السلام شديد التكتّم في صلاته وعبّاته، فكان إذا ناول أحداً شيئاً غطّى وجهه لئلا يعرفه<sup>(٣)</sup>.

وقال الذهبي: إنّه كان كثير الصلقة في السرّ<sup>(٤)</sup>.

وكان عليه السلام يجعل الطعام الذي يوزّعه على الفقراء في جراب ويحمله على ظهره، وقد ترك أثراً عليه<sup>(٥)</sup>.

هـ - ابتغاء مرضاة الله:

ولم يكن الإمام عليه السلام يتغني في برّه وإحسانه إلى الفقراء إلا وجه الله عزّ وجلّ والدار الآخرة، ولم تكن عطايا وصدقاته عليه السلام مشوبة بأيّ غرض من أغراض الدنيا.

وهن سفيان بن عيينة قال: رأى الزهري عليّ بن الحسين في ليلة باردة مطيرة على ظهره دقيق وحطب وهو يمشي، فقال له: يا بن رسول الله، ما هذا؟ قال عليه السلام: «أريد سفراً، أهدّ له زاداً أحمله إلى

(١) كشف الغمّة: ٢: ٣١٩، عن نثر النور للأبي، بحار الأنوار: ٤٦: ١٠٠.

(٢) حلية الأولياء، وحنه في مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٦٦ وكشف الغمّة: ٢: ٢٩٠ عن مطالب السؤول عن الحلية: ٤: ١٣٦ والبداهة والنهاية لابن كثير: ٩: ١١٤، حفة الصفوة: ٢: ٥٤، الإتحاف بسبب الأشراف: ٤٩ والأغانى: ١٥: ٣٢٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٢٩٣ عن اليافى عليه السلام، الخصال: ٥١٧.

(٤) تذكرة الحفاظ: ١: ٧٥.

(٥) تاريخ الحقوقي: ٢: ٣٠٣، ط: بيروت، الخصال: ٥١٧، علل الشرائع: ١: ٢٣٦.

موضع حريز<sup>١</sup>. فقال الزهري: هذا غلامي يحمله عنك، فأبى، قال: أنا أحمله فأبى أرفعك من حملة، فقال علي بن الحسين: ولكني لا أرفع نفسي عما يتجني في سفري، ويحسّن ورودي على ما أردت عليه، أسألك بحق الله لنا مضيت لحاجتك وتركني<sup>٢</sup>.

فانصرفت عنه فلما كان بعد أيام قلت له: يا ابن رسول الله، لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً.

قال عليه السلام: «بلى يا زهري، ليس ما ظننته، ولكنه الموت وله استعداد، إنما الاستعداد للموت تجتنب الحرام وبذل الندي في الخير»<sup>(١)</sup>.

و - سخاؤه عليه السلام:

أجمع المؤرخون على أنه كان من أسخى الناس وأنداهم كفاً، وأبرهم بالفقراء والضعفاء، وقد نقلوا نوادر كثيرة تعكس عظمه على الآخرين من نبض جوده، نذكر نماذج منها:

١ - مرض محمد بن أسامة، فعاده الإمام عليه السلام، ولما استقر به المجلس أجهد محمد بالكاء، فقال له الإمام عليه السلام: ما يبكيك؟ فقال: علي دين، فقال له الإمام: كم هو؟ فأجاب: خمسة عشر ألف دينار، فقال له الإمام عليه السلام: هي علي، ولم يقم الإمام من مجلسه حتى دفعها له<sup>(٢)</sup>.

(١) علل الشرائع ١: ٢٢١، رسائل الشيعة ٩: ٤٠٦، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٣.  
(٢) الإرشاد ٢: ١٤٩، مناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٣، راجع: البداية والنهاية ٩: ١٠٥، وسير أعلام النبلاء ٤: ٢٣٩.

٢ - ومن كرمه وسخائه أنه كان يطعم الناس إطعاماً حاقماً في كل يوم، وذلك في وقت الظهر في داره<sup>(١)</sup>.

٣ - وكان يعول مائة بيت في السر، وكان في كل بيت جماعة من الناس<sup>(٢)</sup>.

ز - تواضعه:

إن الألقاب الكريمة التي اختص بها الإمام لم يلقب بها الإمام إلا باعتبارها التجسيد الحي لها، والمصدق الكامل لـ: ﴿وَمَكَاتُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَسْتُرْنَ عَلَى الْأَرْضِ قُبُورًا وَإِلَّا خَطَّيَهُمْ يُصْهِرُونَ قَالُوا سَكَتًا﴾<sup>(٣)</sup>. وبعض الذين منحوه هذه الألقاب لم يكونوا من شيعة، ولم يكونوا يعتبرونه إماماً من قبل الله تعالى، لكنهم ما استطاعوا أن يتجاهلوا الحقائق التي رأوها فيه. وتقدم بعض النماذج من ذلك:

- سبه لثيم فأشاع عليه السلام بوجهه عنه، فقال له اللثيم: إني أك أعني... وأصرع الإمام قائلاً: «وعنك أغضي...»<sup>(٤)</sup>. وتركه الإمام ولم يقابله بالمثل.

- ومن عظيم حلمه عليه السلام: أن رجلاً افتري عليه وبالغ في سبه،

(١) تاريخ الطبري ٧: ٢٥٩، ط: بيروت.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٦٦ من الباقر عليه السلام وعن أحمد بن حنبل، كشف الغمة: ٢: ٢٨٩ من مطالب السؤل من حلية الأولياء، وفي الكشف: ٢: ٣١٢. من الجنائذي، ولكن فيه: ٧: ٣٠٤ عنه أيضاً من الصادق عليه السلام قال: كان يعول سبعين بيتاً، الشهيد، لابن عبد البر: ٩: ٦٥٨.

(٣) الفرقان: ٢٥: ٦٣.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٧١، البداية والنهاية: ٩: ١٠٥، تهذيب التهذيب: ٧: ٢٧٠.

فقال ﷺ له: «إن كنتما قلت فتستغفر الله، وإن لم تكن كما قلت فغفر الله لك...»<sup>(١)</sup>.

- وعن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن عبادة بن غالب الأسدي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب قال: حضرت علي بن الحسين ﷺ يوما حين صلى الفداة فإذا سائل بالباب فقال علي بن الحسين ﷺ: أعطوا السائل ولا تردوا سائلا<sup>(٢)</sup>.

- وروى محمد بن علي بن الحسين بن بابويه في العلل، قال: حدثنا محمد بن موسى بن المتركل، قال: حدثنا عبادة بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن مالك بن عطية عن الثمالي عن علي بن الحسين ﷺ أنه قال لمولاه له يقال لها سكينه - يوم جمعة -: لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتموه فإن اليوم الجمعة، فقلت له: ليس كل من يأكل محقا فقال: يا ثابت أخاف أن يكون بعض من يسألنا محقا فلا نطعمه فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله: أطعموهم أطعموهم. إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيصدق منه ويأكل هو وعياله وإن سائلا صواما محقا له عند الله منزلة - وكان غريبا مجتازا - اعتر - على باب يعقوب عشية جمعة عند أوان إقطاره بهتف على بابه اطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم بهتف بذلك على بابه مرار، وهم يسمعونته قد جهلوا حقه ولم يصدقوا قوله، فلما بش أن يطعموه، وفضيه الليل استمر واسترجع، وشكى جوعه إلى

(١) الإرشاد ١: ١٤٦ عن نسب آل أبي طالب للمصلي النشابة م ٢٧٠ هـ.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني ٤: ١٥، ج ٤.



الله تعالى ويات طاويا وأصبح صائما جائعا صابرا حامدا لله، ويات يعقوب وآل يعقوب بغانا شباعا وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم، قال: فأوحى الله عز وجل إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذلت يا يعقوب عبدي ذلة استجرت بها غصبي واستوجبت بها أدبي ونزول عقوبي عليك وعلى ولدك، يا يعقوب إن أحب أنياني إلي وأكرمهم علي من رحم مأكين عبادي وقربهم إليهم وأطعمهم وكان لهم مأوى وملجأ، يا يعقوب أما رحمت ذميال عبدي المجتهد في عبادته، القانع باليسير من طاهر الدنيا - عشاء أمس - لما اعتر ببايك عند أوان إفطاره، وهتف بكم اطعموا السائل الغريب المجتاز القانع فم تطعموه شيئا فاسترجع واستعبر وشكى ما به إلي - ويات طاويا حامدا لي، وأنت يا يعقوب وولدك شباع، وأصبحت عندكم فضلة من طعامكم أو ما علمت يا يعقوب أن العقوبة والبلوى إلى أوليائي أسرع منها إلى أعدائي، وذلك حسن النظر من أوليائي واستدراج مني لأعدائي، أما عزوتي لأنزلن بك بلوائي، ولأجعلنك وولدك غرضا لمصائبي وللأذنبك بعقوبي فاستعدوا لبلوائي وارضوا بقضائي واصبروا للمصائب الحديث<sup>(١)</sup>.

فقلت لعلي بن الحسين عليه السلام: جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟ فقال: في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآل يعقوب شباعا، ويات فيها ذميال طاويا جائعا<sup>(٢)</sup>.

(١) الجواهر الستة - الحر العاملي: ٢٦، ٢٨، وقال الحر العاملي: أقول لا ريب أن الذي صدر من يعقوب إنما هو ترك الأولى أعني اطعام ذلك السائل وكذلك جميع ما يورث صدور اللب من المعصومين عليهم السلام فيجب تأويل الفضب بفاظه - هنا - وهي منع ثواب ذلك المندوب الذي تركه يعقوب، ولو فعله لأثابه الله بصرف البلا - منه - ويجب تأويل العقوبة بالبلوى وإن لم يتقدمها قنب.

(٢) تفسير أبي حمزة الثمالي - أبو حمزة الثمالي: ٢٠٥.

## ج - حلمه وحنوه من المسيئين:

وولي هشام بن إسماعيل المخزومي المدينة، فقال علي بن الحسين عليه السلام من الأذى والمكروه عظيما، ثم عزله الوليد بعد ذلك وأمر أن يوقف للناس، فلم يكن أخوف من أحد [كخوفه] من علي بن الحسين عليه السلام لما ناله منه أن يرفع ذلك عليه ويقول فيه ويشكره، فلم يقل فيه شيئا ونهى عاصته وأهل بيته، وكل من سمع له من القول فيه بسوء. ثم أرسل إليه وهو واقف عند دار مروان: انظر ما أحجزك من مال تؤخذ به فمئتنا ما يسعك، وطب نفسا منا، ومن كل من يطيعنا. فتأدى هشام - وهو قائم - بأعلى صوته: الله أعلم حيث يجعل رسالته <sup>(١)</sup>.

وقيل: إن [الحسن بن الحسن] بن علي وقف على [علي] بن الحسين، فأسمعه، [روشته] وعنده جماعة، فسكت عليه السلام فلم يجبه، فلما مضى قال لمن معه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل؟ قالوا: سمعنا وساءنا ما سمعناه ولقد كنا نحب أن نقول. فتلا عليه السلام: ﴿وَالْعَظِيمِ النَّيِّظِ وَالْمَافِيهِ عَيْنَ الثَّائِبِ وَالْقَلْبُ يَحِبُّ النَّيِّبِ﴾. ثم قال: أحب أن تقوموا معي إلى [منزل] حتى تسمعوا ردي عليه، فإنه لم ينبغ لي أن أرد عليه في مجلسي. فقام القوم معه، [وهم] يرون أنه يتنصف منه. فلما أتى إلى منزله استأذن عليه، فخرج إليه، وظن أنه إنما جاء ليتنصف منه، فبدأه، فوثبه بالكلام. فقال: على رسلك يا أخي، قد سمعت ما قلت في مجلسي ونحن في مجلسك، فاسمع ما أقول لك: إن كان الذي قلت لي كما قلت فإني أسأل الله أن يغفر لي، وإن لم يكن ذلك كما قلت فإني أسأل

(١) شرح الأخبار - القاضي النعمان المغربي ٣: ٢٦٠.

الله أن يغفر لك. فاستحى الحسن، وقام إليه وقبل رأسه وما بين عينيه، وقال: بل قلت لك والله ما ليس فيك، استغفروا واعتلوا إليه<sup>(١)</sup>.

- وكان زين العابدين عظيم التجاوز والحنو والصفح، حتى أنه سبه رجل فتغافل عنه، فقال له: إياك أعني، فقال: «وعنك أعرض» أشار إلى الآية: «خُذْ أَسْوَءَ مَا فِي الْقُرْآنِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ». وكان يقول: «ما يسرني بنصبي من الذل حمر النعم»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه      فخير من إجابته السكوت  
سكتٌ عن السفيه فظنُّ أني      هيئت عن الجواب، وما هيئت<sup>(٣)</sup>

- وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان بالمدينة رجل بطل يضحك الناس منه، فقال: قد أعياني هذا الرجل أن أضحكه - يعني علي بن الحسين عليه السلام - قال: فمر علي عليه السلام وخلفه موليان له، فجاء الرجل حتى انتزع رداءه من رقبته، ثم مضى، فلم يلتفت إليه علي عليه السلام، فاتبهوا وأخذوا الرداء منه، فجاءوا به فطرحوه عليه، فقال لهم: من هذا؟ فقالوا له: هذا رجل بطل يضحك من أهل المدينة. فقال: قولوا له: إن الله يومًا يخسر فيه المبطلون<sup>(٤)</sup>.

- وعن محمد بن محمد بن أحمد عن يوسف بن السخت عن علي بن محمد بن سليمان عن الفضل بن سليمان عن العباس بن عيسى

(١) شرح الأخبار - القاضي النعمان المغربي ٣: ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٢) سنن أبي الليث عليه السلام - المولى حيدر الشيرازي: ٢٥٧.

(٣) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ١٨: ٩٩ - ١٠٠.

(٤) الأمالي - الشيخ الصدوق: ٢٨٩ - ٢٩٠.

قال: «صاق علي علي بن الحسين عليه السلام ضيقة فأتى مولى له فقال له: أقرضني عشرة آلاف درهم إلى مبصرة فقال: لا لأنه ليس عندي ولكني أريد وثيقة قال: فنتف له من رداته هدية فقال: هذه الوثيقة فقال: فكان مولاه كره ذلك فغضب عليه السلام فقال: أنا أولى بالوفاء أم حاجب بن زرارة فقال: أنت أولى بذلك منه قال: فكيف صار حاجب بن زرارة يرهق قوسا وإنما هي خشبة على مائة جمالة وهو كافر فيفي وأنا لا أفي بهدية رداً قال: فأخذها الرجل منه وأعطاه الدراهم وجعل الهدية في حق سهل الله عز وجل له المال فحمله إلى الرجل ثم قال له: قد أحضرت مالك فهات وثيقتي فقال له: جعلت فداك ضيبتها فقال: إذن لا تأخذ مالك مني ليس مثلي من يستخف بدمته قال: فأخرج الرجل الحق فإذا فيه الهدية فأعطاهما علي بن الحسين عليه السلام فأعطاه علي بن الحسين عليه السلام الدراهم وأخذ الهدية فرمى بها وانصرف»<sup>(١)</sup>.

- وموقفه في إيواء عائلة مروان في واقعة الحرة يدل على منتهى مكارم الأخلاق والمجازاة على الإساءة بالاحسان ولا عجب إذا جاء الشيء من معدنه:

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح<sup>(٢)</sup>

بل ورد إنه في وقعة الحرة ضم إليه أربعمائة امرأة منافية

(١) الروابي - الفيض الكاشاني ١٧: ١٤٣، ١٤٤، ح ١٧٠١٦، وقال الفيض في البيان: فقال لا لأنه التحليل لغيا وإثباتا لمحذوف حلف أدبا وحياء نحو لا أقرضك أو ما يؤدي مثناه والهدية بالضم وضمين غمل الثوب والجمالة مثله جمع جمل والعق بالضم الحقة.

(٢) أحيان الشبعة - السبد محسن الأمين ١: ٦٣٦ - ٦٣٧.

ويعولتھن<sup>(١)</sup>. إلى أن تفرق جيش مسلم بن عقبة. وفي رواية: أربعمائة امرأة مع أولادھن<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: مسانڈته العملية للأفكار الصحيحة بتأسيس المدرسة:

إن حالة الجمود الفكري والركود العلمي التي أصابت الأمة الإسلامية بسبب سيطرة بني أمية علي الحكم، كانت تستدعي حركة فكرية اجتهادية تفتح الأفاق الذهنية للمسلمين، كي يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنة بروح المجتهد البصير، وهذا ما قام به الإمام زين العابدين ؑ فأنبرى إلى تأسيس مدرسة علمية وإيجاد حركة فكرية بما بدأ من حلقات البحث والدرس في مسجد الرسول ﷺ وبما كان يشهده في خطبه في أيام الجمع أسوعياً.

أخذ الإمام ؑ يحدث بصنوف المعرفة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وعقائد وأخلاق، ويفيض علي الناس من علوم آباءه الطاهرين ويرزق النابھين منهم علي التفقه والاستباط.

وقد تفرّج من هذه الحلقة عدد مهم من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية وشخصيات علمية.

وكانت النتيجة أن شهدت المدينة المنورة حركة علمية بلغت أوجها في زمن الصادقين ؑ، وأن المحافل العلمية في المدينة كانت تشكل الدعامة القوية لنصرة التشيع وأهل البيت ؑ ومسجد الرسول ﷺ يشهد

(١) المتأني، أي من بني عبد مناف.

(٢) أهوان الشيعة - السيد محسن الأمين : ١ : ١٣٧.

بذلك. كما أن صحابة السؤل اتجهوا إلى الأئمة عليهم السلام عند تواجدهم في المدينة، كالإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق، والإمام الكاظم عليهم السلام، فمثلاً اتجه علماء المدينة في أواخر القرن الأول الهجري إلى الإمام الباقر عليه السلام للاخذ عنه والاختلاف إليه مع وجود رجال من الصحابة والتابعين الذين انفردوا عن خط أهل البيت، بل وشكلوا تياراً منافساً لهم، ومع ذلك لم يحظوا بالمكانة العلمية لما كان يحتلها الإمام الباقر عليه السلام وغيره من الأئمة عليهم السلام. قال الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري في «إعلام الوري»: «قد اشتهر في العالم تبرزه على الخلق في العلم والزهد والشرف ما لم يؤثر عن أحد من أولاد الرسول صلى الله عليه وآله وقبله من علم القرآن والآثار والسنن، وأنواع العلوم والحكم والآداب ما أثر عنه، واختلف إليه كبار الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين، وعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله بـ«باقر العلم» على ما رواه نقلة الاخبار، عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «بوشك أن تبقى إلى أن تلقى ولداً لي من الحسين يقال له: محمد، يبقر علم الدين، فإذا لقيته فاقرئه عني السلام». وقال الطبرسي: وروي عن أبي مالك، عن عبدالله بن عطاء المكي، قال: ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين عليهما السلام، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه. هكذا كانت المحافل العلمية في المدينة المنورة زمن الإمام الباقر عليه السلام. ومن المؤسف جداً لم يهتم مؤرخو المسلمين بتدوين تلك المحافل العلمية إلا ما ورد في بطون الكتب، وهي مبثوثة بشكل احتجاجات اضطر إليها أئمة

أهل البيت ﷺ لمعالجة خصومهم، وقد دأب أعداؤهم على إخفاء الكثير من تلك، لأنها كانت صرخات حق بوجه الظالمين من حكام الجور، وهم بنو أمية... ثم هناك مؤلفات كتبت في منتصف القرن الثاني الهجري، مثل «تاريخ المدينة» لابن زبالة الذي كان حياً سنة ١٩٩هـ، وكتب الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ تاريخاً للمدينة، وكتب المدائني المتوفى ٢١٥هـ، وكتاب «أخبار المدينة» للزبير بن بكار المتوفى ٢٥٦هـ، إلا أن جل هذه الكتب وغيرها لم تصل إلينا، حيث لعبت بها أيدي الحدّثان، وأتلفتها الأزمان. لكن كل ذلك لم يفقد بصيص الأمل فيما لو أراد الباحث أن يستقري أحوال المدينة المنورة اجتماعياً، وسياسياً، وعلمياً، ودينياً، طالما كتب الأنساب والتراجم والأخبار والحديث زاخرة بفصول كثيرة ومهمة عن الصحابة والتابعين، ودورهم في الدعوة الإسلامية، ونصرتهم للرسول وأهل البيت ﷺ.

ونلمس من خلال ما ورد عن الإمام ﷺ من أحاديث ترتبط بالعلم والعلماء أنّه قد خطّط لهذه الحركة العلمية تخطيطاً بارعاً، فهو بالإضافة إلى تفرّغه للتعليم - بالرغم من جميع الهموم والألام التي تركتها له واقعة الطفّ الأليمة، وما تلاها من حوادث مؤلمة في العالم الإسلامي - نجده بشيد بفضل العلم ويحثّ المستعذّبين للتعلم حتّى أكيدا قولاً وعملاً، ونكريماً من جهة، كما نجده يرسم للمتعلمين آداب التعلم، ويبيّن حقوق المعلم والمتعلم، ويرغبهما في تحمّل هذا العبء ببيان ثواب التعلم والتعليم، بحيث استطاع أن يجمع عدداً كبيراً من طلاب المعرفة الذين عُرفوا بالقرّاء باعتبار أنّ قراءة القرآن وحفظه وتعليم تفسيره كانت هي المحور في التعلم والتعليم حينذاك، ولم يكن للحديث أو السيرة أو

الفقه تدوين وتأليف باعتبار الحظر الذي أوجده السلطة بعد غياب الرسول ﷺ، فلم يكن الخط العام في صالح هذه الحركة الفكرية.

ومع كل هذا نلاحظ احتفاء القراء والفقهاء والعلماء بالإمام بنحو لا نجد له نظيرا في غيره من العصور، فإن القراء كانوا لا يفارقونه في حضر أو سفر حتى قال سعيد بن المسيب: إن القراء كانوا لا يخرجون إلى مكة حتى يخرج علي بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب<sup>(١)</sup>.

وقد تقدم قوله ﷺ مشيدا بفضل العلم وثوابه وأهميته: «لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض النجج...»<sup>(٢)</sup>.

و «إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبغت له الأرضون السبع»<sup>(٣)</sup>.

وكما تقدم إكرامه ﷺ لطلاب العلم ورفع منزلتهم والترحيب بهم قائلا: «مرحبا بوصية رسول الله ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

وقوله للشبان من طلبة العلم: «مرحبا بكم أنتم ودائع العلم، ويوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين»<sup>(٥)</sup>.

وما جاء في رسالة الحقوق من الإشادة بفضل العالم وحقوقه على المتعلمين من التعظيم له، والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه،

(١) راجع مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للمصحفة السجادية.

(٢) أصول الكافي: ١: ٣٥.

(٣) حياة الإمام زين العابدين: ٢٣، الخصال: ١٨، وفيه: «إلا سبغت له الأرضين السابعة».

(٤) الخصال: ١٨.

(٥) الدرر النظيم: ٥٨٧.



والإقبال عليه وعدم رفع الصوت عليه، والدفاع عنه ومثّر عيوبه وإظهار مناقبه، وعدم مجالسة أعدائه وعدم معاداة أوليائه.

كلّ هذا يشير إلى تخطيط واضح في سلوك الإمام عليه السلام لإيجاد حركة ثقافية واسعة وتأسيس تيار ثقافي يتنسّج له أن يقف أمام التيارات المنحرفة والتخطيط الأموي الذي لم يرقّ له تفتح الوعي الإسلامي عند أبناء المسلمين.

وقد خرجت مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام كوكبة من العلماء الفقهاء والمفسّرين الذين سطعت أسماؤهم في العالم الإسلامي، وإليهم يعود الفضل في دفع عجلة الإحياء العلمي في ذلك العصر الرهيب وما تلاه من عصور. ونشير فيما يلي إلى الأسماء اللمعة في هذا الصدد:

١ - ٣. وفي مقدمتهم الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام وأخوه: زيد والحسين ابنا علي بن الحسين بن علي عليه السلام.

٤ - أبان بن تغلب بن رباح، أبو سعيد البكري الجعري: كوفي المولد والنشأة، وكان نابهاً ومقدماً في كلّ فن، من قرآن وحديث وأدب ولغة ونحو، وتلمذ عند الأئمة الثلاثة: السجّاد والباقر والصادق عليه السلام، وكان يقول له الإمام الباقر عليه السلام: «اجلس في مسجد المدينة وافق الناس فلان أحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك» وألف أبان في تفسير غريب القرآن وفي فضائل أهل البيت كما روي ما يناهز ثلاثين ألف حديث عن أئمة عليهم السلام<sup>(١)</sup>.

٥ - إسماعيل بن عبد الخالق: وجه من وجوه أصحاب الأئمة وفقهه

(١) راجع ترجمته بالتفصيل في حياة الإمام زين العابدين: ٥٢٢ - ٥٢٧، شرح أصول الكافي

من فقهاءهم، وأدرك الإمام الصادق عليه السلام وروى عنه وعن الإمام الباقر والسجاد أيضاً<sup>(١)</sup>.

٦ - ثابت بن أبي صفية: وهو أبو حمزة الثمالي، عالم جليل ورع تقى، تربى بأداب أهل البيت وحمل علومهم ومعارفهم، وأجمع المترجمون علي وثاقته وأنه كسلمان الفارسي في زمانه، وكانت الشيعة ترجع إليه في الكوفة لإحاطته بفقهاء أهل البيت عليه السلام.

٧ - رشيد الهجري: من أبطال الإسلام وأعلام الجهاد، وقد صلبه الأمويون من أجل عقيدته وولائه لأهل البيت عليه السلام.

٨ - زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان يتولى صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان جليل القدر كريم الطبع زكى النفس كثير البر.

٩ - سعيد بن جبيرة، أبو محمد مولي بني والبة: كوفي تابعي نزل مكة وهو من أعلام المجاهدين، وكان من أبرز علماء عصره في التفسير والفقه وأنواع العلوم، واستشهد بأمر الحجاج في شعبان (٩٥هـ).

١٠ - سعيد بن المسيب المخزومي: من كبار التابعين، وقال فيه الإمام زين العابدين عليه السلام: إنه أعلم الناس بما تقدمه من الآثار وأفصحهم في زمانه، وكان يبتجل الإمام كثيراً<sup>(٢)</sup>.

إن هؤلاء بعض تلامذته والرواة عنه، على أن الإمام عليه السلام كان يربى الموالى بشكل ليس له نظير، وكل من أعتقه الإمام يمكن أن يعدّ ممن تربى على يد الإمام، فلا ينحصر تراث الإمام فيما كتب وما روى عنه

(١) راجع ترجمته بالتفصيل في حياة الإمام زين العابدين: ٥٢٩.

(٢) راجع تفصيل البحث من رواة حديث الإمام وتلامذته في كتابي: «حياة الإمام زين العابدين»: ٥١٧ - ٥٨٧.

فقط، بل يمكن أن يتشع لكلّ حمل تربوي صدر عن الإمام، وبقيت آثاره في المجتمع الإسلامي، ولو كان متجسداً في سلوك هؤلاء العوالي وأفكارهم واتجاهاتهم.

ومن طلائع مدرسة الإمام: الشهيد زيد بن علي عليه السلام:

وفي طليعة من رياحهم الإمام زين العابدين أبنائه: الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام، الذي تحمل الإمامة من بعده، وقاد الأمة إلى الهدى والرشاد، وأسس المدرسة الفقهية على قواعد الإسلام المثينة، ومصادره وأصوله الرصينة، عندما بدأ الحكام بترويج فقه وعاط السلاطين، فحفظ بذلك الشريعة المقدسة من الزوال. وابنه الحسين الأصغر، الذي روى عن أبيه العلم، وكان مشاراً إليه في العبادة والصالح. وأخذ الحديث عن عمته فاطمة بنت الحسين، وأخيه الإمام الباقر عليه السلام. وقال فيه الإمام الباقر عليه السلام: أما الحسين فعليم، يمشي على الأرض هوناً. وابنه العظيم المجاهد في سبيل الله زيد الشهيد عليه السلام الذي ضرب أروع الأمثلة في الإباء والحمية، والفداء والتضحية. وكان عين إخوانه - بعد أبي جعفر عليه السلام - وأفضلهم، وكان عابداً ورعاً، فقيهاً، سخياً، شجاعاً، وظهر بالسيف، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويطلب بشارات الحسين عليه السلام. إن ثورة زيد بن علي عليه السلام كانت عظيمة من حيث توقّتها، وآثارها التي خلفتها، لخدمة حق أهل البيت عليهم، ونستعرض في ما يلي بعض ذلك:

١ - إن هذه الحركة الشجاعة دلت على أن البيت الذي يلد مثل زيد من الرجال، في البطولة والشهامة، والجرأة والإقدام، فضلاً عن العلم والعبادة والتقوى، لا يبنى على التخاذل والمهادنة مع الظالمين، أو

الابتعاد عن السياسة والتوجس من العذاب، والهول من المصائب. ولو كان لأحد أثر في تربية زيد الشهيد على كل تلك الصفات، فليس إلا لأبيه الإمام الطاهر زين العابدين، وإلا لأخيه الإمام الباقر عليه السلام، اللذين علماء الإسلام بما فيه من تعاليم الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودرسا التاريخ بما فيه بطولات جده علي أمير المؤمنين عليه السلام وذكراء بشارات جده الحسين عليه السلام، وزقاء المجد والكرامة، ولقاء الإياء والحريّة. واستلهم - هو - من حياة أبيه وأخيه، وسيرتهم الحميدة والأصيلة، ونضالهم الصامت والناطق سنن التضحية والفداء، حتى جعل في مقدمة أهداف ثورته العظيمة: الطلب بشارات الحسين عليه السلام في كربلاء.

٢ - إن ثورة زيد بن علي عليه السلام هي الثمرة البانعة للجهود السياسية التي بذلها الإمام زين العابدين، طول فترة إمامته، فهو الذي تمكن بتخطيطه الدقيق من استعادة القوى، وتهيئة النفوس، لمثل حركة ابنه الشهيد، وإن صبح التعبير فهو الذي جيش لابنه زيد ذلك الجيش المسلح، الذي فاجأ الظالمين، وزعزع ثقتهم بالحكم الظالم. فلم يكن الجيش الذي كان مع زيد وليد ساعته، أو يومه، أو شهره، أو سنته، مع تلك المقاومة الباسلة التي أبدعها أصحابه وأنصاره.

٣ - وبكفي زيد بن علي عليه السلام عظمة أنه ضحى بنفسه في سبيل تعزيز مواقع الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام، فقد كشف للأمويين الطغاة، في فترة حساسة من تاريخ حكمهم، أن أهل البيت: لا يزالون موجودين في الساحة، ولديهم القدرة الكافية على التحرك في أي موقع زمني، وأي موضع من البلاد، وهذا ما جعل الأمويين يهابون الأئمة عليهم السلام

ويعدونهم المعارضين الأقوياء، المدافعين عن هذا الدين، برغم جسامه التضحيات التي كانوا يقدمونها، وأبان الشهيد زيد لكل الظالمين أن أهل البيت عليهم السلام لا يسكتون عمن يعتدي على كرامة الإسلام، مهما كلف الثمن. وبهذا يفسر قوله لابن أخيه الصادق جعفر بن محمد - لما أراد الخروج إلى الكوفة -: أو ما علمت يا بن أخي أن قائمنا لقاعدنا، وقاعدنا لقائمنا، فإذا خرجت أنا وأنت، فمن ي خلفنا في حرمانا؟

٤ - إن قيام الشهيد زيد بن علي عليه السلام، بحركته خارج حدود المدينة صرف أنظار الحكام عن قطب رضى الدين، ومحور فلك الإمامة والقيادة، وهم الأئمة القائمون في المدينة المنورة، بحيث تمكن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام من أداء دوره القيادي، مستفيدا من كل الأجواء الإيجابية التي خلقتها ثورة عمه الشهيد زيد بن علي عليه السلام، لينشر علوم آل محمد الحقة، ويربي الجيل الإسلامي المؤمن. وكفى ذلك عظمة ومجدا وهدفا ساميا.

٥ - وكان من ثمرات ثورة زيد بن علي عليه السلام أنه أثبت للأمة صدق الدموى التي يرفع رايتها أئمة أهل البيت، في الدفاع عن هذا الدين والنضال من أجله، فهذه التضحيات الكبرى أوضح شاهد على ذلك. وكان ذلك تعريزا عمليا لمواقع أهل البيت عليهم السلام في أوساط الأمة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

## [ثانياً]

## تعامل الإمام (عليه السلام) مع الأعداء والمنافقين

وأما بالنسبة إلى الأعداء فقد مارس الإمام معهم السبل التالية:

### أ - بيان الحقائق في الفرص المتاحة، وممارسة الدعاء في الظروف الحرجة للوقاية من شر الأعداء:

روى ثقات الرواة وعدولهم أنه لما أدخل علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) في جملة من حمل إلى الشام سبائاً من أولاد الحسين بن علي (عليه السلام) وأهاليه على يزيد قال له: يا علي الحمد لله الذي قتل أباك! قال علي (عليه السلام): قتل أبي الناس. قال يزيد: الحمد لله الذي قتله فكفاني! قال علي (عليه السلام): علي من قتل أبي لعنة الله، أفتراني لعنت الله عز وجل؟ قال يزيد: يا علي إصعد المنبر فأعلم الناس حال الفتنة، وما رزق الله أمير المؤمنين من الظفرا فقال علي بن الحسين: ما أعرفني بما تريد. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن الحرة والصفاء، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن من لا يخفى، أنا ابن من علا فاستعلا فجاز سدره المنتهى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى.

فضج أهل الشام بالبيكاء حتى خشي يزيد أن يرحل من مقدمه، فقال للمؤذن: أذن. فلما قال المؤذن: (الله أكبر، الله أكبر) جلس علي ابن الحسين على المنبر فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً

رسول الله. ويكى علي بن الحسين عليه السلام ثم التفت إلى يزيد فقال: يا يزيد هذا أبي أم أبوك؟ قال: بل أبوك. فانزل.

فنزل عليه السلام فأخذ بناحية باب المسجد، فلفقه مكحول صاحب رسول الله عليه السلام فقال: كيف أميت يا بن رسول الله؟

قال: أميتنا بينكم مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبنائهم، ويستحيون نساءهم، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم.

فلما انصرف يزيد إلى منزله، دهم بعلي بن الحسين عليه السلام فقال: يا علي أنصارع ابني خالد؟ قال عليه السلام: وما تصنع بمصارعتي إياه، أعطينا سكينا وأعطه سكينا فليقتل أقوانا أضعفنا، فضمه يزيد إلى صدره، ثم قال: لا تلد الحية إلا الحية، أشهد أنك ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم قال له علي بن الحسين عليه السلام: يا يزيد بلغني أنك تريد قتلي، فإن كنت لا بد قاتلي، فوجه مع هؤلاء النسوة من يؤديهن إلى حرم رسول الله عليه السلام. فقال له يزيد لعنه الله: لا يؤديهن غيرك، لعن الله ابن مرجانة، فوالله ما أمرته بقتل أبيك، ولو كنت متوليا لقتاله ما قتلته، ثم أحسن جائزته وحمله والنساء إلى المدينة<sup>(١)</sup>.

وقال المفيد وصاحب المناقب، واللفظ لصاحب المناقب: وروي أن يزيد عرض عليهم المقام بدمشق فأبوا ذلك، وقالوا: بل ردنا إلى المدينة فإنه مهاجر جدنا عليه السلام فقال للنعمان بن بشير صاحب رسول الله عليه السلام: جهز هؤلاء بما يصلحهم وابعث معهم رجلا من أهل الشام أمينا صالحا، وابعث معهم خيلا وأخوانا، ثم كساهم وحباهم

(١) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي ٢: ٢٨ - ٤٠.

وفرض لهم الأرزاق والانزال ثم دعا بعلي بن الحسين عليه السلام فقال له: لمن الله ابن مرجانة أما والله لو كنت صاحبه ما سألتني خلة إلا أعطيتها إياه ولذفعت عنه الحتف بكل ما قدرت عليه، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله ما رأيت، فكاتبني وأنه إلي كل حاجة تكون لك، ثم أوصى بهم الرسول. فخرج بهم الرسول يسايرهم فيكون أمامهم فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه كهيئة الحرم ثم ينزل بهم حيث أراد أحدهم الرضوء، ويعرض عليهم حوائجهم، ويلطفهم حتى دخلوا المدينة<sup>(١)</sup>.

والنقي الإمام زين العابدين عليه السلام خلال وجوده في الشام بالمنهال بن عمرو، فبادره قائلاً: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ فرمقه الإمام بطرفه وقال له: «أصينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، أمت العرب تفتخر علي العجم بأن محمداً منها، وأمت قريش تفتخر علي سائر العرب بأن محمداً منها، وأصينا أهل بيت مقتولين مشركين، فإنا لله وإنا إليه راجعون»<sup>(٢)</sup>.

وعهد يزيد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب وذائع رسول الله صلى الله عليه وآله وعوائل الرسالة فيرقدن إلى المدينة<sup>(٣)</sup>. وأمر بإخراجهن ليلاً خوفاً من الفتنة واضطراب الأوضاع<sup>(٤)</sup>.

وكنموذج آخر من تعامله عليه السلام مع الأعداء: أنه لما أتى به عليه السلام إلى

(١) بحار الأنوار - الملائة المسبلي ٤٥ : ١٤٥ - ١٤٦.

(٢) اللهوف في قتل الطوف: ٨٥ مرسلًا ورواه ابن سعد في الطبقات مستنداً عن المنهال بن عمرو الكوفي في الكوفة وليس الشام، والخبر أكثر من هذا وإنما هذا مختصر الخبر.

(٣) الطبري: ٤٦٢: ٥، الإرشاد: ١٢٢: ٢ وعنه في وثقة الطق لأبي مخنف: ٢٧٢.

(٤) عن تفسير المطالب في أمالي أبي طالب: ٩٢، والحدائق الوردية ١: ١٣٣.



مسلم بن عافية، وهو مفتاظ عليه، فغضباً منه ومن آباءه. فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له، وأقعدته إلى جانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قدّم إلى السيف إلا شفعه فيه، ثم انصرف عنه.

فقال لعلي بن الحسين عليه السلام: رأيناك تحرك شفيعك، فما الذي قلت؟

قال: «قلت: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أظللن، رب العرش العظيم، رب محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شره، وأعدأ بك في نعره، أسألك أن تؤتيني خيره، وتكفيني شره».

وقيل لمسلم: رأيناك نسب هذا الغلام وسلفه، فلما أتى به إليك رفعت منزله؟ فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد ملئت قلبي منه رعباً.

ولم يبايع الإمام عليه السلام ليزيد كما لم يبايع علي بن عبدالله بن العباس، حيث امتنع بأخواله من كندة، فالحصين بن نمير نائب مسلم بن عقبة قال: لا يبايع ابن اختنا إلا كيعة علي بن الحسين<sup>(١)</sup>.

وذكر المؤرخون: أن الإمام زين العابدين عليه السلام كفل في واقعة الحرّة أربعمائة امرأة من عبد مناف، وظلّ ينفق عليهنّ حتى غرّج جيش مسلم من المدينة<sup>(٢)</sup>.

وجاء الحديث من غير وجه: أن مسرف بن عقبة لما قدم المدينة

(١) النظرية السبابة لدى الإمام زين العابدين، محمود الخندقي: ٢٧٢، ط: المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام - الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ، جهاد الإمام السيّد: ٧١.

(٢) كشف الغمّة ٢: ٣١٩ من نشر الدرر، للأبي: ف ٤، عن ابن الأثيري.

أرسل إلى علي بن الحسين عليه السلام قائلاً، فلما صار إليه قرّبه وأكرمه وقال له : أوصاني أمير المؤمنين ببرك وتيسرك من غيرك<sup>(١)</sup>...

وواضح أنّ البيعة إذا ما عرضت بشرطها الاستعبادي على الإمام عليه السلام فإنه سيستمرّ على نهجه الرفض، وأنّ معنى الرفض هنا إنّهُ يتصرّف بدمائه الزكية، وهذا يعني دخول صورة من صور النقمة العارمة ضد الممارسات الأموية القمعية التي سوف تزلزل أعمدة الكيان الحاكم.

وبعد انتهاء الأيام الدامية على مدينة الرسول صلى الله عليه وآله قال مسلم بن عقبة : اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَهْمَلْ عَمَلاً قَطْ بَعْدَ شَهَادَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَلَا أَرْجِي عِنْدِي فِي الْآخِرَةِ<sup>(٢)</sup>.

كان مسلم في تلك الأيام قد تجاوز التسعين من عمره، أي إنّهُ كان قريباً جداً من حتفه، وقد هلك بُعيد وقعة الحرّة وقبل أن يصل إلى مكة، وكان من الذين لم يحملوا من الإسلام إلّا اسمه، ووقفوا ظاهر القرآن والحديث لتسويغ جرائمهم، فقد كان من المخلصين لمعاوية بن أبي سفيان، وفي صفين كان يقود معسكر معاوية بن أبي سفيان ضد الخليفة الشرعي للمسلمين، ألا وهو الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

(١) الإرشاد : ٢٥٢.

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٤٩٧ عنه الكامل في التاريخ ٤ : ١٢٣.

(٣) وقعة صفين : ٢٠٦ و ٢١٣ وفي الإصابة ٣ : ٤٩٣ - ٤٩٤.

ولعلّه لم يسمع حديث الرسول ﷺ الذي جاء فيه : «من أخاف أهل المدينة أخاف الله» ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»<sup>(١)</sup>.

ولعلّه قد سمع هذا الحديث ، لكنه لما وجد من يعتبر نفسه خليفة للنبي ﷺ قد تجرأ على قتل ابن بنت النبي ﷺ وسبي بناته من مدينة إلى أخرى ، دون أن يتعرض عليه أحد ، فوسم يخش هو إن اعتدى على مدينة النبي ﷺ؟!!

وفي البحار : كتب ملك الروم إلى عبد الملك : أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة ، لأغزونك بجنود مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يبعث إلى زين العابدين ﷺ ويشوعده ويكتب إليه ما يقول ففعل فقال علي بن الحسين ﷺ : إن لله لوحاً محفوظاً يلحظه في كل يوم ثلاثمائة لحظة ، ليس منها لحظة إلا يحيي فيها ويميت ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء ، وإني لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة ، فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك ، فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم ، فلما قرأه قال : ما خرج هذا إلا من كلام النبوة<sup>(٢)</sup>.

(١) البداية والنهاية ٨ : ٢٢٣ ، رواه عن السائي ، وروي مثله عن أحمد بن حنبل . أنظر أحاديث أخرى عن هذا الموضوع في كثر العمال ، كتاب الفضائل ، الحديث ٣٤٨٨٦ ، ووفاء الوفاء : ٩٠ ، وسفينة البحار : ٨ : ٣٨ - ٣٩ من دهائم الإسلام ، المجلسي ٧ : ٢٨٢ ، مسند أحمد ٤ : ٥٥ ، السنن الكبرى ٢ : ٤٨٣ .

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٦ : ١٣٢ - ١٣٣ .

## ب - مقاطعة الظالمين :

إن الإمام زين العابدين (ع) لم يكلم أحدا ممن كان معه في طريق الأمر من الكوفة إلى الشام بكلمة حتى بلغوا الشام.

فقد ورد في كتب المقتل أنه بعد استشهاد الإمام الحسين (ع) كتب ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين (ع) وخبر أهل بيته. كما بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة - وهو من بني أمية - يخبره بقتل الحسين (ع).

ولما وصل كتاب ابن زياد إلى الشام أمره يزيد بحمل رأس الحسين (ع) ورؤوس من قتل معه إليه.

ثم أمر ابن زياد بنساء الحسين (ع) وصبياناه فجُهِزُوا، وأمر بعلي بن الحسين (ع) فُتِلَ بِغِلٍّ إلى عنقه، ثم سَرَحَ بهم في أثر الرؤوس مع مجفر بن ثعلبة العائذي وشمس بن ذي الجوشن، وحملهم علي الأقطاب، وساروا بهم كما يسار بسبايا الكفار، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس، فلم يكلم علي بن الحسين (ع) أحداً منهم في الطريق بكلمة حتى بلغوا الشام<sup>(١)</sup>.

## ج - مطالبة جهاز الحكم بإصلاح شؤون الدولة :

إن الإصلاح من أبرز ما يقصده الأنبياء والأئمة (ع)، لأن مهمتهم إنما جعلت في الأرض لدفع الفساد عنها بهداية الخلق إلى ما هو صالح لهم، وقطع دابر المفسدين. فإن كان هذا هو الحق : فإن الإمام زين

(١) عن طبقات ابن سعد في فتل تاريخ مدينة دمشق ترجمة الإمام الحسين (ع) : ١٣١ ، أنساب الأشراف : ٢٦٤ ، الطبري : ٤٦٠ : ٥ و ٤٦٣ ، والإرشاد : ١١٩ : ٢ واللفظ للأخير.

العابدين ﷺ لم يتخل عن موقعه الإلهي، كقائد للأمة الإسلامية، ومصالح للمجتمع الإسلامي، وقد تبلور في ساحة العمل الاجتماعي، في كل زواياها وأطرافها، وأبرزها المطالبة بإصلاح جهاز الحكم.

إن أقصى ما يريد أن يبعده المؤرخون المحدثون عن حياة الإمام زين العابدين هو العمل السياسي، والتعرض للجهاز الحاكم، والتطلع إلى إصلاح الدولة، فيحاولون الإيحاء - بعبارات شتى - أن الإمام ﷺ لم يكن سياسياً، وكان بعيداً عن التورط في ما يمس قضايا السياسة من قريب أو بعيد، وأنه انزوى متعبداً بالصلاة والدعاء والاعتكاف! ومع الاعتقاد بأن مزاوالات الإمام الدينية كلها من صميم العمل السياسي، وخصوصاً في عصره، إذ لم يسمع نغم الفصل بين السياسة والدين، بعداً فمع ذلك: نجد في طيات حياة الإمام زين العابدين ﷺ عينات واضحة، من التدخلات السياسية الصريحة. فهو في ما يلي من النصوص المنقولة عنه، يبدو رجلاً مشرفاً على الساحة السياسية، فهو يدخل في محاورات حادة، ويتابع مجريات الأحداث، ويدلي بتصريحات خطيرة بشأن الأوضاع الفاسدة التي تعيشها الأمة، وهو ينمّيها - بكل صراحة - إلى فساد الدولة.

١ - قال عبدالله بن حسن بن حسين: كان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يجلس كل ليلة، هو، وعروة بن الزبير، في مؤخر مسجد النبي ﷺ! بعد العشاء الآخرة، فكانت أجلس معهما، فتحدثنا ليلة، فذكرنا جور من جوار بني أمية، والمقام معهم، وهما لا يستطيعان تغيير ذلك! ثم ذكرنا ما يخافان من عقوبة الله لهم! فقال عروة لعلي: يا علي، إن من اعتزل أهل الجور، والله يعلم منه سخطه

لأعمالهم، فكان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله رجي له أن يسلم مما أصابهم. قال: فخرج عروة، فسكن العقيق. قال عبدالله بن حسن: وخرجت أنا فنزلت سوية. أما الإمام زين العابدين فلم يخرج، بل أتر البقاء في المدينة طوال حياته لأنه بعد مثل هذا الخروج فرارا من الزحف السياسي، وإخلاءا للمساحة الاجتماعية للظالمين، يجولون فيها ويصولون. وما أعجب ما في النص من قوله: (يجلسون كل ليلة... في مسجد الرسول) وكأنه اجتماع منظم، ولا ريب أن فيه تعديا صارخا للنظام يقوم به الإمام زين العابدين عليه السلام. ولعل اقتراح عروة بن الزبير - وهو من أعداء أهل البيت عليهم السلام - كان تدبيرا سياسيا منه، أو من قبل الحكام، ومحاولة لإبعاد الإمام عليه السلام عن الحضور في الساحة الاجتماعية، لكنه عليه السلام لم يخرج، وظل يداوم سيرته النضالية.

٢ - وفي حديث آخر: قال الإمام زين العابدين عليه السلام: إن للحكم دولة على العقل، وللمنكر دولة على المعروف، وللشر دولة على الخير، وللجهل دولة على العلم، وللجزع دولة على الصبر، وللخرق دولة على الرفق، وللجور دولة على الخصب، وللشدة دولة على الرخاء، وللرغبة دولة على الزهد، وللبيوت الخبيثة دولة على بيوتات الشرف، وللأرض السبخة دولة على الأرض العذبة. فتعزذ بالله من تلك الدول، ومن الحياة في النقمات.

وإذا كانت (الدولة) - في اللسان العربي - هي: الغلبة والاستيلاء، وهي من أبرز مقومات (السلطة الحاكمة) فإن الإمام عليه السلام يكون قد أدرج قضية السلطة السياسية في سائر القضايا الحيوية، والطبيعية، التي يهتم بها، ويفكر في إصلاحها، ويحاول رفع مشكلاتها التي تستولي على

الإنسان، من اقتصادية، وثقافية، ونفسية، ودينية. فمن - يا ترى - يعني الإمام عليه السلام بالبيوتات الخيثة التي لها السلطان على الأشراف، في عصر الإمام عليه السلام ١٩؟ ومن هي البيوتات الشريفة المغلوبة في عصره عليه السلام ١٩؟ وهل التمدد بالله من دولة السلطان، يعني أمرا غير رفض وجوده، واستنكار سلطته ١٩؟ وهل لسياسي آخر حضور أقوى من هذا، في مثل ظروف الإمام عليه السلام وموقعه، وضمن تخطيطه الشامل لحل المشاكل؟ وأخيرا هل يصدر مثل هذا من رجل ادعي: أنه ابتعد عن السياسة، أو اعتزلها؟

ثالثا: في مجال مقاومة الفساد وإذا كان من أهم واجبات المصلح، وخاصة الإلهي، مقاومة الفساد، ومحاربة المفسدين في الأرض، فإن الإمام زين العابدين عليه السلام قام بدور بارز في أداء هذا المهم.

وقد تميز عصر الإمام عليه السلام، بمشاكل اجتماعية من نوع خاص، وقد تكون موجودة في كثير من الأوقات، إلا أن بروزها في عصره كان واضحا، ومكتفا، كما أن الإمام زين العابدين قام بمعالجتها بأسلوبه الخاص، مما أعطاه صبغة فريدة، تميزت في نضال الإمام عليه السلام، أهمها: مشكلة العصبية والعنصرية. ومشكلة الفقر العام. ومشكلة الرق والمبيد<sup>(١)</sup>.

#### د - مدراء الأعداء وممارسة صفة العفو والتجاوز عن إساءاتهم:

ويظهر ذلك مما رواه المؤرخون من أنه ولي هشام بن إسماعيل المخزومي المدينة، وأنال علي بن الحسين عليه السلام من الأذى والمكروه عظيمًا، ثم عزله الوليد بعد ذلك وأمر أن يوقف للناس، فلم يكن أخوف

(١) جهاد الإمام السجاد عليه السلام: ١٢٨ - ١٣٥.

من أحد [كخوفه] من علي بن الحسين عليه السلام لما ناله منه، أن يرفع ذلك عليه ويقول فيه ويشكوه.

ولكن الإمام عليه السلام لم يقل فيه شيئا، بل ونهى خاصته وأهل بيته، وكل من سمع له، من القول فيه بسوء.

ثم أرسل إليه وهو واقف عند دار مروان: انظر ما أعجزك من مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك، وطب نفسا منا، ومن كل من يطيعنا.

فتنادى هشام - وهو قائم - بأعلى صوته: الله أعلم حيث يجعل رسالته<sup>(١)</sup>.

وعقد الشيخ علي الكوراني العاملي في كتابه: «جواهر التاريخ» فصلا خاصا يبين فيه علاقات الإمام مع شخصيات المجتمع ورجال الدولة<sup>(٢)</sup>، انتخبنا منه ما يناسب المقام، ومما قال حفظه الله:

### ١ - علاقته مع العبَّاد والمتصوِّفين:

كان للإمام عليه السلام علاقات وثيقة بعدد كبير من علماء السلطة وشيوخ المتصوفة على اختلاف مشاربهم ومسابرهم، كالشلي، وابن المبارك، ومالك بن دينار، وثابت البناني، وصالح المري، وعتبة الغلام، وحبيب الفارسي، وصالح الأحمي، ورابعة العدوية، وسعدانة، وجعفر بن سليمان، والحسن البصري وغيرهم.. وله معهم قصص ومواعظ بليغة.

وله حديث مشهور في معيار الصدق والزيف في طالب العلم والعباد، أوله: (إذا رأيتم الرجل قد حَسَنَ سَنَتَهُ وَهَذَبَهُ، وَتَمَاوَتْ فِي

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣١٠.

(٢) جواهر التاريخ، للشيخ علي الكوراني العاملي ٤: ١٤٨ - ١٨٩.



منطقه، وتخاصع في حركاته، فرويداً لا يفرئكم، فما أكثر من يُعجزه تناول الدنيا وركوب المحرام منها لضعف نيته ومهاتته وجبن قلبه، فنصب الدين فتحاً لها! (الإحتجاج ٢: ٥٣).

وكان هؤلاء المتصوفة يفتخرون بصداقته ﷺ والرواية عنه، بل بمجرد رؤيتهم له، ويتقلون مواظبه وأدعيته ومعجزاته.

وكان بعضهم يناقشه لكنه يفتتح بكلامه: (لقبه عباد البصري في طريق مكة فقال: تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحاج ولبيه و: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَشَدِيدُ مِنَ التَّوْبَاتِ أَنْفُسُهُمْ وَأَمْرُهُمْ...﴾، الآية. فقال ﷺ: إقرأ ما بعدها: ﴿الْكَبِيرَ الْكَبِيرَ لِلتَّيْبُونَ الْكَبِيرُونَ الرَّحِيمُونَ الْكَبِيرُونَ الْأَمِيرُونَ بِالْمَشْرِفِ وَالْكَافُونَ عَنِ التَّحَكُّرِ وَالْكَافُونَ بِالدُّورِ اللَّهُ...﴾، الآية. ثم قال: إذا ظهر هؤلاء ثم نؤثر على الجهاد شيئاً! (مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٨).

على أن الجهاد في مفهوم الإمام ﷺ أعم من الفتوحات والقتال، ففي التهذيب ٦: ١٦٧، أن شخصاً قال: ما كنت أرى أن الشهيد إلا من قتل في سبيل الله. فقال علي بن الحسين ﷺ: إن الشهداء إذن قليل! ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآقِهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهِيدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

ثم قال: هذه لنا ولشيعتنا. انتهى. مضافاً إلى أن الجهاد الذي يدعو إليه هذا الصوفي كان المرابطة فقط، فقد أوقف عبد الملك حركة الفتوحات وكان يعطي الجزية للروم كل يوم ألف دينار! (عمدة القارئ ١٥: ٩٧).

كما كان الإمام ﷺ حريصاً على إعطاء قيمة للمعبادة والتعبد لله تعالى، حتى لو كان من متصوفين، فقد (مرّ برجل وهو قاعد على باب رجل فقال له: ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ فقال: البلاء. قال: قم فأرشدك إلى باب خير من بابه وإلى رب خير لك منه! فأخذ

بيده حتى انتهى به إلى مسجد رسول الله ﷺ ثم قال: استقبل القبلة وصل ركعتين، ثم ارفع يديك إلى الله عز وجل فائس عليه وصل على رسوله ﷺ ثم ادع بآخر الحشر، وست آيات من أول الحديد، وبالأيتين في آل عمران، ثم سل الله سبحانه، فإنك لا تسأل شيئاً إلا أعطاك. (دعوات الراوندي: ٥٤) (١).

وقال الذهبي في سيره ٤: ٣٩٣: (عن طاووس: سمعت علي بن الحسين وهو ساجد في الحجر يقول: عُبِّدُكَ بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك. قال: فوالله ما دعوته بها في كرب قط إلا كشف عني). انتهى.

وله ﷺ حديث مع الشبلي فيما ينبغي أن يكون عليه الحاج، جاء فيه: (استقبله الشبلي فقال ﷺ: حججيت يا شبلي؟ قال: نعم يا ابن رسول الله، فقال ﷺ: أنزلت الميقات وتجردت عن مخيط الثياب واغتسلت؟ قال: نعم، قال ﷺ: فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة؟ قال: لا، قال ﷺ: فحين تجردت عن مخيط ثيابك نويت أنك تجردت من الرياء والتفاخر والدخول في الشبهات؟ قال: لا، قال ﷺ: فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟ قال: لا، قال ﷺ: فما نزلت الميقات ولا تجردت عن مخيط الثياب ولا اغتسلت؟

ثم قال ﷺ: تنظفت وأحرمت وعقدت بالحج؟ قال: نعم،

(١) قال الشيخ الكراني: من المؤكد أن الله تعالى يستجيب دعاء المريد في حالة اضطراره وانقطاعه، يضاف إليه خصوصية الدعاء الذي علمه إياه الإمام ﷺ، بل المرجح عندي أن سر الاستجابة أن الإمام ﷺ أمره بطلب الدعاء. (جواهر التاريخ ٤: ١٤٦).

قال عليه السلام: «فحين تنظفت وأحرمت وعقدت الحج نويت أنك تنظفت بنورة التوبة الخالصة لله تعالى؟ قال: لا، قال عليه السلام: «فحين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل معرم حرمه الله عز وجل؟ قال: لا، قال عليه السلام: «فحين عقدت الحج نويت أنك قد حللت كل عقد لغير الله؟ قال: لا، قال له عليه السلام: «ما تنظفت ولا أحرمت ولا عقدت الحج؟ ثم قال له عليه السلام: أدخلت الميقات وصلبت ركني الإحرام وليت... الخ»، (التحفة السنية للجزائري - مخطوط - : ١٨٤).

## ٢ - علاقته مع عبدالله بن عمر:

لم أجد الكثير في علاقته عليه السلام مع عبدالله بن عمر، إلا ما رواه في تهذيب الكمال ٢٠ : ٣٨٩: (وقال عبدالله بن عمر، عن الزهري: حدثني علي بن حسين بحديث فلما فرغت قال: أحسنت بارك الله فيك هكذا حدثناه. قلت: ما أراني إلا حدثتك بحديث أنت أعلم به مني. قال: لا تقل ذلك، فليس من العلم ما لا يعرف، إنما العلم ما عرف وتواطأت عليه الألسن). تاريخ دمشق ٤١ : ٣٧٦، وتهذيب الكمال ٢٠ : ٣٨٨، والسيوطي في تدريب الراوي ٢ : ١٨٢.

وهو يدل على إعجاب عبدالله بن عمر بقول الإمام عليه السلام وتعريفه للعلم بالحديث بأنه ما اشتهر وعُرف وانتفت ألسن عدد من الرواة على نقله، ولا عبرة برواية الراوي التي لا يتابعه عليها أحد. وهو يكشف عن وجود رواة شاذين ينشرون أحاديث مكشوبة، وأكثرهم موظفون عند السلطة.

كما روى ابن عمر عن الإمام زين العابدين عليه السلام بعض الأحاديث بواسطة الزهري، منها ما في شعب الإيمان ٧ : ٤١٥، بسنده عن:

(عبدالله بن عمر العمري عن ابن شهاب عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي أن رسول الله ﷺ قال: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).  
ومستند أحمد ٦: ٣٩١، عن عبيد الله بن عمر، والطبراني في الصغير ٢: ١١١، وفي علل الدارقطني ٣: ١٠٨، تفاوت الاسم بين عبدالله وعبيد الله والعمري.

وروى في مناقب آل أبي طالب (٣: ٢٨١)، أن عبدالله بن عمر دخل على زين العابدين عليه السلام وقال: يا ابن الحسين، أنت الذي تقول: إن يونس بن متى إنما لقي من الحوت ما لقي لأنه عرضت عليه ولاية جدي فتوقف عندها؟ قال: بلى... وذكر أنه طلب منه آية، فأخذه بطريق الممجة إلى البحر وكلمه الحوت ثم قال له الإمام عليه السلام: إرجع إليها الحوت إلى وكرك، واستوى الماء). (نوار المعجزات: ١١٧).

### ٣ - علاقته مع يزيد بن معاوية:

كان الخليفة الأموي دائماً يحرم على التظاهر بحب أهل البيت عليه السلام ويقول إنه وبني هاشم أبناء عم، لأنهم جميعاً من بني عبد مناف، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يحفظ معهم هذا الظاهر، بعكس علاقته مع عبدالله بن الزبير

وأوصى يزيد مسلم بن عقبة قائد حملته على مدينة الرسول ﷺ بأن يأخذ البيعة من الأنصار على أنهم عبيد أرقاء ليزيد يبيعهم إن شاء! إلا علي بن الحسين عليه السلام فآخذ من البيعة على أنه أخو يزيد وابن عمه! وقد تقدم دور الإمام عليه السلام في مواجهة الطاغية يزيد.

#### ٤ - علاقته مع معاوية بن يزيد:

أما علاقة الإمام عليه السلام بمعاوية الثاني بن يزيد رحمه الله، فلم أجد فيها نصاً، وقد ورد ذكر أخيه الأصغر خالد بن يزيد لما أمر يزيد جلوازه أن يقتل الإمام عليه السلام فشاهد خالد معجزة هلاك الجلواز، فأمره يزيد بكتمان ما حدث!

كذلك ورد ذكر خالد في مجلس يزيد عندما دعا الإمام عليه السلام إلى الغداء وكان معه عمرو بن الإمام الحسن عليه السلام فطلب منه يزيد أن يصارع ولده خالداً.

لكن لم أجد ذكراً لمعاوية الثاني مع الإمام عليه السلام، مع أنه كان في العشرين من عمره، وكان شيعياً مؤمناً بإمامة العترة عليهم السلام، فعندما قتله بنو أمية وقبضوا على أستاذه عمر المقصوص قالوا له: (أنت علّمت هذا ولقتة إياه وصددته عن الخلافة وزوّجت له حبّ علي وأولاده وحملتك على ما وسّنا به من الظلم.. فقال: والله ما فعلته ولكنه مجبورٌ ومطبورٌ على حبّ علي) (جواهر المطالب ٢: ٢٦١).

وتقدم أن معاوية الثاني رحمه الله عمل كل ما بوسعه وضحى بملكه ودمه رحمه الله من أجل أن يخوّل بنو أمية بإعطاء الخلافة إلى صاحبها الشرعي، وكان يقصد الإمام زين العابدين عليه السلام، فلا يبعد أن تكون علاقته بالإمام عليه السلام من أيام أسره في دمشق، وبواسطة أستاذه عمر المقصوص رحمه الله الذي هو من تلاميذ أبي ذر رحمه الله، لكنها كانت علاقة في غاية السرية، خوفاً من بطش يزيد!

## ٥ - علاقته مع مروان بن الحكم:

تقدمت جوانب عن علاقة الإمام عليه السلام بمروان وابنه عبد الملك، ومواجهته لظفائهما وخططهما ضد الإسلام، وأن عبد الملك قد قُتِلَ في قتل الإمام عليه السلام خوفاً على سلطانه! وقد كانت علاقتهما مع الإمام عليه السلام إيجابية أحياناً فكانا يمدحانه ويظهران مودته، بل يتقربان إليه!

١ - كان مروان يحدث عن دفاع جده علي عليه السلام عن عثمان، فقد روى بسند صحيح أنه قال له: (ما كان في القوم أحدٌ أدفع عن صاحبنا من صاحبكم يعني علياً عن عثمان) قال قلت: فما لكم تسبون علي المنابر؟ قال: لا يستقيم الأمر (إلا بذلك). (تاريخ النعماني ٣: ٤٦٠، وتاريخ دمشق ٤٢: ٤٢٨، ٨، وأنساب الأشراف: ١٨٤، والصواعق المحرقة ١: ١٦٣، وشرح النهج ١٣: ٢٢٠، وعثمانية الجاحظ: ٢٨٣، وسقط النجوم: ٧٣٧، وقالوا: إسناده قوي).

وفسر عبد العزيز بن مروان قول أبيه: إن الأمويين لا يستقيم لهم أمرٌ إلا بسب علي عليه السلام ولعنه علي المنابر! فروى عنه ابنه عمر كما في أنساب الأشراف: ٢٠٦٣: (نشأت علي بغض علي لا أعرف غيره، وكان أبي يخطب فإذا ذكر علياً ونال منه تلجلج! فقلت: يا أبا إنك تمضي في خطبتك، فإذا أتيت ذكر علي عرفتك منك تقصيراً! قال: أفضلت لذلك؟ قلت: نعم. قال: يا بني إن الذين من حولنا لو نُعِلُّهُمْ من حال علي ما نعلم، تفرّقوا عنا).

٢ - وكان يحدث أن جيش عائشة مدينون بحياتهم لعفو علي عليه السلام: قال مروان للإمام عليه السلام: (ما رأيت أحداً أكرم غلبةً من أبيك! ما هو إلا

أَنْ وَلَيْتَا يَوْمَ الْجَمَلِ فَنَادَى مُنَادِيهِ : لَا يُقْتَلُ مُدْبِرٌ وَلَا يُدْفَقُ عَلَى جَرِيحٍ .  
(الأم للشافعي ٤ : ٢٢٩ ، ومجموع النووي ١٩ : ٢٠٢ ، وسنن البيهقي ٨ : ١٨١).

وفي رواية البلاذري في أنساب الأشراف : ٢٦٢ : (انهزموا ، فقام صائح لعلي فقال : لَا يُقْتَلُ مُدْبِرٌ وَلَا يُدْفَقُ عَلَى جَرِيحٍ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ طَرَحَ السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ . قَالَ : فَدَخَلْتُ دَاراً ثُمَّ أُرْسِلْتُ إِلَى حَسَنِ وَحُسَيْنٍ وَابْنِ جَعْفَرٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ فَكَلِمُوهُ ، فَقَالَ : هُوَ آمِنٌ فَلْيَتَوَجَّهْ حَيْثُمَا شَاءَ . فَقُلْتُ : لَا تَطِيبْ نَفْسِي حَتَّى أَبَايَعَهُ ، قَالَ : فَبَايَعْتَهُ ثُمَّ قَالَ : إِذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ) . لَكِنَّهُ ذَكَرَ فِي هَامِشِهِ مِنْ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ أَنَّ مِرْوَانَ اسْتَشْفَعَ بِالْحَسَنِينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا فَكَلِمَاءُ نَعَفَا عَنْهُ فَقَالَا لَهُ : (بَايَعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَوْ لَمْ يَبَايَعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عِثْمَانَ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ ، إِنَّهَا كَفَّ يَهُودِيَةً! لَوْ بَايَعْنِي بِيَدِهِ لَقَدَّرَ بِسَيْتِهِ! أَمَا إِنْ لَهُ امْرَأَةٌ كَلْعَقَةُ الْكَلْبِ أَنْفَهُ وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةِ ، وَسَتَلْقَى الْأُمَّةَ مِنْهُ وَمَنْ وَلَدَهُ يَوْمَا أَحْمَر... يَحْمِلُ رَايَةَ ضَلَالَةٍ بَعْدَ مَا يَشِيبُ صَدْعَاهُ ، وَإِنْ لَهُ امْرَأَةٌ كَلْعَقَةُ الْكَلْبِ أَنْفَهُ.. الخ).

٣ - كما اعترف للإمام زين العابدين عليه السلام بأنه قتل طلحة في حرب الجمل!

قال الإمام زين العابدين عليه السلام : (قال لي مروان بن الحكم : لما رأيت الناس يوم الجمل قد كشفوا قلت : والله لأدركن ثاري ولأهوزن منه الآن! فرميت طلحة فاصبت نساءه ، فجعل الدم ينزف ، فرميت ثانياً فجاءت به ، فأخذوه حتى وضعوه تحت شجرة ، فبقي تحتها ينزف منه الدم حتى مات). (كتاب الجمل ، للعفيد : ٣٠٤).

٤ - روي له تحريض عائشة على قتل عثمان طمعاً بالخلافة لابن

عنها!

ففي شرح الأخبار ١ : ٣٤٢، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (أرسل إليّ سعيد بن عبد الملك بن مروان، فأتيته فأقبل يسألني. فرأيت رجلاً قد لقي أهل العلم وحادثهم، فإذا هو ليس في يده شيء من أمر عثمان إلا أنه يقول: خرجت عائشة تطلب بدمه. فقلت له: أي رجل كان فيكم مروان بن الحكم؟ فقال: ذاك سيدنا وأفضلنا. قلت: فأَيُّ رجل ترون علي بن الحسين؟ قال: صدوقاً مرضياً. قلت: فإني أشهد على علي بن الحسين أنه حدثني أنه سمع مروان بن الحكم يقول: انطلقت أنا وعبد الرحمان بن عوف إلى عائشة وهي تريد الحج وثمان قد حصر، فقلت لها: قد ترين أن هذا الرجل قد حُصر، فلو أقمت فنظرت في شأنه وأصلحت أمره! فقالت: قد غُرِبْتَ غرايري وأدريت ركائبِي وفرضت الحج على نفسي فلمست بالتي أقيم، فجهدنا عليها فأبت! فقممت من عندها وأنا أقول، وذكر بيتاً من شعر تمثل به، فقال: فقالت: أيها الرجل الممثل بالشعر إرجع، فرجعت فقالت: لعلك ترى أنني إنما قلت هذا الذي قلت وأنا أشك في عثمان! وددت والله أنه مخيط عليه في بعض غرايري هذه، حتى أكون التي أقذفه في اليم!

ثم ارتحلت حتى نزلت ماء يقال له: الصلصل، وبعث الناس عبدالله بن العباس على الموسم وثمان محصور، فمضى حتى نزل ذلك الماء فقيل لها: هذا ابن عباس قد بعث به الناس على الموسم، فأرسلت إليه فقالت: يا ابن عباس إن الله عز وجل أعطاك لساناً وعلماً، فأناشدك الله أن تخذل الناس عن قتل هذا الطاغية عثمان غداً! ثم انطلقت إلى مكة، فلما أن قضت مسكها وانقضى أمر الموسم بلغها أن عثمان قد



قتل وأن طلحة بن عبيد الله يبيع، قالت: إيهأ ذا الإصبع، فلما بلغها بعد ذلك أن علياً يبيع قالت: وددت أن هذه - تعني: السماء، وأشارت إليها - وقعت على هذه، وأشارت إلى الأرض!

قال أبو جعفر صلوات الله عليه: فهذا حديث مروان وسماهي إياه من علي بن الحسين! قال: فما خرجت من البيت حتى ترك سعيد بن عبد الملك ما كان في يديه من أمر عثمان). انتهى<sup>(١)</sup>.

٥ - وكان مروان يحدث الإمام عن جراءة جده علي عليه السلام على عثمان!

(١) قال الشيخ الكوراني: سعيد بن عبد الملك بن مروان، وفي بعض المصادر: سعد، هذه الله على يد الإمام الباقر عليه السلام فكان من شيعته الخُص، وقد ورد مدحه في مصادر الطرفين، قال ابن حبان في ثقاته: ٦: ٣٦٩: (روى عنه هشام بن عروة وأهل المدينة وكان يقال له سعيد الخير، لم يملك مملك (عورته فيما كانوا فيه).

وفي تاريخ دمشق: ٢٦: ٢١٣: (وكان سعيد مثالاً وولي الغزو في خلافة أخيه هشام بن عبد الملك، وولي فلسطين للوليد بن يزيد، وكان حسن السيرة وكانت له بهتق أملاك، منها: محلة الرائب... بلغني أن سعيداً بقي إلى حين دها يزيد بن الوليد التاقص إلى نفسه في سنة ست وعشرين ومائة).

وفي تاريخ اللهي: ٨: ١١٤: (وكان ديناً مثالاً، ولي الغزو زمن أخيه هشام، وله بالموصل مسجد ودار، مات في حدود سنة ست وعشرين ومائة). ونحوه وفي الصغد: ١٥: ١٥٠، والتجويد الزاهرة: ١: ٣٢٢، والنسخة اللطيفة: ١: ٤٠٢.

وفي الاختصاص للسفيد: ٨٨: (عن أبي حمزة قال: دخل سعد بن عبد الملك وكان أبو جعفر عليه السلام يسميه: سعد الخير، وهو من ولد عبد العزيز بن مروان، حل أبي جعفر عليه السلام فينا يشج كما تشج النساء قال: فقال له أبو جعفر عليه السلام: ما ييكك يا سعد؟ قال: وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن؟ فقال له: لست منهم، أنت أموي منا أهل البيت، أما سمعت قول الله عز وجل يحكي عن إبراهيم: (فمن تبعني فإنه مني). وذكر من مصادر في عاشه: الكشي: ٣٦٥، والمبرون والمفرائج، وكشف الثمة، عن دلائل الحميري.

وروى في الكافي: ٨: ٥٢، رسائل بليغة متبادلة بينه وبين الإمام الباقر عليه السلام تدل على إيمانه ومقامه، سنوردها إن شاء الله في سيرة الإمام الباقر عليه السلام، لأنها تضمن موقفه عليه السلام من الاعتراف الكبير بالإسلام، الذي ارتكبه أهل المقيقة. (جواهر التاريخ ١: ١٥٢).

ففي النسائي ٢: ٣٤٥: (سمعت علي بن الحسين يحدث عن مروان: أن عثمان نهى عن المتعة وأن يجمع الرجل بين الحج والعمرة، فقال علي: ليبيك بحجة وعمرة معاً، فقال عثمان: أتفعلهما وأنا أنهي عنهما؟ فقال علي: لم أكن لأدع سنة رسول الله ﷺ ولقول أحد من الناس). (النسائي ٢: ٣٤٥، وأبي يعلى ١: ٤٥٣، والإستذكار ٤: ٦٥، وابن شبة ٣: ١٠٤٣، وتذكرة الذهبي ٢: ٧٨٦، ونحوه في سيره ١٤: ٢٩٤، وتاريخه ٢٦: ٤٤٥، وقال: إسناده صحيح وهو شيء غريب، إذ فيه رواية علي بن الحسين عن مروان، وفيه تصويب مروان اجتهد علي على اجتهد عثمان مع كون مروان عثمانياً. وعنه طبقات الشافعية ٣: ٦٨).

٦ - بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام وعودة الإمام زين العابدين عليه السلام إلى المدينة عرض عليه مروان ستة آلاف دينار قرضاً، ذكر إن أباه الحسين عليه السلام أرادها من:

(عن جعفر بن محمد قال: لما شَخَّصَ حسين إلى مكة سأل مروان ستة آلاف دينار فلم يسلفه، فلم يزل في نفس مروان، فلما قتل حسين ورجع علي بن حسين إلى المدينة لقيه مروان فقال: إن أبا عبدالله رحمه الله كان سألني سَلَفَ ستة آلاف دينار قمنته ولم يزل في نفسي، وقد قدمت منكوباً ولك حوائج فخذها فاستغن بها صلة أوسلغاً! قال: ما لي بها حاجة. قال: أقمت عليك. قال: آخذها سلفاً، فبعث بها إليه مروان فقال علي: أخذتها لأعمر بها دور بني عقيل، وكانت دور آل أبي طالب حُرقت بمَرْزَدِ القُلَى (محلّة في المدينة) فلم يحركها وبقي المال في خرائطه (الخريطة كالمطبعة الجلدية) فلما قام عبد الملك سأل علياً عن المال فقال: عندنا، فقال عبد الملك: إن أبا عبد الملك عهد إلي أن لا

أقبض منك الحال فهو لك. قال: لا أريده وإنه لفي غرائطه. فقال بل هو صلة مني. فأخذته علي). (تاريخ دمشق ٥٧: ٢٤٧)<sup>(١)</sup>.

قال البلاذري في أنساب الأشراف: ٨١٩: (ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين كثر التواضع والصوارخ عليه، واشتدت الراعية في دور بني هاشم، فقال عمرو بن سعيد الأشدق: واهية بواهية عثمان، وقال مروان حين سمع ذلك:

عَجَّتْ نِسَاءُ بَنِي زَيْدٍ حُجَّةً كَمَجْجِجٍ نَسُونَا هَذَا الْأَرْبَ  
وقال عمرو بن سعيد: وددت والله أن أمير المؤمنين لم يبعث إلينا برأسه. فقال مروان: بش ما قلت، هاته:

يا حَبِذا بَرْدُكَ فِي الْيَدَيْنِ وَلَوْ أَنَّكَ الْأَحْمَرُ فِي الْخَدَّيْنِ! انتهى.

وروي أن مروان أنشد:

(ضَرِبْتُ قَوْسَهُ فِيهِمْ ضَرْبَةً أَثْبَتْتُ أَوْنَادَ مَلِكٍ لَهَا مُسْتَقَرٌّ)  
(نهاية الإرب: ٤٥٣٤)<sup>(٢)</sup>.

(١) قال الشيخ الكوراني: ذكر المحققون والمؤرخون أنه لما وصل خبر قتل الحسين عليه السلام أهل المدينة صُجَّةً واحدة غضباً على يزيد وحزناً، لكن والي المدينة الأموي سعيد بن العاص يادر فأحرق بعض دور آل أبي طالب في منطقة مَرْزِدَ الثَّلَی. فقيل للإمام عليه السلام الغرض من مروان لبني تلك الدور. (جواهر التاريخ ٤: ١٥٤).

(٢) وقال القاضي النعمان المغربي في شرح الأغيار، لما جئ برأس الحسين إلى والي المدينة كان عنده مروان بن الحكم، قال مروان اللعين متثلاً:

عَجَّتْ نِسَاءُ بَنِي زَيْدٍ حُجَّةً كَمَجْجِجٍ نَسُونَا هَذَا الْأَرْبَ  
عن اللعين مجج نساء بني عبد الشمس لمن قتل منهم يوم بدر.

فأما ما أقاموه ظاهراً من أمر عثمان، فمروان اللعين فيمن ألب عليه وثقت بمصابه، وهو القائل:

لَمَّا أَتَاهُ نَعْبَهُ فَمَنَّهُ مِنْ كَسَرِ ضُلْعَيْهِ كَسَرِ جَنْبِهِ

سولكن دخول بني أمية بسما الجاهلية التي طلبوا بها رسول الله في حتره وأهل بيته.

ولما قال ذلك مروان اللعين، قال عمرو بن سعيد - عامل المدينة يومئذ -:

لوددت والله أن أمير المؤمنين لم يكن يحث إلينا برأس الحسين.

فقال له مروان: اسكت لا أم لك، وقل كما قال الأول:

ضربوا رأس شريز ضريبة اشتت أوتاه ملك فاستسر

ثم أتى برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد، فأعرض بوجهه عنه واستعظم أمره، فقال مروان

اللعين لحامل الرأس: عات. فدخله إليه، فأخذه بيده، وقال:

يا حبيبا برئك في السهلين ولونتك الأحمر في الخلفين

وهذه العذارة المحضة الأصيلة، وطلب القديم من ثار الجاهلية، لم يسطع مروان اللعين أن

يحتج به، وبمته السور يفتل الحسين صلوات الله عليه، على أن أخذه بيده، وقال ما قاله.

وقد كان علي عليه السلام يوم الجمل، فمّن عليه وأطلقه، فما رأى ذلك ولا حفظه بل قد شاور

معاوية اللعين في نبش قبر علي صلوات الله عليه لما غلب على الأمر، فتمثل بقول الأول:

أجنوا أخاهم في الحضر ووسدوا أخاهم والقوا حاصرا لم يوسد

يعرضه بذلك على نبش قبر علي عليه السلام، ويذكره قتلى بدر من بني عبد الشمس، ومن قتل

منهم على الكفر غير موسى ولا مدفون.

فأما عثمان لو كان أراد، فقد كان عثمان، فهذا ما لا ستر عليه ولا خفاء به من تنكبه

دخول الجاهلية. ثم استشار معاوية في نبش قبر علي عليه السلام، فاجاب بن حامر بن كرز:

فقال: ما أحب أن تعلم مكان قبره، ولا أن تسأل عنه، ولا أحب أن تكون هذه العقوبة

بيننا وبين قوما.

فقبل معاوية من جوابه ما أشار به عليه، وأعرض عن رأي مروان اللعين فيما أشار به من

نبش قبر علي عليه السلام الذي استحياء ومن عليه، وأطلقه من الأمر، ولكن غلب على اللعين

المنفذ على رسول الله صلى الله عليه وآله لما قتل من أهل بيته على الكفر بالله والشرك به ولمنه إزاء، ولأن

علي عليه السلام أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لما أراد نفيه بقره باذنه. وقد ذكرنا فيما تقدم خبره في

ذلك وما كان منه. (شرح الأخبار ٣: ١٦٠ - ١٦٢). وقال ابن أبي الحديد بعد قوله في

الحكم: (وأما مروان ابنه فأعجب عقيلة وأعظم إلبادا وكفرا، وهو الذي خطب يوم وصل

إليه رأس الحسين عليه السلام إلى المدينة، وهو يومئذ أميرها، وقد حمل الرأس على يده فقال:

يا حبيبا برئك في السهلين وحصرة نجبري على الخلفين

كأنما بت بمحشئين

ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد يوم بيوم بدر. (ابن أبي الحديد: شرح نهج

البلاغة ٤: ٧١).

(بعد خروج الحسين أمر عمرو بن سعيد بن العاص صاحب شرطته على المدينة، أن يهدم دور بني هاشم، ويبلغ منهم كل مبلغ). (الأغاني ١٥٥ : ٤).

وولّى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوام، وأمره يهدم دور بني هاشم وآل الزبير، ففعل! (الأغاني ٥ : ٨٢).

٧ - وعندما طرد أهل المدينة مروان وبني أمية، قبل الإمام عليه السلام أن يحمي عائلة مروان فجعلهم مع عائلته في بيت.

قال الطبري ٤ : ٣٧٦ : (عن محمد بن عمر قال: لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة كلّم مروان بن الحكم ابن عمر أن يُقَيِّبَ أهله عنده. فأبى ابن عمر أن يفعل! وكلّم علي بن الحسين وقال: يا أبا الحسن إن لي رحمًا وحرمي تكون مع حرمك، فقال: أفعل. فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم ببنيح، وكان مروان شاكراً لعلي بن الحسين مع صداقة كانت بينهما قديمة)<sup>(١)</sup>.

وفي تاريخ الطبري، ما نصه: وقد كان علي بن الحسين حين

(١) إن ما نقله الطبري في قول بعض رواياته من قوله: «وكان مروان شاكراً لعلي بن الحسين مع صداقة كانت بينهما قديمة» لا يكاد يصح، فعداوة مروان لعلي بن الحسين وأهل بيته لا تحتاج إلى بيان. لمش كانت هذه الصداقة القديمة بين مروان وعلي بن الحسين؟ يوم خرج للحرب جده علي بن أبي طالب مع أهل الجمل أم يوم حاربه بصفين مع معاوية أم يوم قال مروان للوليد في حق الحسين: إنه لا يبايع ولو كنت مكانك لضربت عنقه أم يوم قال له لئن فارقت الحسين الساعة ولم يبايع لا فدت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتل بينكم وبينه ولكن احبس الرجل فلا يخرج حتى يبايع أو تضرب عنقه وقول الحسين له واني عليك يا ابن الزرقاء أنت تأمر بضرب عني! كذبت والله ولولمت، وقول مروان لما جئ برأس الحسين عليه السلام :

أخرجت بنو أمية منع ثقل مروان وامرأته وآواها ثم خرجت إلى الطائف فهي أم أبان ابنة عثمان بن عفان فبعت ابنه عبدالله معها<sup>(١)</sup>.

٨ - وبعد اجتياح جيش يزيد المدينة كافأ مروان الإمام عليه السلام فحرض على قتله!

عندما تقرأ أن مرواناً دخل مع الإمام عليه السلام على قائد جيش يزيد بعد احتلاله المدينة، تتصور أن مرواناً قدّر جميل الإمام زين العابدين عليه السلام لأنه حمى له عائلته عندما طرده أهل المدينة، وأن موقفه كان لمصلحة الإمام عليه السلام، حتى تتفاجأ أنه كان في غاية الخسة! فكان يحرض الطاغية على قتل الإمام عليه السلام ولما رأى أنه احترمه وأخبره أن يزيداً أوصاه به، غير كلامه وأخذ يمدح الإمام عليه السلام!

قال القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار ٣: ٢٧٤: (فلما قدم مسرف إلى المدينة أرسل إلى علي بن الحسين وعنده مروان بن الحكم،

يا حبذا بروك في السنين ولونك الأحمر في الحنين  
كأنما حلف بوردشين شقيت نفسي من دم الحسين  
والله لكأنني أنظر إلى أيام عثمان

أكل هذا من أسباب الصداقة بين مروان وعلي بن الحسين! كلا ولكنهم أهل بيت طهروا على مكارم الأخلاق وجبلوا على الإحسان لمن أساء إليهم والنفو والصفح عن أعدائهم سجايا خصهم الله بها وطيبهم عليها وميزهم بها عن سائر الخلق وأخرجهم بها عن مجرى العادات.

وهذا من مكارم الأخلاق والمجازاة على الإساءة بالإحسان ولا عجب إذا جاء الشيء من منتهى:

ملكنا فكان الصفو منا سجية ولما ملكتم سال بالندم أبطح  
وحسبكم هذا الشفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٧٩. وإنما أرسل الإمام زين العابدين ولده عبدالله معها إلى الطائف لمحاظتها عليها، بقي معها حتى انتهت الوقتة.

وقد علم ما ذكره من وعيده فجعل يغويه به. فلما دخل عليه قام إليه فاعتنقه وقبل رأسه وأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه بوجهه ليماله عن حاله وأحوال أهله، فلما رأى ذلك مروان جعل يشفي علي بن الحسين ويذكر فضله! فقال مسرف: ذهني عن كلامك! فإني إنما فعلت ما فعلت من بره وإكرامه وقضاء حوائجه لما قد أمرني به أمير المؤمنين. ثم قال لعلي بن الحسين: إنما جعلت الاجتماع معك لما سبق إليك عني لثلاث تستوحش مني، وأنا أحب الاجتماع معك والأنس بك والتبرك بقربك والنظر فيما تحب من صلتك وبرك، وأنا على ذلك، لكنني أخاف أن يستوحش أهلك إن طال عندي مقامك، فأنصرف إليهم ليسكنوا ويعلموا ويعلم الناس ما لك عند أمير المؤمنين وعندي من الجميل. ثم قال: قدموا دابته. قالوا: ما له دابة! قال مسرف: قدموا له دابتي. فقدموها له بين يديه وعزم عليه أن يركبها فركب وأنصرف إلى أهله، وهم والناس ينظرون ما يكون منه فيه).

٩ - وقد استغل الأمويون وأتباعهم العلاقة الحسنة للإمام عليه السلام مع مروان، فزعم ابن كثير في النهاية ٨ : ٢٨٣، و ٩ : ١٢٢، أن الإمام عليه السلام كان فقيراً فأعطاه مروان مالاً وشجعه على تكثير نسله، لأنه لم يبق غيره من ذرية الحسين عليه السلام، وأقرضه مئة ألف درهم ليشتري جوارى فيرزق منهن أولاداً، وأوصى ابنه أن لا يأخذها منه بعد موته، فتزوج الإمام عليه السلام وولد له أولاد، فكل أولاده من أموال مروان!

لاحظ قوله في (٩ : ١٢٢): (فقال له مروان بن الحكم: لو اتخذت السراي يكثر أولادك، فقال: ليس لي ما أنسرى به، فأقرضه مائة ألف فأنسرى له السراي فولدت له وكثر نسله، ثم لما مرض مروان أوصى

أن لا يؤخذ من علي بن الحسين شيء مما كان أقرضه، فجميع الحسينيين من نسله رحمه الله). ونحوه تاريخ الذهبي ٦: ٤٣٥، وتاريخ دمشق ٤١: ٣٧٤، وتهذيب الكمال ٢٠: ٣٨٨.

يقولون لك بهذا الكذب: إن السادة الحسينيين كلهم من أموال مروان! فهم مدينون بوجودهم لأسباطهم بني أمية العظماء!

## ٦ - علاقته مع عبد الملك بن مروان:

كان عبد الملك بن مروان معجباً بالإمام زين العابدين عليه السلام مغرمًا به، يعتقد فيه أنه ولي الله وحجته، فقد رأى منه معجزات، وطلب منه أن يسكن عنده في الشام أو يكثر زيارته فأبى. (الخراج ١: ٢٥٥) وأراد أن يناسبه ويتزوج ابنته أو أخته فأبى. (مناقب آل أبي طالب ٢: ٤٢) وعندما كان يأتيه الزهري من المدينة بسأله عبد الملك عن علي بن الحسين؟ (تاريخ دمشق ٤١: ٣٧٢).

قال الزهري: (دخلت مع علي بن الحسين على عبد الملك بن مروان، قال فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين فقال: يا أبا محمد لقد بان عليك الإجهاد ولقد سبق لك من الله الحمى وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وقريب النسب وكيد السبب، وإنك ل ذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عسرك، ولقد أوتيت من العلم والفضل والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك، وأقبل بشي عليه ويطربه. قال فقال علي بن الحسين: كل ما ذكرته ووصفته من فضل الله وتأيدته وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم؟ إلى أن قال: والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتي على صدري لن أقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع



نعمه، التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ حد نعمة منها علي جميع حمد  
 العامدين، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل  
 ولا نهار ولا سر ولا علانية. لولا أن لأهلي علي حقاً ولسائر الناس من  
 خاصهم علي حقوقاً لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى  
 أذهبها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله، ثم لم أردهما  
 حتى يقضي الله علي نفسي وهو خير الحاكمين! ويكي، ويكي عبد  
 الملك). (فتح الأبواب، لابن طاوروس: ١٦٩).

فأي معرفة هذه؟ وأي حب لله هذا الذي يمكن صاحبه أن يرمي  
 بطرفه إلى السماء، ويرمي بقلبه إلى الله طول حياته، فيكون عمره تسيحةً  
 واحدة؟!

إنها قمة المعرفة والعبادة، لا ما يدعيه المذمّعون ويثقلقون به  
 ألسنتهم!

ومع كل ذلك، فقد طلب الحجاج حاكم العراق والحجاز من عبد  
 الملك أن يأذن له بقتل الإمام عليه السلام، لأنه الأب الروحي للمحركات  
 المناهضة للأمويين، فأجابه مروان بأنه لا يريد أن يسلبه الله ملكه كما  
 فعل ببني سفيان بقتلهم أباء الحسين صلوات الله عليه! وهو يدل على  
 نفوذ الإمام عليه السلام على الناس في العراق وغيره.

**طلب عبد الملك من الإمام درع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيفه:**

طلب منه عبد الملك سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودرعه، وسلط عليه  
 الحجاج فهدد الإمام عليه السلام بالقتل فأعطاه درعاً وسيفاً، وعندما جاء عبد  
 الملك للمعج اشتكى له غلظة الحجاج وظلمه، وأخذ منه ثمن السيف،

وشهادة بأنه وارث رسول الله ﷺ دون غيره. (الشاقب في المناقب: ٣٦٣).

وتدل رواية المناقب ٣: ٢٠٢، على أن عبد الملك كتب أولاً للإمام ﷺ مباشرة، فرفض. (بلغ عبد الملك أن سيف رسول الله ﷺ عند زين العابدين، فبعث يستوبه منه ويسأله الحاجة. فأبى عليه، فكتب إليه عبد الملك يهدده وأنه يقطع رزقه من بيت المال. فأجابه ﷺ: أما بعد، فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون والرزق من حيث لا يحسبون، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَثُورٍ﴾. فانظر أينما أولى بهذه الآية!). انتهى<sup>(١)</sup>.

فيظهر أن عبد الملك سمع بذلك فأراد أن يستولي على سيف النبي ﷺ ودرعه، فكتب إلى الإمام ﷺ. ولما رفض أن يعطيه سلط عليه الحجاج، فأعطاه الإمام ﷺ سيفاً ودرعاً آخر. وسيأتي ذكره في سيرة الإمام الباقر ﷺ إن شاء الله وادعاء الحسين أنه عندهم.

**اعتراض عبد الملك على الإمام ﷺ لأنه أعتق أمته وتزوجها:**

كان لعبد الملك بن مروان عينٌ بالمدينة (جاسوس) يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها، وإن علي بن الحسين (صلوات الله عليه) أعتق جارية ثم تزوجها فكتب العين إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى علي بن

(١) قال الشيخ الكوراني: لاحظ أن الإمام ﷺ لم يذكر أول الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، لأنه يشعر بمدحه نفسه في رسالته للطايفة. أما سيف النبي ﷺ ودرعه وقيصه الذي عليه منه في أحد، وثيقة مواريث الأنبياء ﷺ، فقد ثبت عندنا أن الله جمعها لديه ومنها جميع الكتب والصحف المنزلة، وروثها النبي بأمر ربه لمرثته الطاهرة ﷺ، فهي عندهم علامة الإمامة الربانية. (جواهر التاريخ ٤: ١٥٩).

الحسين: أما بعد فقد بلغني تزويجك مولانك وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت، والسلام.

فكتب إليه علي بن الحسين عليه السلام: أما بعد فقد بلغني كتابك تعفني بتزويجي مولاتي، وتزعم أنه كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر وأستنجه في الولد، وإنه ليس فوق رسول الله ﷺ مرتقى في مجد ولا مستزاد في كرم، وإنما كانت ملك يميني خرجت عن يدي بأمر التعمت فيه ثواب الله تعالى، ثم ارتجعتها على سنة نبيه ﷺ، ومن كان زكياً في دين الله فليس يخل به شيء من أمره، وقد رفع الله بالإسلام الخبيصة وتمم به النقيصة وأذهب اللوم، فلا لوم على امرئ مسلم، إنما اللوم لوم الجاهلية، والسلام.

فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان فقراء فقال: يا أمير المؤمنين لشد ما قهرَّ عليك علي بن الحسين! فقال: يا بني لا تقل ذلك فإنها السُّنُّ بني هاشم التي تفلُق الصُّخر وتُعرف من بحر! إن علي بن الحسين يا بني يرتفع من حيث يتضع الناس). (الكافي ٥: ٣٤٤، وصححنا فيه عبارة على نسخة أعيان الشيعة ١: ٥٣٨، وكتاب زهر الأداب للقيرواني: ٤٤، ومناقب آل أبي طالب ٣: ٣٠٠).

**عبد الملك يأمر واليه في المدينة بإذلال بني هاشم!**

من طغيان عبد الملك بن مروان أنه أراد إهانة آل علي وآل الزبير، وترسيخ العداوة بينهما، فبعث إلى واليه في المدينة أن يجبرهم على شتم أنفسهم، أو شتم بعضهم بعضاً عند منبر النبي ﷺ!

قال في تاريخ دمشق ١٣ : ٦٨ : (وكان عبد الملك بن مروان قد غضب غضباً له فكتب إلى هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، وهو عامله على المدينة، وكانت بنت هشام بن إسماعيل زوجة عبد الملك وأم ابنه هشام، فكتب إليه أن أقم آل علي يشتمون علي بن أبي طالب! وأقم آل عبدالله بن الزبير يشتمون عبدالله بن الزبير! فقدم كتابه على هشام فأبى آل علي وآل عبدالله بن الزبير وكتبوا وصاياهم فركبت أخت لهشام إليه وكانت جزلة عاقلة فقالت: يا هشام أتراك الذي يهلك عشيرته على يده! راجع أمير المؤمنين. قال: ما أنا بفاعل!

قالت: فإن كان لا بد من أمر فمر آل علي يشتمون آل الزبير ومر آل الزبير يشتمون آل علي! قال: هذه أفعالها، فاستبشر الناس بذلك وكانت أهون عليهم! وكان أول من أقيم إلى جانب المرمر الحسن بن الحسن، وكان رجلاً رقيق البشرة عليه يومئذ قميص كتان رقيقة، فقال له هشام: تكلم بسب آل الزبير فقال: إن لآل الزبير رحماً أبليها ببلالها وأربها بربابها، يا قوم مالي أَدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار؟! فقال هشام لحرسه عنده: إضر به. فضربه سوطاً واحداً من فوق قميصه فخلص إلى جلده فشرخه حتى سال دمه تحت قدمه في المرمر! (أي في مسجد النبي ﷺ عند المنبر الشريف)!

فقام أبو هاشم عبدالله بن محمد بن علي فقال: أنا دونه أكفيك أيها الأمير! فقال في آل الزبير وشتمهم!

ولم يحضر علي بن الحسين، كان مريضاً أو تمارض. ولم يحضر عامر بن عبدالله بن الزبير، فهم هشام أن يرسل إليه فقبل له إنه لا يفعل! أفنقله، فأمسك عنه! وحضر من آل الزبير من كفاه! وكان عامر يقول:

إن الله لم يرفع شيئاً فاستطاع الناس خفضه! أنظروا إلى ما يصنع بنو أمية، يخفضون علياً ويغرون بشتمه، وما يزيده الله بذلك إلا رفعة).

وروي القصة في بغية الطلب ٥: ٢٣٢١، وسمط النجوم: ١٣٦٨، ونسب قريش: ٣٠، وفيه: (فمضى القوم بعضهم إلى بعض آل علي إلى آل الزبير، وآل الزبير إلى آل علي فقالوا: إن هؤلاء يقيمونا غداً فيسب بعضنا بعضاً، فيشتغون بذلك، فإله والرحم! فقال آل الزبير لآل علي: أنتم تُقامون قبلنا فما قلتم قلنا مثله. فكان أول من أقیم حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب... فقام في الممرور وهشام بن إسماعيل المحزومي على المنبر وإلى لعبد الملك بن مروان، فقال: سُبَّ آل الزبير، فأبى... الخ). انتهى<sup>(١)</sup>.

**كان عبد الملك يلجأ إلى الإمام عليه السلام في أمور الدولة المهمة:**

فقد أرسل هرقل الروم إلى عبد الملك مهدداً الرسالة التالية: (أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة! ولأغزونك بجنود مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف، أو تؤدي الجزية! فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يبعث إلى زين العابدين يتوعده! ويكتب إليه ما يقول ففعل، فقال علي بن الحسين: إن لله لوحاً محفوظاً يلحظه في كل يوم ثلاثمائة لحظة ليس منها لحظة إلا يحيي فيها ويميت ويمز ويذل ويفعل ما يشاء، وإنني لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة! فكتب بها الحجاج إلى عبد

(١) قال الشيخ الكوراني: مع أن عبد الملك أعقل بني مروان، فقد غلبه حقد وقدرته، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أصحاب السكر أربعة: سكر الشباب، وسكر المال وسكر النوم، وسكر الملك). (تحف العقول: ١٢٤). (جواهر التاريخ ٤: ١٦٦).

الملك، فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم، فلما قرأه قال: ما خرج هذا منك ولا أنت كتبت به! ما خرج إلا من بيت نبوة! (مناقب ٣: ٢٩٩، وتاريخ دمشق ٥٤: ٣٣٢، والنهاية ٩: ٤٨، والحرية ٣: ١٧٦، وصفة الصفوة ٢: ٧٨، وربع الأبرار: ٢٢٧، والوافي بالوفيات ٤: ٧٦، وكنز العمال ١٤: ٢٩).

وفي تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٠٤: (وكتب ملك الروم إلى عبد الملك يشوعده، فضاق عليه الجواب، وكتب إلى الحجاج، وهو إذ ذاك على الحجاز: أن ابعت إلى علي بن الحسين فتوعده وتهده وأغلظ له ثم انظر ماذا يجيبك فاكذب به إلي! ففعل الحجاج ذلك فقال له علي بن الحسين: إن له في كل يوم ثلاثمائة وستين لحظة، وأرجو أن يكفينك في أول لحظة من لحظاته. وكتب بذلك إلى عبد الملك، فكتب به إلى صاحب الروم كتاباً فلما قرأه قال: ليس هذا من كلامه، هذا من كلام عترة نبوته). انتهى<sup>(١)</sup>.

(١) قال الشيخ الكوراني: من دعا عبد الملك أنه أراد حفظ علاقته مع الإمام عليه السلام فكتب إلى جلوازه الحجاج أن يهدمه، ليضيد من جوايه، فيكتب به إلى ملك الروم. وقد نسب الشاذ القصة تارة إلى محمد بن الحنفية كما في رواية ثانية في تاريخ دمشق: ٥٤: ٣٣٢، وتارة إلى عبيد الله بن الحسن، كما في رواية العقد الفريد: ٢٩٣، مع أنه رواها عنه في البحار: ٤٦: ١٣٢، عن الإمام زين العابدين عليه السلام. ولعل القصة التالية التي نسبها إلى خالد بن يزيد بن معاوية، كانت أيضاً مع الإمام زين العابدين عليه السلام، فعلمنا خرج عبد الرحمن بن الأشعث في إيران إلى عبد الملك، تخوف أن يكون هو صاحب ربايات خراسان التي أخبر النبي صلى الله عليه وآله أن زوال ملك الأمويين يكون على يدكم! قال الطبري: ٦: ٧٨ (أرسل عبد الملك إلى خالد بن يزيد فأخبره فقال: أما إذا كان الفتى من سبستان فليس عليك بأس، إنما كنا نتخوف لو كان من خراسان) انتهى. وإنما قلنا ذلك لأنه لم يهد من خالد بن يزيد خبرته بالأحاديث وأخبار المهدي الموعود عليه السلام. (جواهر التاريخ ٤: ١٦٣).

## الإمام عليه السلام يحلّ مشكلة النقد والعلامة الصناعية :

والمشكلة الأهم التي وقعت لعبد الملك وتقدّمت الإشارة إليها في قول ابن عسّاكر ٤١ : ٣٦٠ : (واستقدمه عبد الملك بن مروان في خلافته يستشير في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطراز الفراطيس).

فقد هدّد ملك الروم عبد الملك بسبب حذفه الطراز الرومي وهو كالختم أو (الماركة المسجلة) يطبع على الورق في صناعته وعلى بعض البضائع المهمة. وكان مكتوباً فيه اسم الأب والابن والروح القدس، فكتب عبد الملك بذلك : سورة التوحيد، فغضب ملك الروم وكتب إليه يهدده إن لم يرجع الطراز كما كان، وكتب له يهدده بأن ينقش على الدينار الرومي شتم النبي ﷺ، وكانت معاملة المسلمين ما زالت بالدينار الرومي.

وملك الروم هو ملك القسطنطينية، وهو لاوي بن فلنط الذي كان معاصراً لعبد الملك، كما في مروج الذهب : ٧٤٦، وتاريخ دمشق ٢٠ : ١٤٥، وغيرهما.

قال ابن عبد البر في التمهيد ٢٢ : ١٧٠ : (وفيها يعني سنة ست وسبعين أمر عبد الملك بن مروان أن تنقش الدنانير والدراهم... وزن الدنانير قبل أن تضرب كانت اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة وكانت العشرة وزن سبعة).

وقال غير الراقي : كانت الدنانير في الجاهلية وأول الإسلام بالشام وعند عرب الحجاز كلها رومية تضرب ببلاط الروم عليها صورة الملك واسم الذي ضربت في أيامه مكتوب بالرومية، ووزن كل دينار منها

مثقال كمثلنا هذا، وهو وزن درهم ودانقين ونصف وخمسة أسباع حبة. وكانت الدراهم بالعراق وأرض المشرق كلها كسروية عليها صورة كسرى واسمه فيها مكتوب بالفارسية، ووزن كل درهم منها مثقال، فكتب ملك الروم واسمه لاوي بن قلفظ إلى عبد الملك..).

وقال البلاذري في فتوح البلدان ١: ٢٨٣: (وكانت الأقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسب إلى الربوبية تعالى الله علواً كبيراً، وتجعل الصليب مكان اسم الله الرحمن الرحيم. فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتد عليه تغيير عبد الملك ما غيره). انتهى.

وقال الشهيد في الذكري: (المعتبر في الدنانير المثقال، وهو لم يختلف في الإسلام ولا قبله، وفي الدرهم ما استقر عليه في زمن بنى أمية، بإشارة زين العابدين ؑ بضم الدرهم البغلي إلى الطبري وقسمتهما نصفين، فصار الدرهم ستة دنانير، وكل عشرة سبعة مثاقيل، ولا عبرة بالعدد في ذلك). (وسائل الشيعة ٩: ١٤٩، ونحوه البيان: ١٨٥).

ومعناه أن الإمام ؑ أمر عبد الملك أن لا يهتم بتحديد هرقل وأن يُصدر ديناراً ودراهم وطنية، ويلزم المسلمين بالتعامل بها، وببطل التعامل بالدينار الرومي كلياً. ويوحّد الدراهم ليحلّ بذلك مشكلة اختلاف وزنها في نفس الوقت.

وقد نسبت بعض روايات مصادر السنين ذلك إلى الإمام محمد الباقر ؑ، لكن المتفق عليه أن الحادثة وقعت في سنة ست وسبعين كما نص عليه ابن عبد البر وغيره، ومعناه أنها كانت في زمن الإمام زين العابدين ؑ لأنه توفي سنة بضع وتسعين، ومات عبد الملك قبله في سنة ست وثمانين.



والظاهر أن الإمام زين العابدين عليه السلام أرسل إلى عبد الملك ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام لمعالجة المشكلة والإشراف على مواصفات الدينار الإسلامي، وتوحيد الدرهم وطريقة السبك الدقيقة، فنسب الرواة الموقف إليه.

ولذلك شبيهه عندما طلب ابن عبد الملك من الإمام الباقر عليه السلام أن يحضر إلى الشام لمناظرة قلري أعيانهم، فاعتذر عن السفر وأرسل له ولده الإمام الصادق عليه السلام فناظره وعصمه بقوله تعالى: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾. (تفسير العياشي ١: ٢٣).

وأشهر النصوص لمسألة العملة والطرز في مصادر التاريخ، ما رواه البيهقي في المحاسن المساوي: ٣٤٨، عن الكسائي النحوي، قال: (دخلت على الرشيد ذات يوم وهو في إيوانه، وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقاً، وأمر بتفريقه في خدم الخاصة، ويده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيراً ما يحدثني فقال: هل علمت من أول من سنَّ هذه الكتابة في الذهب والفضة؟

قلت: يا سيدي هذا عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلت: لا أعلم لي، غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة. فقال: سأخبرك، كانت القراطيس للروم، وكان أكثر من بمصر نصرانياً على دين الملك ملك الروم، وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها (أباً وإبناً وروحاً قديماً) فلم يزل كذلك صدر الإسلام كله يمضي على ما كان عليه، إلى أن ملك عبد الملك فتنبه عليه وكان فطناً، فبينما هو ذات يوم إذ مر به قرطاس فنظر إلى طرازه، فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره وقال: ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام أن يكون طراز القراطيس

وهي تحمل في الأواني والثياب وهما نعلان بمصر وغير ذلك معا بطرز من ستور وغيرها، من عمل هذا البلد على سعة وكثرة ماله وأهله تخرج منه هذه القراطيس، فتدور في الآفاق والبلاد وقد طرزت بشرك مثبت عليها فأمر بالكتاب إلى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقروطن ومستر وغير ذلك وأن يأخذ صنّاع القراطيس بتطريزها بصورة التوحيد، وشهد الله أنه لا إله إلا هو. وهذا طراز القراطيس خاصة إلى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغير.

وكتب إلى عمال الآفاق جميعاً بإبطال ما في أصصالحهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من خالف، فلما أثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل إلى بلاد الروم منها، انتشر خبرها ووصل إلى ملكهم فترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه فاستشاط غضباً، وكتب إلى عبد الملك: إن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك، للروم، ولم يزل يطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا، فاختر من هاتين المخلتين أيتهما شئت وأحببت، وقد بعث إليك بهدية تشبه محلك وأحببت أن تجعل رد ذلك الطراز إلى ما كان عليه في جميع ما كان يطرز من أصناف الأطلاق حاجة أشكرك عليها، وتأمّر بقبض الهدية، وكانت عظيمة القدر.

فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول وأعلمه أن لا جواب له ولم يقبل الهدية، فأنصرف بها إلى صاحبه، فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول إلى عبد الملك وقال: إني ظننتك استقلت الهدية فلم تقبلها ولم

تجبنني عن كتابي فأضعفت لك الهدية، وأنا أرغب إليك في مثل ما رغبته فيه من رد هذا الطراز إلى ما كان عليه أولاً. فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية.

فكتب إليه ملك الروم يقتضي أجوبة كتبه ويقول: إنك قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعفني بحاجتي، فتوهمتك استقلت الهدية فأضعفتها فجريت على سبيلك الأول، وقد أضعفتها ثالثة وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه أو لأمرن بنقش الدنانير والدراهم، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي، ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام، فينقش عليها من شتم نبيك ما إذا قرأته ارفض جبينك له عرقاً! فأحب أن تقبل هديتي وترد الطراز إلى ما كان عليه وتجعل ذلك هدية بررتني بها، وتبقي على الحال بيني وبينك.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب غلظ عليه وضافت به الأرض وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام، لأنني جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر ما يبقى خابر الدهر، ولا يمكن معوه من جميع مملكة العرب! إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم، وجمَعَ أهل الإسلام واستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به، فقال له روح بن زنباع (وهو نديم عبد الملك): إنك لتعلم الرأي والمخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه! فقال: ويحك من؟ قال: الباقر من أهل بيت النبي ﷺ! قال: صدقت ولكنه أرتج عليّ الرأي فيه، فكتب إلى عامله بالمدينة: أن أشخص إلي محمد بن علي بن الحسين مكرماً ومثمه بمائتي ألف درهم لجهازه وبثلاثمائة ألف درهم

لنفتحه وأزح علته في جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه، واحتسب الرسول قبله إلى موافاته عليّ.


فلما وافى أخبره الخبر، فقال له عليّ (هكذا ولعل أصله: محمد بن علي): لا يعظم هذا عليك فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما أن الله جل وعز لم يكن ليطلق ما يهددك به صاحب الروم في رسول الله ﷺ، والأخرى وجود الحيلة فيه. قال: وما هي؟ قال: تدعو في هذه الساعة بصناع يضربون بين يديك سككاً للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها صورة التوحيد وذكر رسول الله ﷺ أحدهما في وجه الدرهم والدينار والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه، والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الثلاثة الأصناف التي العشرة منها عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعاً واحداً وعشرين مثقالاً، فتجزئها من الثلاثين فنصير الحدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصب سنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن عشرة، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل. وكانت الدراهم في ذلك الوقت إنما هي الكسروية التي يقال لها اليوم البخلية لأن رأس البخل ضربها لعمر بن الخطاب بسكة كسروية في الإسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكروسي مكتوب بالفارسية: نوش خر. أي كل شيئاً.

وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالاً، والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة.

ف فعل عبد الملك ذلك، وأمره محمد بن علي بن الحسين أن يكتب

السكك في جميع بلدان الإسلام، وأن يتقدم إلى الناس في التعامل بها، وأن يتهمدوا بقتل من يتعامل بغير هذه السكك من الدراهم والدينارين وغيرها، وأن تبطل وترد إلى موضع العمل، حتى تعاد على السكك الإسلامية. ففعل عبد الملك ذلك، ورد رسول ملك الروم إليه يحلمه بذلك ويقول: إن الله جل وعز مانعك مما قدرت أن تفعله، وقد تقدمت إلى عمالي في أقطار الأرض بكذا وكذا، وبإبطال السكك والطراز الرومية.

فقبل لملك الروم: إفعل ما كنت تهددت به ملك العرب. فقال: إنما أردت أن أغيظه بما كتبت به إليه لأنني كنت قادراً عليه والمال وغيره برسوم الروم، فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام وامتنع من الذي قال وثبت ما أشار به محمد بن علي بن الحسين إلى اليوم). وقد فصل الموضوع السبب الأمين في أعيان الشيعة ١: ٩٩، والدميري في حياة الحيوان: ١٠١، والإنليدي في إعلام الناس بما وقع للبرامكة: ٢٨٢، ورواه مختصراً ابن الغرا في رسل الملوك: ٧٨، وغيرهم.

**كان عند عبد الملك هامش حرية استفاد منه الإمام  والشيعة:**

رووا أن الشاعر كثير عزة رحمه الله الذي كان صديقاً لعبد الملك، استفاد من هذا الهامش. قال في الدرجات الرفيعة ٥٨٦: (حدث ابن قتيبة قال: بلغني أن كثيراً دخل على عبد الملك بن مروان فسأله عن شيء فأخبره به، فقال بحق علي بن أبي طالب إنه كما ذكرت؟ فقال: يا أمير المؤمنين لو سألتني بحقك لصدقتك! قال: لا أسألك إلا بحق أبي تراب! فحلف

له به فرضي.. ولما عزم عبد الملك على الخروج إلى حرب الزبير أنشدته زوجته عائكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه ويبعث غيره فأبى، فلم تزل تلح عليه في المسألة وهو يمتنع من الإجابة، فلما يتست منه بكت ويكى من حولها من جواربها وحواشيها، فقال عبد الملك: قاتل الله كثيراً كأنه رأى موقفنا هذا حين قال:

إذا ما أراد العزولم يفسر حسنة فساءة عليها نظم درهزينها  
نهته فلما لم تر النهي هاقه بكت فبكى مما شجاها قطينها

ثم عزم عليها أن تقصر فأقصرت وخرج لقصده، فنظر إلى كثير في ناحية مسكره يسير مطرقاً فدعا به.. فقال: ذكرت الساعة بيتين من شعرك فإن أصبت ما دعا فلك حكمك! فقال: نعم أردت الخروج فبكت عائكة ويكى حشمها فذكرت قولتي: إذا ما أراد العزم.. الخ. فقال: أصبت فاحتكم فأعطاه ما أراد.

ثم نظر إليه عبد الملك يسير في عرض الموكب متفكراً فقال: علي يا ابن أبي جمعة فقال: إن عرفتك في أي شيء كنت تفكر فلي حكمي! فقال: نعم. قال: كنت تقول أنا في شر حال، خرجت في جيش من أهل النار ليس على ملتي ولا مذهبي، يسير إلى رجل من أهل النار ليس على ملتي ولا على مذهبي يلتقي الخيلان فتصيبني سهم غرب فأثلف، فما هذا؟

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أعطأت ما كان في نفسي فاحتكم! قال: حكمي أن أصلك في عشرة آلاف درهم وأردك إلى منزلك. فأمر له بذلك. (الأغاني ٩: ٢٩).

## ٧ - علاقة الإمام عليه السلام مع الحجاج بن يوسف الثقفي:

تقدم في المجلد الثالث شهادة عبد الملك في الحجاج، وقول الجصاص وهو من أكابر علمائهم: (لم يكن في العرب ولا آل مروان أظلم ولا أكفر ولا أفجر من عبد الملك، ولم يكن في عماله أكفر ولا أظلم ولا أفجر من الحجاج) (أحكام القرآن ١: ٨٦).

وروى الأبي في نثر الدرر: ٣٨٥: (قال عبد الملك: لقد كنت أمتشي في الزرع فأنتني الجندب أن أقتله، وإن الحجاج ليكتب إلي في قتل فتام (جماعات) من الناس، فما أحفل بذلك؟! انتهى).

فالحجاج جزار الخليفة وأداة طغيانه! ومع أن اسمه الحجاج فقد كان يحضر الحج ولا يحج! ففي الطبري ٥: ٢٦: (حج بالناس الحجاج فرأيت واقفاً بالهضبات من عرفة على فرس وعليه الدرع والمغفر، ثم صدر فرأيت عدل إلى بشر ميمون ولم يطف بالبيت! وأصحابه متسلحون، ورأيت الطعام عندهم كثيراً، ورأيت المير تأتي من الشام تحمل الطعام الكعك والسويق والدقيق فرأيت أصحابه مخاصيب! ولقد ابتعنا من بعضهم كعكاً بدرهم فكفانا إلى أن بلغنا الجحفة، وإنا لثلاثة نفر). انتهى.

وكان يتجاهر أحياناً بكفره، لكنه محمي من الخليفة! وبلغ من استهتار الحجاج أنه كان يستهزئ بالمسلمين لزيارتهم قبر النبي ﷺ قال: (تباً لهم! إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله!) (شرح النهج ١٥: ٢٤٢).

وعندما كان يحاصر الكعبة ويضربها بالمنجنيق (جاءت صاعقة





ورئيس قبيلة همدان أن يزوجاه بنثيهما، ثم قال له: (قد زوجتك بنت سيد بني فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان وما أود هنالك! فقال: لا تقل أصلح الله الأمير ذلك، فإن لنا مناقب ما هي لأحد من العرب! قال: وما هي هذه المناقب؟ قال: ما سب أمير المؤمنين عثمان في نادر لنا قط، قال: هذه والله منقبة! قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً، وما شهدها مع أبي تراب منا إلا رجل واحد وكان والله ما علمت امرأة سوء! قال: وهذه والله منقبة! قال: وما منا أحد تزوج امرأة تحب أبا تراب ولا تتولاه، قال: وهذه والله منقبة! قال: وما منا امرأة إلا نفرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها، ففعلت، قال: وهذه والله منقبة! قال: وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل وقال وأزيدكم ابنه الحسن والحسين وأمهما فاطمة! قال: وهذه والله منقبة! قال: وما أحد من العرب له من الملاحاة والصباحة ما لنا، وضحك! وكان دعيماً شديد الأدمة، مجدراً في رأسه، أعرج، مائل الشدق، أحول، قبيح الوجه، وحش المنظر). انتهى. وعقاب الله لهذا الناصبي أشد وأعزى!

وقد زاد الحجاج في بغض أهل البيت عليهم السلام على أسباده بني أمية، فكان ملكياً أكثر من مَلِكِه عبد الملك! وقد كتب له يستأذنه أن يقتل الإمام عليه السلام فلم يقبل خوفاً على ملكه! فقتل الحجاج خواص أصحاب الإمام عليه السلام كبحي بن أم الطويل (الكافي ٢: ٣٨٠) وسعيد بن جبير، وهدداً من الأخيار وسيأتي ذكر بعضهم!

وفي تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٧٢: (وعثم (الحجاج) أحناق قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ليلهم بذلك، منهم جابر بن عبد الله، وأنس بن

مالك، وسهل بن سعد الساعدي، وجماعة معهم، وكانت الخواتيم رصاصاً).

وفي الطبري ٥: ٢٥: (واستخف بأصحاب رسول الله ﷺ فخنم في أعناقهم).

ومع كفر الحجاج ويغضه لأهل البيت ﷺ، فقد فقد حدثت له آية اضطرممها إلى أن يطلب من الإمام زين العابدين ﷺ أن يضع الحجر الأسود في محله، وذلك عندما أباد بناء الكعبة سنة أربع وسبعين (أبو الفداء: ٢٥١)، بعد أن قُتل عبدالله بن الزبير وتهدمت الكعبة من ضرب جيشه وقبله جيش يزيد.

ففي الكافي ٤: ٢٢٢، بسند صحيح عن أبان بن تغلب قال: (لما هدم الحجاج الكعبة فرّق الناس ترابها، فلما صاروا إلى بنائها فأرادوا أن يبنوها خرجت عليهم حبة فمتمت الناس البناء حتى هربوا، فأتوا الحجاج فأخبروه فخاف أن يكون قد مُنع بناءها، فصعد المنبر ثم نشد الناس وقال: أنشد الله عبداً عنده مما ابتلينا به

علم لما أخبرنا به، قال: فقام إليه شيخ فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى! فقال الحجاج: من هو؟ قال: علي بن الحسين! فقال: معدن ذلك! فبعث إلى علي بن الحسين فأتاه فأخبره ما كان من منع الله إياه البناء، فقال له علي بن الحسين: يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهتته، كأنك ترى أنه تراث لك! إصعد المنبر وأنشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئاً إلا رده. قال: ففعل فأنشد الناس أن لا يبقى منهم أحد عنده شيء إلا رده، قال: فردوه فلما رأى جمع الثراب أتى

علي بن الحسين فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا، قال: فتغيّبت عنهم الحية، وحفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد، قال لهم علي بن الحسين: تنحوا فتتحروا فلنا منها فغطاها بثوبه ثم بكى، ثم غطاها بالتراب بيد نفسه، ثم دعا الفعلة فقال: ضعوا بناءكم، فوضعوا البناء فلما ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلب فألقى في جوفها، فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدرج). والفقيه ٢: ١٩٣، والعلل ٢: ٤٤٨، والمناقب ٣: ٢٨١.

وفي الخرائج ١: ٢٦٨، (أن الحجاج بن يوسف لما خرب الكعبة بسبب مقاتلة عبدالله بن الزبير ثم عمروها، فلما أعيد البيت وأرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود، فكلما نصبه عالم من علمائهم أو قاض من قضائهم أو زاهد من زهادهم يتزلزل ويقع ويضطرب ولا يستقر الحجر في مكانه. فجاءه علي بن الحسين عليه السلام وأخذه من أيديهم وسمى الله ثم نصبه فاستقر في مكانه، وكبر الناس). وفي الفقيه ٢: ٢٤٧، أن الحجاج لما فرغ من بناء الكعبة سأل علي بن الحسين أن يضع الحجر في موضعه، فأخذه ووضعه في موضعه).

وفي كامل الزيارات: ١٨، في قصة سرقة القرامطة للحجر الأسود وإرجاعه ونصب الإمام المهدي عليه السلام له في مكانه، قال: (ينصبه في مكانه الحجة في الزمان عليه السلام كما في زمان الحجاج وضمه زين العابدين عليه السلام في مكانه فاستقر...). انتهى<sup>(١)</sup>.

(١) قال الشيخ الكوراني: إقرأ جيداً قول ذلك الشيخ المكي في رواية الكافي الصحيحة: (إن يكن عند أحد علم فمقد رجل وأبته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى فقال الحجاج: من هو؟ قال: علي بن الحسين) فقال: معدن ذلك، فهو يدل على أن الإمام عليه السلام كان-

وأخيراً، فقد قال عمر بن عبد العزيز: (لو جاءت كل أمة بخبيثتها وجثنا بالحجاج، لزدنا عليهم) (نثر الدرر، للأبي: ٢٨٦). ونسي عمر أن الحجاج عبد مأمور لجده عبد الملك، فخبثه فرع من خبثه!

#### ٨ - علاقته ﷺ مع الناصبي المنطرف «ابن الزبير»:

تزوج العوام بن عويلد الزهري، بصفية بنت عبد المطلب عمه النبي ﷺ، وولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة، وقتل أبوه في حرب الفجار قبل الإسلام، فَرِثَهُمْ أمهم في كَنَفِ أبيها وإخوتها أصنام النبي ﷺ، وكان لها ابنة من زوجها السابق المتوفى الحارث بن حرب بن أمة.

وأسلمت صفية وأولادها وهاجروا إلى المدينة، واستشهد ابنها السائب في حرب اليمامة، واشتهر الزبير وتزوج بأسماء بنت أبي بكر. وكان في جو أخواله بني هاشم، واعتبر السقيفة مؤامرة على وصية النبي ﷺ بالخلافة لعلي والحرة ﷺ، وكان موقفه شديداً ضد أبي بكر وعمر، وشهر سيفه في وجه الذين جاؤوا إلى بيت علي ﷺ لأخذ البيعة، ومنهم عمر ونخالد وغيرهما. (سير الذهبي ٢: ٢٧١، والطبقات ٤: ١١٩، والمحبر: ١٨٩، والوافي ١٥: ٦٤، وراجع شرح الأخبار ٣: ٢٢٠، والبحار ٢٢: ٢٦٢، وقاموس الرجال ١٢: ٢٨٩).

لكن الزبير تغير رأساً على عقب، عندما استطاعت زوجته أسماء

---

«ممنياً ببناء الكعبة وأنها جاء وقاس أساسها. كما يدل على أسرار أودعها الله تعالى في الكعبة وطمعها والحجر الأسود، وبعض أحكامها، وإرباط أمرها بأهل بيت الله تعالى وبيت النبي ﷺ». (جواهر التاريخ ٤: ١٧٥).

وابنه عبدالله، أن يؤثرا عليه ويحولاه إلى صديق للسلطة والحزب القرشي، فأخذ يعتمد عن أخواله بني هاشم إلى أن صار عدواً لهم (فكان عليّ يقول: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ له عبدالله). (أسد الغابة ٣: ١٦٢)، وفي الخصال: ١٥٧: (حتى أدرك فرخه فنهاه عن رأيه). وفي الإمامة والسياسة ١: ١٤: (حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا). وفي الأصول الستة عشر: ٢٣، (ولقد خلق رأسه وهو يقول لا نطيع إلا علياً). أي كان مستميتاً أيام السقفة، قبل أن يتحول إلى العكس!

وكانت عاقبته أنه بايع علياً عليه السلام ثم نكث بيعته وخرج مع طلحة وعائشة إلى البصرة لحربه، فطلبه علي عليه السلام قبل أن يلتحم القتال وذكره بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانسحب عائداً إلى المدينة، ورافقه شخص يدهي ابن جرموز وقتله فكان (كألتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُرْوَةٍ أَكَنَّا). أعادنا الله من سوء العاقبة!

أما ابنه عبدالله بن الزبير فكان تابعاً لأمه أسماء وخالته عائشة، ولم ينسحب من معركة الجمل مع أبيه، بل واصلها مع خالته بحمام، ونجا بأعجوبة من سيف مالك الأشتر عليه السلام وجرح جرحاً بليغاً في رأسه، وعندما انتصر عليهم أمير المؤمنين عليه السلام عفا عنهم جميعاً. قال في شرح النهج ٤: ٧٩: (وعبدالله هو الذي حمل الزبير على الحرب وهو الذي زين لعائشة مسيرها إلى البصرة، وكان سباياً فاحشاً يبغيض بني هاشم ويلعن ويسب علي بن أبي طالب)، انتهى.

وعندما خرج ابن الزبير على يزيد وتحصن في الكعبة، كان شديداً على بني هاشم أكثر من شدته على بني أمية! حتى أنه هدد من كان منهم في مكة بالحرق إن لم يهاجروه! وكان بينه وبين ابن عباس سجالات،

منها قول ابن عباس في خطبة له: (واحبباً كل العجب لابن الزبير  
يعب بني هاشم وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم، أما والله إنه  
لمسلوب قريشاً ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفية بنت عبد  
المطلب؟! قيل للبخل: من أبوك يا بخل؟ فقال: خالي القرس. ثم نزل).  
(شرح النهج ٢٠: ١٢٩).

وتقدم أنه سجن بني هاشم ومنهم ابن عباس في مكة وهددهم بحرق  
السجن عليهم إن لم يبايعوه! وأنه ترك ذكر النبي ﷺ كلياً في خطبه  
وصلاته! وأجاب من استنكر عليه: (إن له أهيل سوء إذا ذكر استطالوا  
ومدوا أعناقهم لذكره!) (الصحيح من السيرة ٢: ١٥٣، عن العقد الفريد  
٤: ٤١٣، وأنساب الأشراف ٤: ٢٨، وغيرهما).

وفي تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١: (وتحامل عبدالله بن الزبير على بني  
هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه  
أن ترك الصلاة على محمد في خطبته! فقيل له: لم تركت الصلاة على  
النبي؟! فقال: إن له أهل سوء يشرثبون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا  
سمعوا به).

وقال لابن عباس: (لقد كتمت بغضك وبغض أهل بيتك مذ أربعين  
سنة! فقال ابن عباس: فلك والله أبلغ إلى جاحريتك! بغضي والله أخرك  
وآتمك إذ دهاك إلى ترك الصلاة على النبي ﷺ في خطبك، فإذا عوتبت  
على ذلك قلت إن له أهيل سوء فإذا صلبت عليه تناولت أعناقهم وسمت  
رؤوسهم! فقال ابن الزبير: أخرج عني فلا تقرني! قال: أنا أزهد فيك  
من أن أقربك ولا أخرجن منك خروج من يملك ويقلبك، فلقق بالطائف  
فلم يلبث يسيراً حتى توفي). (أنساب الأشراف: ٨٥٧). ومعنى  
جاحريتك: أنه لا يشبه خؤولة بني هاشم فهو كجمور التمر).

## الإمام عليه السلام يتجنب شرّ ابن الزبير ويخشوهُ منه:

في حلية الأولياء ٣: ١٣٤: (عن أبي حمزة الثمالي قال: أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن أضرب، فقمعت حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد عليّ السلام ودعا لي، ثم انتهى إلى حائط له فقال: يا أبا حمزة ترى هذا الحائط؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله. قال: فإني اتكأت عليه يوماً وأنا حزين فإذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في تجاه وجهي ثم قال: يا علي بن الحسين مالي أراك كتيباً حزيناً، أعلى الدنيا فهو رزق حاضر يأكل منها البر والفاجر؟ فقلت: ما عليها أحزن لأنه كما تقول، فقال: أعلى الآخرة هو وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر؟ قلت: ما علي هذا أحزن لأنه كما تقول، فقال: وما حزنتك يا علي بن الحسين؟ قلت: ما أتخوف من فتنة ابن الزبير؟ فقال لي: يا علي هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم قال: فخاف الله فلم يكفه؟ قلت: لا، ثم غاب عني، فقبل لي يا علي هذا الخضر عليه السلام ناجاك). وكشف الغمة ٤: ٢٨٩، والكافي ٢: ٦٣، والإرشاد ٢: ١٤٨، وأماله المفيد: ٢٠٤، وكنز الفوائد: ٢١٤، والخرائج: ١: ٢٦٩، ودعوات الراوندي: ١٣١، وتاريخ دمشق ٤١: ٣٨٣، والتذكرة الحمدونية: ٣٧، ورواه عدد من مصادرهم ونسبه إلى رجل في بستان في مصر كما صنف ابن شيعة ٨: ٢٠٦، والنهاتف: ٨٨، والإصابة ٢: ٢٧٢.

وسبب تخوف الإمام عليه السلام أن ابن الزبير كان أكثر قسوة من طغاة الأمويين، وأشد بغضاً لأهل البيت عليه السلام وكانت أيامه مليئة بالبطش والتصرفات غير المنطقية، في كل المناطق التي حكمها في اليمن والحجاز والعراق.

قال مطرف بن عبدالله: (لبثت في فتنة ابن الزبير تسعاً ما أخبرت فيها بخير، ولا استخبرت فيها من خير). (الطبقات ٧: ١٤٢). وقال في تاريخ دمشق ٢٨: ٢٤٥: (فكانت فتنة ابن الزبير من لدن موت يزيد بن معاوية إلى أن قتل تسع سنين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وكان ابن الزبير آدم نحيفاً ليس بالطويل ولا بالقصير). انتهى.

وكان الإمام عليه السلام يتجنب الاحتكاك بابن الزبير، فلم يسكن أيام ثورة أهل المدينة على يزيد في مكة كما فعل ابن عمر وابن عباس وابن الحنفية وغيرهم، ممن لم يشارك أهل المدينة في ثورتهم. ويظهر أن الإمام عليه السلام كان في تلك الفترة يوزع وقته بين المدينة وبنيع والبادية، حسب ما يقتضي الوضع، وقد حرص في أيام دخول جيش يزيد إلى المدينة أن يكون فيها.

ونلاحظ أن بعض آل الزبير يروي عن الإمام عليه السلام كخالد بن الزبير وأولاده، ففي شعب البيهقي ٢: ٧٤، عن (خالد بن الزبير عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ: إنما تكون الصنيعة إلى ذي دين أو حسب. وجهاد الضعفاء الحج. وجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها. والتودد نصف الدين. وما عال امرؤ اقتصد. واستنزّلوا الرزق بالصدقة. وأبى الله أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين من حيث يحتسبون. وقال مرة أخرى: وما عال امرؤ قط على اقتصاد). والمقاصد الحسنة للسخاوي: ٥٨ وغيره.

وفي تاريخ الذهبي ٦: ٤٣٧: (وقال الزبير بن بكار: ثنا حمي ومحمد بن الضحاك ومن لا أحصي، أن علي بن الحسين قال: ما أودُّ أن لي بنصيب من الدل حُمِرَ النعم). انتهى. وترجموا لابن الزبير هذا



وضعه. قال النخعي في سيره ١: ٦٤٠: (خالد بن محمد من آل الزبير، عن علي بن الحسين. قال البخاري منكر الحديث. وقال أبو حاتم: مجهول). الخ<sup>(١)</sup>.

### وكان الإمام عليه السلام يتحتمل أذى آل الزبير:

في تذكرة ابن حمدون: ٣٠٣: (قال رجل لرجل من آل الزبير كلاماً أقذع فيه، فأعرض الزبير عنه، ثم دار كلام ففسب الزبير علي بن الحسين فلم يجبه، فقال له الزبير: ما يمنعك من جوابي؟ فقال علي: ما منعك من جواب الرجل)!

وقال له رجل سبه فلم يلتفت إليه: إياك أعني، فقال له: وعنك أعرض! (كشف الخمة ٢: ٣١٩، ونشر الدرر: ١٥٦، والبحار ٤٦: ١٠١).

ومع كل مساوئ ابن الزبير ترى كثيراً من علماء المذاهب، خاصة الحنابلة، حكموا بأنه خليفة شرعي، وبأن مروان بن الحكم كان باغياً خارجاً عليه! ولذا لا تصح عندهم خلافة مروان ولا ابنه عبد الملك قبل أن يقتل ابن الزبير! فهو عندهم خارج باغ واجب القتل إلى اللحظة التي

(١) قال الشيخ الكوراني: بلغ هذا النص وغيره على أن بعض آل الزبير كانت لهم صلات مع أهل البيت عليه السلام وبعضهم شخصيات كعمر بن عبد الله بن الزبير، لكن أكثرهم كانوا على ملعب عبد الله بن الزبير ومنحبه أبيه الذي مات عليه. لكن آية الله الميلاني مد ظله لم يشن من آل الزبير أحداً لحكم في رسالته في رد خطبة علي عليه السلام لبنت أبي جهل بأن كل أولاد الزبير كانوا معادين لأهل البيت عليه السلام. وأن قصة خطبة أمير المؤمنين عليه السلام لبنت أبي جهل المزعومة من وضعهم! وأنهم جميعاً في النصب سواء. وإن اشتهر من بينهم عبد الله وظهر بنفسه وعداؤه لأهل البيت عليه السلام أكثر من غيره! (جواهر التاريخ ٤: ٦٨٠).

قتل فيها ابن الزبير عند الكعبة فأكرمه الله فجعله خليفة لخاتم أنبياءه ﷺ!

قال الذهبي في تاريخه ٦ : ١٣٢ : (عبد العزيز بن مروان أبو الأصم الأموي، أمير مصر وولي عهد المؤمنين بعد أخيه عبد الملك بعهد من مروان، إن صححنا خلافة مروان، فإنه خارج على ابن الزبير باغ، فلا يصح عهده إلى ولديه، إنما تصح إمارة عبد الملك من يوم قتل ابن الزبير) ١

وقال في عون المعبود ١١ : ٢٤٦ : (فالتحقيق في هذه المسألة أن يُتَبَيَّنوا (أي أن يعد الأئمة الإثنا عشر) بمعاوية وعبد الملك وبنو الأربع وعمر بن عبد العزيز ووليد بن يزيد بن عبد الملك بعد الخلفاء الأربعة الراشدين. وقد نقل عن الإمام مالك أن عبدالله بن الزبير أحق بالخلافة من مخالفه، ولنا فيه نظر، فإن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان قد ذكرا عن النبي ﷺ ما يدل على أن تسلط ابن الزبير واستحلال الحرم به مصيبة من مصائب الأمة! أخرج حديثهما أحمد عن قيس بن أبي حازم قال جاء ابن الزبير إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في الغزو فقال عمر اجلس في بيتك فقد غزوت مع رسول الله ﷺ، قال فرد ذلك عليه فقال له عمر في الثالثة أو التي تليها أقعد في بيتك، والله إنني لأجد بطرف المدينة منك ومن أصحابك أن تخرجوا فتفسدوا على أصحاب محمد ﷺ أخرجه الحاكم. فمن لفظه بطرف المدينة يُفهم أن واقعة الجمل غير مرادة هاهنا، بل المراد خروجه للخلافة... ولم ينتظم أمر الخلافة عليه).

## ٩ - مع الشاب المترف عمر بن عبد العزيز :

في بصائر الدرجات: ١٩٠: (من عبدالله بن عطاء التميمي قال: كنت مع علي بن الحسين في المسجد فمرَّ عمر بن عبد العزيز، عليه شراكا فضة، وكان من أحسن الناس وهو شاب، فنظر إليه علي بن الحسين فقال: يا عبدالله بن عطاء ترى هذا المترف؟ إنه لن يموت حتى يلقي الناس! قال قلت: هذا الفاسق؟ قال: نعم، لا يلبث فيهم إلا يسيراً حتى يموت، فإذا مات لعنه أهل السماء واستغفر له أهل الأرض!). ودلائل الإمامة: ٢٠٤، والشايق في المناقب: ٣٦٠، والخرائج والجرائع: ٢: ٥٨٤، ومناقب آل أبي طالب ٣: ٢٨٤.

وتقدم في علاقته عليه السلام مع المتصوفة قوله لأحدهم وقد قعد على باب الوالي ولعله عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على المدينة (ابن ماجه ١: ٢٢٠) قال له الإمام عليه السلام: (ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ فقال: البلاء. قال: قم فأرشدك إلى باب خير من بابه وإلى رب خير لك منه! فأخذ بيده حتى انتهى به إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله). ثم علمه صلاة الحاجة ودعائها. (دعوات الراوندي: ٥٤، والبحار: ٨٨: ٣٧٥).

هذا رأي الإمام عليه السلام في ابن عبد العزيز، أما رأيه هو في الإمام عليه السلام فكان يراه أفضل الناس في عصره على الإطلاق! قال في محاضرات الأدباء ١: ٣٤٤، وطبعة: ٣٦٠: (قال عمر بن عبد العزيز يوماً وقد قام من عنده علي بن الحسين (لعله عندما كان والي المدينة): مَنْ أشرف الناس؟ فقالوا: أنتم. فقال: كلا، أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً، من أحب الناس أن يكونوا منه ولم يحب أن يكون من أحد). ونثر

الدرر للآبي: ٢٨٦، والمنافق ٣: ٢٠٤، وشرح إحقاق الحق ١٢: ١٣٦.

والحجة تامة على ابن عبد العزيز في ولاية العترة عليه السلام:

في مجموعة ورام ٢: ١٥٩: (لما ولي عمر بن عبد العزيز، استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة، واستعمل ميمون بن مهران على قرقيساً رجلاً يقال له ثلاثة، قال: فتنازع رجلان فقال أحدهما: معاوية أفضل من علي وأحق، وقال الآخر: علي أولى بالأمر من معاوية. فكتب عامل قرقيساً إلى ميمون بن مهران بذلك، فكتب ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى ميمون بن مهران: أن اكتب إلى عامل قرقيساً أن أقسم الرجل الذي قدم معاوية على علي، بباب مسجد الجامع فاضربه مائة سوط وأتفه عن البلد الذي هو به! قال طلق فأخبرني من رآه وقد ضرب مائة سوط وأخرج ملبياً حتى أخرج من باب، يقال له باب الدين). انتهى.

وفي الصواعق المحرقة ٢: ٦٨٢: (دخلت فاطمة بنت علي على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فبالغ في إكرامها وقال: والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلي منكم، ولأنتم أحب إلي من أهلي<sup>(١)</sup>).

(١) قال الشيخ الكوراني: كان عمر بن عبد العزيز يعتقد أن بني هاشم أشرف الناس كما تقدم، وأن علياً عليه السلام أفضل الأمة وأزهدنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وهذا بعد فاته حجة عليه أن يعمل لإعادة الحق إلى أصحابه، ولكنه لم يفعل! قد روى عنه في مناقب آل أبي طالب: ١: ٣٦٤، قال: (ما علينا أحبنا كان في هذه الأمة أزهد من علي بن أبي طالب بعد النبي). وكامل ابن الأثير: ٣: ٤١٦. وقد روى فيه العامة نوعاً من المدح عن الإمام الباقر عليه السلام، =

وقد روى له المؤرخون والمحدثون مناظرات علمية مفصلة مع كبار فقهاء المذاهب، وقد جمعهم للملك وأفحمهم واحتج عليهم بالقرآن والسنة، لإثبات مكانة العترة النبوية، وإثبات نص القرآن والنبي ﷺ على خلافة علي ﷺ!

## ١٠ - علاقة الإمام ﷺ مع الخوارج:

في مروج الذهب ٢: ٤١٨، أن علياً ﷺ عندما انتصر على الخوارج قال له بعض أصحابه: (قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر، فقال: كلا

حقال في تاريخ دمشق: ٤٥: ١٤٦: (من عمرو بن قيس الملائي قال: سئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز، فقال: أما علمت أن لكل قوم نجية وأن نجية بني أمية عمر بن عبد العزيز، وإنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة). وتهليل الكمال: ٢١: ٤٣٩، وتذكرة الحفاظ: ١: ١١٩، وسير النعماني: ٥: ١٢٠، وحلية الأولياء: ٥: ٢٥٤، وأكثر من ترجم له. لكن التقييم الصحيح له ما تقدم أنه مترد فاسق، يستغفر له أهل الأرض ولعله أهل السماء، وقد جرى ذكره بعد موته عند الشريف الرضي رحمه الله قال:

صِرَّ سَمْعَانُ لَا تَحْتَلِكِ السَّوَادِي فَخَيْرُ تَيْبَةٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ تَحْتَكِ  
صِرَّ سَمْعَانُ لَيْسَ سَاوِي أَبِي حَفْصٍ فَوْزِي لَوْ أَنَّنِي أَوْشَكِ  
يَا بَنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَوْ بَكَتِ الْعَبِيرُ فَتَرَى مِنْ أَمَةِ الْبَكْبَكِ  
هَمُّ أُنِي أَقُولُ إِنَّكَ لَدَّ طِبْتُ وَإِنْ لَمْ يَطْبُ وَلَمْ يَزُكْ يَبْكُ  
أَنْتَ نَزَّهْتَنَا مِنَ الشُّبِّ وَاللُّبِّ مَنْ لَبِثَ أَسْكَنَ الْجَزَاءِ جَزَيْتَكَ  
وَحَبِيبُ أُنِي قُلَيْبُ بَنِي مَرْوَانَ طَبْرًا وَأَنْنِي مَا قُلَيْبُتَكَ  
وَلَوْ أَنِّي رَأَيْتُ لَبْرَكَ لَأَسْتَحْضِرَ حَبِيبُ مَنْ أَنْزَى وَمَا حَبِيبُكَ

(النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: ١٠٧، ودير سمعان: مكان قرب حمص، فيه قبره). وقد أكثروا من مدح عمر بن العزيز بأنه كان عادلاً، وأنه أصدر مرسوماً ألغى مرسوم معاوية بوجوب لمن علي ﷺ في حلوات الجمعة وغيرها، لكن لمن الأمويين وأتباعهم بقي بعد ابن عبد العزيز، في كثير المناطق، ومهما بلغ عمر بن عبد العزيز فليس هو أفضل من الأمويين الذي كان متحصباً في الإمامة، منظرًا لها، مناظرًا فيها، ومع ذلك أوتكب فل الإمام الرضا ﷺ خوفًا من تعلق الناس به، وأغلاهم على بني العباس (جواهر التاريخ: ٤: ١٨٤).

والذي نفسي بيده وإنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها، حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمط، يخرج إليه رجل منا أهل البيت فيقتله، ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة). انتهى. وقد حدثت روايات أخرى مكان آخر خارجة قرب بعقوبة من العراق، وقد بحثنا ذلك في معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ٣: ١١٦.

وفي زمن الإمام زين العابدين عليه السلام كان زعيم الخوارج البارز نافع بن الأزرق ثم انشق عليه نجدة بن هاجر بن المعروف بنجدة الحروري، وسيطر على نجد والبحرين وعمان وقسم من اليمن، لمدة ثلاث سنوات من ٦٥ إلى ٦٩ هجرية.

ففي المعبر للذهبي ١: ٧٤: (وفيها سنة ٦٦) قويت شوكة الخوارج واستولى نجدة الحروري على اليمامة والبحرين). وشرقات الذهب ١: ٧٤.

وفي مسند الشافعي ترتيب السني ٢: ٨٥: (نجدة الحروري رئيس التجديدة والحرورية خرج من جبال عمان، فقتل الأطفال وسبي النساء، وأهرق الدماء واستحل الفروج والأموال، وكان يُكفرُ السلف والخلف، ويثولي ويشرأ، وكان ردهاً مُردباً يأخذ بالقرآن، ولا يقول بالسنة أصلاً). انتهى.

وأكثر ما اشتهر عن نجدة رسالته إلى ابن عباس وجوابها، روتها عامة كتب الحديث والفقه، كالصدوق في الخصال: ٢٣٥، بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن نجدة الحروري كتب إلى ابن عباس يسأله عن أربعة أشياء هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغزو بالنساء وهل كان يقسم لهن

شيئاً؟ وعن موضع الخمس؟ وعن اليتيم متى ينقطع يثمه؟ وعن قتل الذراري؟ فكتب إليه ابن عباس: أما قولك في النساء فإن رسول الله ﷺ كان يُعطينهن ولا يقسم لهن شيئاً، وأما الخمس فلأننا نزعم أنه لنا وزعم قوم أنه ليس لنا فصبرنا، فأما اليتيم فانقطاع يثمه أشده وهو الاحتلام إلا أن لا تؤنس منه رشداً فيكون عندك سفيهاً أو ضعيفاً فيمسك عليه وليه. وأما الذراري فلم يكن النبي ﷺ يقتلها، وكان الخضر يقتل كافرهم ويترك مؤمنهم، فإن كنت تعلم منهم ما يعلم الخضر فأنت أعلم. وفي سنن النسائي ٣: ٤٤: (عن الزهري، عن يزيد بن هرمز أن نجدة الحروري حين خرج من فتنة بن الزبير أرسل إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى لمن هو؟ فقال: لنا لقرب رسول الله ﷺ قسمه رسول الله ﷺ لنا وقد كان عمر عرض علينا شيئاً رأيناه دون حقنا، فأبينا أن نقبله! وكان الذي عرض عليهم أن يعين ويقضي عن غارهم ويعطي فقيرهم، وأبى أن يزيدهم على ذلك). ونيل الأوطار ٨: ٢٣٠، وأحمد ١: ٣٢٠، وأبو داود ٢: ٢٦، وشرح مسلم للنووي ١٢: ١٩٢، وراجع في نجدة: تاريخ الذهبي ٥: ٤٩، و٥: ٦٨، والنهاية ٨: ٣٤٩.

كما اشتهر أن عكرمة غلام ابن عباس ذهب إلى نجدة وبقي عنده تسعة أشهر، وثبت أفكاره في بغض علي عليه السلام وتكفير كل من خالفهم من المسلمين!

(مقدمة فتح الباري: ٤٢٥، وفيه: أن ابن عباس قال عنه لما رجع: جاء الخبيث! والطبقات ٥: ١٠٣، وفي سير الذهبي ٥: ٢١: قال علي بن الحسين: كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري. وذكر ذلك من ترجم لعكرمة، كميزان الاعتدال ٣: ٩٦، وتاريخ دمشق ٤١: ١٢٠،

والاستذكار ٢ : ٥٠١. فاعجب لمن اتخذوا عكرمة إماماً وملوكوا  
نفاسيرهم وفقههم بآرائه!

ولم أجد رواية عن احتكاك بين نجدة والإمام زين العابدين عليه السلام،  
ومعناه أن الإمام عليه السلام كان يتوقى ذلك، وكان نجدة مشغولاً عنه في  
مناطق حكمه وحروبه، وقد هاجم مكة سنة ٦٧، وحارب ابن الزبير،  
وحج سنة ٦٨، وله مناظرات مع إمامه السابق نافع بن الأزرق، ومع ابن  
الزبير.

وروى الطبري ٤ : ٥٩٥، والطبقات ٥ : ١٠٣، أن موسم حج سنة  
٦٨، كان فيه أربعة أمراء وأن الناس طالبوهم أن يكفوا عن بعضهم حتى  
يحج الناس، قال: (وفي هذه السنة وافت عرفات أربعة ألوية... ثم تقدم  
ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير ونجدة الحروري  
خلفهما ولواء بني أمية هن يسارهما).

وقال الذهبي في تاريخه ٥ : ٤٣: (وأما نجدة الحروري فإنه قدم في  
العام الماضي في جموعه من الحرورية على ابن الزبير وقتلوا معه).  
انتهى.

وفي تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦٨: (وأقام الحج للناس في هذه السنين  
في سنة ٦٣ عبدالله بن الزبير، وفي سنة ٦٤ ابن الزبير، وقيل يحيى بن  
صفوان الجمحي، وفي سنة ٦٥ وسنة ٦٦ وسنة ٦٧ ابن الزبير، وفي سنة  
٦٨ وقفت أربعة ألوية بعرفات: لواء مع محمد بن الحنفية وأصحابه،  
ولواء مع ابن الزبير، ولواء مع نجدة بن عامر الحروري، ولواء مع بني  
أمية، وفي سنة ٦٩ وسنة ٧٠ وسنة ٧١ ابن الزبير). انتهى.

ولعل الإمام عليه السلام لم يحج في السنوات الصعبة أو حج مستخفياً،



حيث لم أجد شيئاً من لقائه أو احتكاكه أو مناظرته مع نجدة أو ابن الزبير أو الأمويين، لكن وجدت له حديثاً مع شخص من خوارج البصرة رواها في الاحتجاج ٢: ٤٠: (جاء رجل من أهل البصرة إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا علي بن الحسين إن جلدك علي بن أبي طالب قتل المؤمنين! فهملت عينا علي بن الحسين دموعاً حتى امتلأت كفه منها، ثم ضرب بها على الحصى، ثم قال: يا أخا أهل البصرة، لا والله ما قتل علي مؤمناً ولا قتل مسلماً، وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكنتموا الكفر وأظهروا الإسلام، فلما وجدوا علي الكفر أعواناً أظهروه! وقد علمت صاحبة الجمل والمستحفظون من آل محمد عليهم السلام أن أصحاب الجمل وأصحاب صفين وأصحاب النهروان، لعنوا علي لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله وقد خاب من افترى! فقال شيخ من أهل الكوفة: يا علي بن الحسين إن جلدك كان يقول: إخواننا بغوا علينا! فقال علي بن الحسين عليه السلام: أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَلَيْكُمُ الْكُفْرُ هُودًا﴾، فهم مثلهم، أنجى الله عز وجل هوداً والذين معه، وأهلك عاداً بالريح العقيم. انتهى<sup>(١)</sup>. (جواهر التاريخ، للشيخ علي الكوراني العاملي ٤: ١٤٥ - ١٨٩).



(١) قال الشيخ الكوراني: اتفق فقهاؤنا وعامة فقهاء المسلمين، على تكفير الفلاة الذين يؤلهون أهل البيت عليهم السلام، ومثلهم النواصب الذين يعادون أهل البيت عليهم السلام. لكن ابن تيمية خالف الإجماع وخص الحكم بالفلاة دون النواصب والخوارج! واحتج بصلاة ابن عمر خلف نجدة الحروري (منهاج السنة: ٥: ١١). وهذا من أكلة نسيب! (جواهر التاريخ ٤: ١٨٧).

## حصيلة البحث

إن المحصل من البحث هو أن عصر الإمام زين العابدين كان من أحلك العصور وأشدّها على الإمام من حيث كثرة الفساد وجبروت الطغاة وممارستهم أبشع أنواع الإرهاب ضدّ المؤمنين والشيعة، إضافة إلى تماديهم في الترف والفساد والمجون مما جعل أمر هداية الأمة صعباً للغاية، ولكن الإمام لم يتوقّف عن أداء دوره بأحسن وجه حتى تمكن من انتشال الكثير من المسلمين من السقوط في مهاوي الفتن والانحرافات التي كانت شائعة في ذلك العصر. وبذلك بقيت شجرة الإسلام صامدة بجهود الإمام زين العابدين حتى عصرنا الحاضر، ومن المأمول أن تبقى منصورة على الرغم من كل المؤامرات التي تحاك ضدها حتى ظهور إمامنا المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

اللهم! إننا نرغب إليك في دولة كريمة، تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة، اللهم! ما حرّفتنا من الحقّ فحمّلنا، وما قصرنا عنه فبلّغنا، اللهم المم به شعبتنا، واشعب به صدعتنا، وارثق به فتقنا، وكثر به قلّتنا، وأمرّ به ذلّتنا، وأغن به عائلتنا، واقض به عن مغرنا، واجبر به فقرنا، وسدّ به خلّتنا، وبسرّ به عسرنا، وبيّض به وجوهنا، وفكّ به أسرنا، وأنجج به طلبتنا، وأنجز به

مراعيننا، واستجب به دعوتنا، وأعطنا به فوق رغبتنا، يا خير  
المسؤولين، وأوسع المعطين، اشف به صدورنا، وأذهب به غيظ  
قلوبنا، واهدنا به لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء  
إلى صراط مستقيم، وانصرنا به على عدوك وعدونا، إله الحق آمين<sup>(١)</sup>.  
اللهم عجل لوليّك الفرج والعافية والنصر، واجعلنا من خير أنصاره  
ومن المستشهدين بين يديه

وآخر دعوانا أله (نعمه رب العالمين)



(١) مصباح المنهج، للشيخ الطوسي: ٥٨٦.



## أهم مصادر الهوامش والتعليقات

- ١ -

- ١ - الاحتجاج، للشيخ الطبرسي (ت/ ٥٠٠هـ).
- ٢ - الإرشاد، الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي، المتوفى (٤١٣هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
- ٣ - اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى (٤٦٠هـ)، تحقيق مهدي رجائي، مؤسسة البعثة، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم.
- ٤ - الاختصاص، الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي، المتوفى (٤١٣هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر الإسلامي، بيروت، ط/ ٢ (١٤١٤هـ).
- ٥ - الأمالي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى (٤٦٠هـ)، مؤسسة البعثة، ط/ الأولى (١٤١٤هـ)، ودار الثقافة للطباعة - قم.
- ٦ - الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن حسين القمي المعروف بالصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، مؤسسة البعثة، ط/ الأولى - قم.
- ٧ - الأمالي، أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان المفيد، المتوفى (٤١٣هـ)، دار المفيد، بيروت، ط/ الثانية (١٤١٤هـ).

٨ - أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي، المتوفى (١٣٧١هـ)،  
دار المعارف بيروت.

٩ - إعلام الوري بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي،  
المتوفى (٥٤٨هـ)، مؤسسة آل البيت عليه السلام، ط/الاولى (١٤١٧هـ)،  
قم.

١٠ - الاحتجاج على أهل اللجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي  
طالب، المتوفى (٥٦٠هـ)، دار النعمان، النجف الأشرف، ط/  
سنة (١٣٨٦هـ).

١١ - الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأموي الإصفهاني، المتوفى  
(٣٥٦هـ).

١٢ - أخبار الدول وآثار الأول، أحمد بن يوسف بن أحمد بن سنان  
القرماني النمشي، المتوفى (١٠١٩هـ).

١٣ - الانتعاف في حبّ الأشراف، جمال الدين أبي محمد عبدالله بن  
محمد بن عامر الشبراوي، المتوفى (١١٧١هـ).

١٤ - أمالي الشهابوري.

١٥ - إقبال الأعمال، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين  
الفتي، المتوفى (١٣٨١هـ).

١٦ - الأنوار البهية، الشيخ عباس بن محمد رضا القمي، المتوفى  
(١٣٥٩هـ).

١٧ - الإسلام وإيران، الشيخ الشهيد مرتضي مطهري، المتوفى  
(١٣٩٩هـ).

١٨ - [حقوق الحقّ وأزهاق الباطل، القاضي نور الله التمشري، المتوفى (١٠١٩هـ)].

١٩ - إثبات الهداة بالانصوص والمعجزات، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، المتوفى (١١٠٤هـ).

٢٠ - إثبات الوصيّة للإمام عليّ بن أبي طالب، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي، المتوفى (٣٤٦هـ).

٢١ - أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، المتوفى (٢٧٩هـ).

٢٢ - الأخبار الطوال، أبي حنيفة أحمد بن داود الدهنوري، المتوفى (٢٨٢هـ).

٢٣ - الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن عليّ بن حجر المصقلاني، المتوفى (٨٥٢هـ).

٢٤ - أهل البيت ﷺ تنوّع أدوار ووحدة هدف، الشهيد السعيد السيّد محمّد باقر الصدر، المتوفى (١٤٠٠هـ)، دار المعارف - بيروت.

٢٥ - الإمام زين العابدين ﷺ، السيّد عبدالرزاق بن محمّد آل المقرّم النجفي، المتوفى (١٣٩١هـ).

٢٦ - أصول الكافي، أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني، المتوفى (٣٢٨ أو ٣٢٩هـ).

٢٧ - افتراق هاشم وعبد شمس، أبي الحسن محمّد بن عليّ بن نصر المعروف بابن رؤية الدبّاس.

## - ب -

٢٨ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي، المتوفى (١١١٠هـ)، مؤسسة الوفاء، ط/ الثانية، بيروت.

٢٩ - البداية والنهاية، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، المتوفى (٧٧٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط/ الأولى (١٤٠٨هـ)، بيروت.

٣٠ - بصائر الدرجات، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصّغار القمي، المتوفى (٢٩٠هـ)، منشورات الأعلمي، مطبعة الأحمدية طهران (١٤٠٣هـ).

٣١ - البيان والتبيين، الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المتوفى (٢٥٥هـ).

٣٢ - بحث حول الولاية، السيد الشهيد السعيد محمد باقر الصدر، المتوفى (١٤٠٠هـ)، دار المعارف - بيروت.

## - ت -

٣٣ - تاريخ أهل البيت عليهم السلام، أبي عبدالله محمد ابن أبي الثلج البغدادي، المتوفى (٣٢٥هـ).

٣٤ - تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى (٩١١هـ).

٣٥ - تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي

- المعروف بابن عساكر، المتوفى (٥٧١هـ)، دار الفكر، ط/ الأولى، بيروت.
- ٣٦ - ترجمة الإمام زين العابدين عن تاريخ دمشق، تحقيق محمّد باقر المحمودي، المتوفى (١٤٢٧هـ).
- ٣٧ - تهذيب التهذيب، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني، المتوفى (٨٥٢هـ).
- ٣٨ - تاريخ أسماء الشقائق، عمر بن شاهين أبي حفص، المتوفى (٣٨٥هـ)، نشر الهادي، قم، ط/ الأولى (١٤١٧هـ).
- ٣٩ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين بن الحاج بن يوسف المرّي، المتوفى (٧٤٢هـ)، مؤسسة الرسالة، ط/ الرابعة (١٤٠٦هـ)، بيروت.
- ٤٠ - تذكرة الحفاظ، أبي عبدالله شمس الدين الذهبي، المتوفى (٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٤١ - تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، المتوفى (٢٨٤هـ)، دار صادر - بيروت.
- ٤٢ - تهذيب الأحكام، أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي، المتوفى (٤٦٠هـ)، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط/ الثالثة (١٣٦٤هـ).
- ٤٣ - تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، أبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط/ الرابعة (١٤٠٣هـ).
- ٤٤ - تحف العقول، أبي محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة



الحرّاني (من علماء القرن الرابع الهجري)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط/ الثانية (١٤٠٤هـ).

٤٥ - تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، المتوفى (٣٢٩هـ)، مؤسسة دار الكتاب، ط/ الثالثة (١٤١٤هـ)، قم.

٤٦ - تفسير الميثاق، أبي النظر، محمّد بن مسمود بن عيّاش السلمي السمرقندي، المتوفى (٣٢٠هـ)، ط/ المكتبة الملحمة الإسلامية، طهران.

٤٧ - التوحيد، أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، تعليق هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين، قم.

٤٨ - تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة المروسي الحويزي، المتوفى (١١١٢هـ)، مؤسسة إسماعيليان، ط/ الرابعة (١٤١٢هـ)، قم.

٤٩ - تاريخ الأدب في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني (معاصر).

٥٠ - تنقيح المقال في علم الرجال، عبّاد بن محمّد بن حسن المامقاني، المتوفى (١٣٥١هـ).

٥١ - تفسير الإمام العسكري، المنسوب إلى الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، المتوفى (٢٦٠هـ)، مدرسة الإمام المهدي، ط/ الأولى (١٤٠٩هـ)، قم.

٥٢ - تفسير البرهان (البرهان في تفسير القرآن)، هاشم الحسيني البهراني، المتوفى (١١٠٧ أو ١١٠٩هـ).

٥٣ - التنبيه والإشراف، أبي الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ بن مسعود، المتوفى (٢٨٧هـ).

٥٤ - الشهيد، لابن عبد البر، يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، المتوفى (٤٣٦هـ).

٥٥ - تذكرة الخواص، أبي المعظم يوسف بن قزاوغلي بن عبدالله سبط ابن الجوزي، المتوفى (٦٥٤هـ).

٥٦ - تهذيب اللغات والأسماء، أبي زكريا يحيى بن شرف الشافعي النووي، المتوفى (٦٧٦هـ).

٥٧ - تفسير الصافي، الملاء محسن الفيض الكاشاني، المتوفى (١٠٩١هـ).

٥٨ - تيسر المطالب في ترتيب أمالي أبي طالب، السيّد يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين أبي طالب الهاروني العلوي، المتوفى (٤٢٤هـ).

- ث -

٥٩ - ثواب الأعمال، أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، منشورات الشريف الرضي، ط/ الثانية (١٣٦٨) ش/ قم.

- ج -

٦٠ - جامع أحاديث الشيعة، السيّد حسين البروجردي، المتوفى (١٣٨٠هـ)، المطبعة العلمية قم (١٣٩٩هـ).

٦١ - الجرح والتعديل، أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم التميمي

الحنظلي الرازي، المتوفى (١٣٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط/الاولى (١٣٧١هـ)، بيروت.

٦٢ - جهاد الإمام زين العابدين عليه السلام، محمد رضا الحسيني الجلاي (معاصر)، ط/مؤسسة دار الحديث الشقافية، ط/الاولى (١٤١٨هـ)، قم.

٦٣ - جواهر التاريخ (المجلد الرابع)، سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام ومواجهته لخطط التحريف الأموي، تاليف علي الكوراني العاملي، نشر دار الهدى، الطبعة الأولى - ١٤٢٧.

### - ح -

٦٤ - حياة الإمام زين العابدين عليه السلام (دراسة وتحليل)، الشيخ باقر شريف القرشي (معاصر).

٦٥ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني، المتوفى (٤٣٠هـ).

٦٦ - حياة الحيوان، أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن عليّ الدميري المصري المتوفى (٨٠٨هـ).

٦٧ - حياة الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، الدكتور جعفر الشهيدى، المتوفى (١٤٢٩هـ).

٦٨ - حياة الإمام الباقر عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي (معاصر).

٦٩ - حلية الأبرار، السيد هاشم بن سليمان الكتكتاني البحراني، المتوفى (١١٠٧هـ).

٧٠ - حديث الثقلين، نشر دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط/ مصر.

### - خ -

٧١ - خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى (٣٠٣هـ)، مكتبة نينوي الحديثة، طهران.

٧٢ - الخصال، أبي جعفر محمد بن علي الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، منشورات جماعة المدرسين، قم.

٧٣ - خلاصة تلخيص تهذيب الكمال، صفي الدين أحمد بن عبدالله الغزرجي، المتوفى (٩٩١هـ)، ط/ الرابعة (١٤١١هـ)، دار البشائر الإسلامي - حلب.

٧٤ - الخرائج والجرائح، أبو الحسين سعيد بن عبدالله الراوندي، المعروف بقطب الدين الراوندي، المتوفى (٥٧٣هـ).

### - د -

٧٥ - دراسات وبحوث في التاريخ الإسلامي، السيد جعفر مرتضي العاملي (معاصر).

٧٦ - الدرّ النظيم، يوسف بن حاتم بن فوز بن مهدي الشامي المشغري العاملي، المتوفى (٦٦٤هـ).

٧٧ - درر السمط في خبر السبط، أبي عبدالله محمد بن عبد بن أبي بكر القضاعي، المعروف بابن الأبار، المتوفى (٦٥٨هـ)، ط/ الأولى (١٤٠٧هـ)، ط/ دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٧٨ - دعائم الإسلام، القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المقري، المتوفى (٣٦٣هـ).

٧٩ - الدعوات، قطب الدين بن سعيد بن هبة الله الراوندي، المتوفى (٥٧٣هـ)، ط/الاولى (١٤٠٧هـ)، مدرسة الإمام المهدي (عج)، قم.

٨٠ - دلائل الإمامة، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري (من أعلام القرن الخامس الهجري)، مؤسسة البعثة قم، ط/الاولى (١٤١٣هـ).

- ذ -

٨١ - ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري، المتوفى (٦٩٤هـ)، مكتبة القدسي - القاهرة، عن نسخة دار الكتب المصرية.

٨٢ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة، محمد محسن الشيخ آقا بزرك الطهراني، المتوفى (١٣٨٩هـ).

٨٣ - ذيل تاريخ بغداد، أبو عبدالله محمد بن محمود بن الحسين (ابن النجار)، المتوفى (٦٤٣هـ).

- ر -

٨٤ - رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال)، أبو جعفر محمد الحسن الطوسي، المتوفى (٤٦٠هـ).

٨٥ - رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المتوفى (٢٥٥هـ)، إعداد عبدالسلام هارون، دار الجيل بيروت (١٤١٠هـ).

٨٦ - رسالة الطفيلين (مجلة)، تصدر عن المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، الأعداد (٤ - ٩).

٨٧ - رسالة الحسين (مجلة)، تصدر عن مركز دراسات نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، يحررها محمد علي عابدين.

٨٨ - روضة الواعظين، محمد بن الحسن بن علي بن قتال النيسابوري، المتوفى (٥٠٨هـ)، منشورات الشريف الرضي.

- ص -

٨٩ - السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى (٤٥٨هـ)، دار الفكر.

٩٠ - السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى (٣٠٣هـ).

٩١ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى (٢٧٥هـ).

٩٢ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه، المتوفى (٢٧٥هـ)، دار الفكر.

٩٣ - سنن الدارمي، أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بهرام الدارمي، المتوفى (٢٥٥هـ).

٩٤ - سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ، ط/ الأولى (١٤١٤هـ)، نشر المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام).

٩٥ - سير أعلام النبلاء، أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى (٧٤٨هـ)، ط/ التاسعة (١٤١٣هـ) مؤسسة الرسالة.

- ش -

٩٦ - شذرات الذهب، أبي الفلاح عبدالحَيّ بن أحمد بن العماد الحنبلي، المتوفى (١٠٨٩هـ).

٩٧ - شرح أصول الكافي، محمّد صالح المازندراني، المتوفى (١٠٨١هـ).

٩٨ - شرح إحقاق الحقّ، السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، المتوفى (١٤١١هـ)، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم.

٩٩ - شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمّد التميمي المغربي، المتوفى (٣٦٣هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط/ الثانية (١٤١٤هـ).

١٠٠ - شرح نهج البلاغة، أبي حامد عبيد الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي، المتوفى (٦٥٦هـ)، دار إحياء الكتب العربية بيروت، ط/ الاولى (١٣٧٨هـ).

١٠١ - شرح نهج البلاغة، لإبن ميثم البحراني (ت/ ٦٩٩هـ).

١٠٢ - الشعر والغناء في المدينة ومكة، الدكتور شوقي ضيف (معاصر).

- ص -

١٠٣ - صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجمفي البخاري، المتوفى (٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة.

١٠٤ - صحيح مسلم، مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، المتوفى (٣٦١هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٠٥ - صحيح ابن خزيمة، أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، المتوفى (٣١١هـ)، ط/الثانية (١٤١٢هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٠٦ - الصحيفة السجادية الكاملة، الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام السجادة، المتوفى (٩٤ أو ٩٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط/الاولى (١٤٠٧هـ)..

١٠٧ - الصحيفة السجادية الجامعة، الإمام علي بن الحسين السجادة عليه السلام، المتوفى (٩٤ أو ٩٥هـ). [إعداد السيد محمد باقر الأبطحي]، ط/الاولى (١٤١١هـ)، مؤسسة الإمام المهدي (عج) - قم.

١٠٨ - الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، علي بن يونس النباطي الرياضي العاملي، المتوفى (٨٧٧هـ).

١٠٩ - صفة الصفوة، ابن الجوزي عبدالرحمن بن علي بن محمد أبر الفرج، المتوفى (٥٩٧هـ).

١١٠ - الصراط السوي في مناقب آل النبي، محمد بن علي اللشجاني القادري المدني.

- ط -

١١١ - طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، المتوفى (٤٧٦هـ).

١١٢ - الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري، المتوفى (٢٣٠هـ)، دار صادر بيروت.



١١٢ - طبقات الفقهاء، عبد الرحيم بن الحسن بن عليّ الأسنوي،  
المتوفى (٧٧٢هـ).

### - ع -

١١٤ - العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي، المتوفى  
(٣٢٧هـ).

١١٥ - علل الشرائع، محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ  
الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، ط/ المكتبة الحيدرية النجف  
الأشرف سنة (١٣٨٥هـ).

١١٦ - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن  
عليّ بن الحسين بن عليّ بن مهنا بن عتبة الداودي الحسني،  
المتوفى (٨٢٨هـ).

١١٧ - عيون أخبار الرضا عليه السلام، أبو جعفر محمد بن عليّ الصدوق،  
المتوفى (٣٨١هـ)، ط/ مؤسسة الأعلمي، بيروت، سنة (١٤٠٤هـ).

١١٨ - عيون الأخبار وفنون الآثار، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن فتيبة  
الدينوري، المتوفى (٢٧٦هـ).

### - غ -

١١٩ - الغيبة، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى (٤٦٠هـ)،  
مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط/ الأولى (١٤١١هـ).

١٢٠ - الغيبة، محمد إبراهيم النعماني ابن أبي زينب (من أعلام القرن  
الرابع الهجري).

## - ف -

١٢١ - فروع الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى (٣٢٨ أو ٣٢٩هـ).

١٢٢ - الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي المعروف بابن الصباغ، المتوفى (٨٥٥هـ).

١٢٣ - فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل الشيباني، المتوفى (٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢٤ - فلاح السائل، السيد ابن طاووس علي بن موسى الحسيني، المتوفى (٦٦٤هـ)، نشر مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمية - قم.

## - ق -

١٢٥ - قادتنا كيف نعرفهم؟، السيد محمد هادي الحسيني الميلاني، المتوفى (١٣٩٥هـ).

١٢٦ - القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المتوفى (٨١٦ أو ٨١٧هـ).

١٢٧ - قرب الإسناد، أبو العباس عبدالله بن جعفر الحميري (من علماء القرن الثالث الهجري).

## - ك -

١٢٨ - الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، المتوفى (٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية طهران، ط/الخامسة (١٣٦٣ ش).

١٢٩ - الكامل للمبرِّد، أبو العبَّاس محمَّد بن يزيد المبرِّد، المتوفى (٢٨٥هـ).

١٣٠ - الكامل في التاريخ، علي بن محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الشيباني (ابن الأثير الجزري)، المتوفى (٦٣٠هـ)، دار صادر بيروت سنة (١٣٨٦هـ).

١٣١ - الكامل للبهائي، عماد الدين الحسن بن علي الطبري، المتوفى أوائل القرن الثامن الهجري.

١٣٢ - كتاب المسند (المسند الكبير)، عمرو بن أبي عاصم الضحاك، المتوفى (٢٨٧هـ)، ط/ الثالثة (١٤١٣هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٣٣ - كتاب الفتح، أبو محمَّد أحمد بن أحم الكوفي، المتوفى (٣١٤هـ)، ط/ الأولى (١٤١١هـ)، دار الأضواء - بيروت.

١٣٤ - كشف الغمَّة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى الإربلي، المتوفى (٦٩٢هـ)، دار الأضواء ط الثانية (١٤٠٥هـ)، بيروت.

١٣٥ - كفاية الأثر في النسخ على الأئمة الاثني عشر، أبي القاسم علي بن محمَّد بن علي الخزاز القمي الرازي، المتوفى (٤٠٠هـ).

١٣٦ - كمال الدين وثنام النعمة، أبو جعفر محمَّد بن علي بن الحسين الشيخ الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط/ سنة (١٤٠٥هـ).

١٣٧ - الكنى والألقاب، الشيخ عبَّاس بن محمَّد رضا القمي، المتوفى (١٣٥٩هـ).

١٣٨ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي، المتوفى (٩٧٥هـ).

- ل -

١٣٩ - اللهوف على قتلى الطفوف، ابن طاروس علي بن موسى الحسني، المتوفى (٦٦٤هـ)، ط/الاولى (١٤١٧هـ)، قم.

١٤٠ - لوايع الأشجان، السيد محسن بن عبدالكريم الأمين العاملي الحسيني، المتوفى (١٣٧١هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.

- م -

١٤١ - مثير الأحزان، محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نعم الحلي، المتوفى (٦٤٥هـ)، المطبعة الحيدرية النجف الأشرف سنة (١٣٦٩هـ).

١٤٢ - مجمع الزوائد ومنيع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى (٨٠٧هـ)، منشورات دار الكتب العربي، ط/الثالثة (١٤٠٢هـ).

١٤٣ - مجالس نعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشباني، المعروف بنعلب، المتوفى (٢٩١هـ).

١٤٤ - المحاسن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المتوفى (٢٧٤ أو ٢٨٠هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران.

١٤٥ - المحاسن والمساوي، إبراهيم بن محمد البيهقي، المتوفى (٣٢٠هـ).

- ١٤٦ - المحلّي، أبي محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي،  
المتوفى (٤٥٦هـ)، ط/دار الفكر، تحقيق أحمد محمد شاكر.
- ١٤٧ - المختار الثقفي، نصر بن مزاحم بن سيار التميمي المنقري،  
المتوفى (٢١٢هـ).
- ١٤٨ - حياة المختار، السيّد عبدالرزاق بن محمد آل المفّرّم النجفي،  
المتوفى (١٣٩١هـ).
- ١٤٩ - مختصر تاريخ دمشق، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن  
منظور المصري، المتوفى (٧١١هـ).
- ١٥٠ - مروج الذهب ومعادن الجواهر، عليّ بن الحسين بن عليّ  
المسعودي، المتوفى (٣٤٦هـ).
- ١٥١ - المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمد بن محمد الحاكم  
النيسابوري، المتوفى (٤٠٥هـ).
- ١٥٢ - مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا حسين النوري  
الطبرسي، المتوفى (١٣٢٠هـ)، ط/الاولى (١٤٠٨هـ)، وط الثانية  
(١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٥٣ - مستطرفات السرائر، أبو جعفر محمد بن منصور بن أحمد بن  
إدريس الحلّي، المتوفى (٥٩٨هـ).
- ١٥٤ - المسند، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المتوفى  
(٢٤١هـ)، دار صادر - بيروت.
- ١٥٥ - مسند ابن الجعد، أبو الحسن عليّ بن النجم بن عبيد الجوهري،  
المتوفى (٢٣٠هـ).

- ١٥٦ - مسند أبي داود، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الطرابلسي، المتوفى (٢٠٤هـ)، دار المعرفة بيروت.
- ١٥٧ - مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن العثني النخعي، المتوفى (٣٠٧هـ)، ط/ دار المأمون للتراث.
- ١٥٨ - مسند الإمام الرضا عليه السلام، للشيخ عزيز الله العطاردي، معاصر.
- ١٥٩ - المصباح لجنة الأمان الوقاية وجنة الإيمان الباقية، نقي الدين إبراهيم بن علي الحسن بن محمد صالح العاملي الكفعمي، المتوفى (٩٠٥هـ)، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط/ الثالثة (١٤٠٣هـ).
- ١٦٠ - المصنف، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعائي، المتوفى (٢١٢هـ).
- ١٦١ - المصنف، عبدالله بن أبي شيبه إبراهيم بن عثمان الكوفي العبيسي، المتوفى (٢٣٥هـ).
- ١٦٢ - معالم المدرستين، السيد العلامة مرتضى العسكري، المتوفى (١٤٢٨هـ)، ط/ مؤسسة النعمان - بيروت سنة (١٤١٠هـ).
- ١٦٣ - معاني الأخبار، أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، المتوفى (٣٨١هـ).
- ١٦٤ - معجم أحاديث الإمام المهدي، تأليف ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية بإشراف علي الكوراني.
- ١٦٥ - معرفة الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح المجلي

الكوفي، المتوفى (٢٦١هـ)، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط/ الأولى (١٤٠٥هـ).

١٦٦ - المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى (٣٦٠هـ)، دار الحرمين للطباعة، ط/ سنة (١٤١٥هـ).

١٦٧ - المعجم الكبير، أبو القاسم بن أحمد الطبراني، المتوفى (٣٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي.

١٦٨ - معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، المتوفى (٦٢٦هـ).

١٦٩ - مطالب السؤول، محمّد بن طلحة الشافعي، المتوفى (٦٥٤هـ)، تحقيق ماجد أحمد العطية.

١٧٠ - مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس بن محمد رضا القمي، المتوفى (١٣٥٩هـ).

١٧١ - مقاتل الطالبين، أبي الفرج عليّ بن الحسين بن محمّد بن أحمد الأموي الإصفهاني، المتوفى (٣٥٦هـ)، المكتبة الحيدرية النجف الأشرف، ط/ الثانية (١٣٨٥هـ).

١٧٢ - مقتل الحسين، السيّد عبدالرزاق بن محمّد آل المقرّم النجفي، المتوفى (١٣٩١هـ).

١٧٣ - مقتل الحسين عليه السلام، محمّد بن عليّ بن الحسن الشجري، المتوفى (٤٤٥هـ) مكتبة آية الله المرعشي النجفي (١٤٠٣هـ).

١٧٤ - مقتل الحسين، أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليمان الأزدي الغامدي، المتوفى (١٥٧هـ).

١٧٥ - المقنعة، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري، المتوفى (٤١٣هـ).

١٧٦ - مقتل الحسين، للخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، المتوفى (٥٦٨هـ).

١٧٧ - مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني، المتوفى (٥٨٨هـ)، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف سنة (١٣٧٦هـ).

١٧٨ - مناقب أهل البيت عليهم السلام، المولى حيدر علي بن محمد الشرواني (من أعلام القرن الثاني عشر الهجري)، مطبعة المنشورات الإسلامية سنة (١٤١٤هـ).

١٧٩ - منتخب الأثر، لطف الله الصافي الكلبايكاني (معاصر).

١٨٠ - من كلمات الحسين، أم محمد حسين الشيرازي، مؤسسة الإمام الرضا - قم، ١٤١٢هـ.

١٨١ - من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى (٣٨١هـ).

١٨٢ - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للقطب الراوندي (ت/ ٥٧٣هـ).

١٨٣ - موسوعة المصطفى والعترة، الحاج حسين الشاكري (معاصر)، نشر الهادي، قم، ط/ الأولى (١٤١٧هـ).

١٨٤ - موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام - الطبعة الثالثة ١٤١٦ قم.



- ن -

- ١٨٥ - نثر الدرر، أبو سعيد منصور بن الحسن الأبي، المتوفى (٤٨١هـ).
- ١٨٦ - نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحسين بن محمد بن الحسن الحلواني (من أعلام القرن الخامس الهجري).
- ١٨٧ - نسب آل أبي طالب، علي بن محمد بن أحمد بن علي الحسيني العبدلي (النّابة)، المتوفى (٢٧٠هـ).
- ١٨٨ - نشأ الشّعة والنشيج، السيّد الشهيد السعيد محمد باقر الصدر، المتوفى (١٤٠٠هـ)، تحقيق الدكتور عبد الجبار شرارة.
- ١٨٩ - النصائح الكافية، السيّد محمد بن عقيل بن عبدالله بن عمر بن يحيى العلوي، المتوفى (١٣٥٠هـ).
- ١٩٠ - النظرية السياسيّة لدى الإمام زين العابدين عليه السلام، الشيخ محمود البغدادي (معاصر)، نشر مجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام.
- ١٩١ - نظم درر السّمطين في فضائل المصطفى عليه السلام والمرتضى والبنول والسبطين عليه السلام، محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي المنني، المتوفى (٧٥٠هـ)، الطبعة الأولى سنة (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م).
- ١٩٢ - نفس المهموم، الشيخ عباس بن محمد رضا القمي، المتوفى (١٣٥٩هـ).
- ١٩٣ - نفس الخواتيم، السيّد جعفر مرتضى العاملي (معاصر).
- ١٩٤ - نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، مبارك بن مبارك الجزري، ابن الأثير، المتوفى (٦٠٦هـ).

- ١٩٥ - نهج البلاغة، للشريف الرضي (ت/٤٦٠هـ).
- ١٩٦ - نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، للشيخ محمد باقر المحمودي.
- ١٩٧ - نور البراهين، للسيد نعمة الله الجزائري (ت/١١١٢هـ).

- د -

- ١٩٨ - وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى (١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط/الثانية، قم.
- ١٩٩ - وسيلة المآل في عد مناقب الآل، الشيخ أحمد بن الفضل بن محمد باكثير المكي الحضرمي، المتوفى (١٠٤٧هـ).
- ٢٠٠ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، نور الدين علي بن أحمد السمهودي، المتوفى (٩١١هـ).
- ٢٠١ - وفيات الأعيان، أبي العباس أحمد بن محمد البرمكي المعروف بابن خلكان، المتوفى (٦٨١هـ).
- ٢٠٢ - وقعة الطف، أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي، المتوفى (١٥٧هـ).
- ٢٠٣ - وقعة صفين، نصر بن مزاحم بن سيار التميمي المنفري، المتوفى (٢١٢هـ).

- ي -

- ٢٠٤ - ينابيع المروة، سليمان بن إبراهيم القندوزي، المتوفى (١٢٩٤هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، ط/الاولى (١٤١٦هـ).



# المحتويات

٥	الإهداء .....
٧	شكر وتقدير .....
٩	خلاصة الكتاب .....
١١	الفصل الأول: في الأمور العامة .....
١٥	عصر الإمامة .....
١٧	نظرة إجمالية إلى حياة الإمام المتجدد ﷺ .....
٢٧	انطباعات من شخصية الإمام زين العابدين ﷺ .....
٢٨	أقوال معاصره فيه .....
٣١	أقوال العلماء والمؤرخين فيه .....
٣٥	أحداث هامة في حياة الإمام علي بن الحسين ﷺ .....
٣٩	شهادته .....
٤٠	تاريخ الشهادة .....
٤١	مراحل حياته ﷺ .....
٤٧	بزوغ بوادر الانحراف في عصر الإمام المتجدد ﷺ .....
٥٢	الانحرافات الثقافية .....
٥٣	أهم أسباب الانحراف في عصر الإمام المتجدد ﷺ .....
٥٤	أ - سيرة الملوك الأمويين .....

- ٥٥ ..... الترويج لبغض أولياء الله
- ٥٨ ..... ب - شيوع اللهو والغناء
- ٦٣ ..... ج - تفريب المطربين وأهل الخلاعة والمجون إلى البلاط
- ٦٦ ..... د - شيوع الفساد في المجتمع
- ٦٧ ..... هـ - الاستخفاف بالقيم الدينية
- ٦٨ ..... إشاعة الحقد على النبي ﷺ وأهل بيته
- ٧٠ ..... تبثه لشبهة أهل البيت وإذلالهم
- ٧٠ ..... سته للقتل الجماعي
- ٧٠ ..... إبادة للقوى الواعية
- ٧٤ ..... ترويعه للنساء
- ٧٥ ..... هدم دور الشيعة
- ٧٥ ..... حرمان الشيعة من العطاء
- ٧٦ ..... عدم قبول شهادة الشيعة
- ٧٦ ..... إبعاد الشيعة إلى خراسان
- ٧٦ ..... إجبار الناس على الميعة ليزيد
- ٧٨ ..... و - شيوع شرب الخمر والفسق والفجور
- ٧٩ ..... ز - إشاعة الطرب والغناء في الحرمين
- ٨١ ..... ح - ترويج وتأييد الفرق الكلامية المنحرفة
- ٨٤ ..... ط - العمل على تجريح الأمة على حساب رفاء أحوال الحكام
- ٨٧ ..... الفصل الثاني: الأساليب القولية للإمام في إصلاح المجتمع
- ٨٨ ..... النوع الأول: الموعظة
- ٩٠ ..... أ - الدعوة إلى التحلي بمكارم الاخلاق

- ب - الدعوة إلى الزهد ..... ٩١
- ج - تنوير العقول وتوجيه الناس لمعرفة الحقائق ..... ٩٢
- هـ - التصريف بالأسوة والقنوة التي ينبغي الاقتداء بها في الحياة ..... ١٠٣
- و - بيانه ﷺ لأسباب السعادة والشقاء وكيفية المواجهة ..... ١١٠
- ح - التأكيد على ضرورة التمسك بالكتاب والسنة ..... ١١١
- ح - الدعوة إلى ولاية وإمامة أهل البيت ..... ١١٦
- ي - تنوير الأفكار بالقرآن ..... ١٢٣
- ك - الترهيب في تحصيل العلم والمعرفة ..... ١٢٣
- النوع الثاني: المحكمة ..... ١٢٩
- أ - توجيه الأنظار إلى إهمال الفكر والتفكير في الأمور ..... ١٣٠
- ب - التأكيد على البرهان والاستدلال ..... ١٣٩
- ج - العمل في مجال العلم والمعرفة ..... ١٤١
- د - المواجهة مع العقائد والأفكار المنحرفة ..... ١٤٢
- ظاهرة منع تدوين الحديث ..... ١٤٢
- ظاهرة الترويج للأفكار المنحرفة ..... ١٤٥
- هـ - مواجهته ﷺ لمن حاولوا التلبس بلباس الزهد لاغتيال العامة .. ١٤٨
- و - بيان الحقوق ..... ١٥٠
- بيان الحقوق بصورة إجمالية ..... ١٥٣
- النوع الثالث: المجادلة بالنبي هي أحسن ..... ١٥٦
- أ - احتجاجات الإمام بطريق المناظرة ..... ١٥٧
- ب - تنوير الأذهان بتوضيح الحقائق بالمواجهة والمجادلة وجهاً لوجه ..... ١٦٤
- ج - الوعظ بأسلوب المباشرة مع الخصم ..... ١٦٤

- د - الوعظ بأسلوب المقارنة ..... ١٦٦
- هـ - الوعظ بأسلوب المقابلة الصريحة ..... ١٦٧
- و - الوعظ بأسلوب التوبيخ ..... ١٦٩
- ز - الوعظ بأسلوب التهريب عن معاونة الظالمين ..... ١٧١
- ح - الوعظ بأسلوب المناقشة والتحاكم ..... ١٧٣
- ط - الوعظ بمخاطبة الضمائر الحية ..... ١٧٤
- الترغيب والترهيب : الدعاء والمناجاة ..... ١٧٧
- مميزات الصحيفة ..... ١٨٠
- أولاً - في مجال بيان أصول العقيدة والعرفان وإشاعة ثقافة المحب والعشق الإلهي ..... ١٨٢
- ثانياً - ومن أدعية الصحيفة في مجال بيان الأحكام الشرعية وتقوية روح العبودية والخضوع لله ..... ١٩٠
- د - صلاة ألف ركعة ..... ١٩٥
- هـ - كثرة السجود ..... ١٩٦
- و - كثرة التسبيح لله ..... ١٩٦
- ز - ملازمته لصلاة الليل ..... ١٩٧
- ح - دهاؤه بعد صلاة الليل ..... ١٩٧
- ثالثاً - ومن أدعية الصحيفة في مجال الأمور الأخلاقية ..... ٢٠٣
- رابعاً - ومن أدعية الصحيفة في مجال الأمور الاجتماعية ..... ٢٠٥
- أساليب أخرى للإمام السجاد عليه السلام في التربية والتعليم ..... ٢١٩
- أنواع التغافل ..... ٢٢٣
- التغافل المذموم ..... ٢٢٥

- ٢٢٦ ..... الاستفادة من أسلوب التغافل في سيرة الإمام السجاد
- ٢٢٣ ..... ٤ - أسلوب الرفق والمداراة
- ٢٣٧ ..... الفصل الثالث: الأساليب العملية في الإصلاح الاجتماعي
- ٢٣٧ ..... [أولاً] تعامل الإمام عليه السلام مع الأولياء والأحبة والأخلاء
- ٢٣٧ ..... أولاً - ظاهرة البكاء لإيقاظ الضمائر النائمة
- ٢٤٦ ..... ثانياً - تربية العبيد والمعاليك ثم تحريرهم
- ٢٥٩ ..... ثالثاً - رعاية الإمام بالفقراء والمساكين
- ٢٥٩ ..... أ - إكرام الفقراء والمساكين
- ٢٦٣ ..... ب - عطفه على أهله
- ٢٦٤ ..... ج - مع مريته
- ٢٦٥ ..... د - ومن برّه لأبيه: دحازه لهما
- ٢٦٥ ..... هـ - سيرته عليه السلام مع ابنائه
- ٢٦٦ ..... و - مع مائر شرائع المجتمع
- ٢٧٦ ..... رابعاً: مساندته العملية للأفكار الصحيحة بتأسيس المدرسة
- ٢٨٢ ..... ومن طلائع مدرسة الإمام: الشهيد زيد بن علي عليه السلام
- ٢٨٥ ..... [ثانياً] تعامل الإمام عليه السلام مع الأعداء والمنافقين
- ١ - بيان الحقائق في الفرص المتاحة، وممارسة الدعاء في الظروف
- ٢٨٥ ..... المخرجة للموقاية من شر الأعداء
- ٢٩١ ..... ب - مقاطعة الظالمين
- ٢٩١ ..... ج - مطالبة جهاز الحكم بإصلاح شؤون الدولة
- ٢٩٤ ..... د - معاراة الأعداء وممارسة صفة العفو والتجاوز عن إساءتهم
- ٢٩٥ ..... ١ - علاقته مع العباد والمتصرفين



٢٩٨	٢ - علاقته مع عبدالله بن عمر .....
٢٩٩	٣ - علاقته مع يزيد بن معاوية .....
٣٠٠	٤ - علاقته مع معاوية بن يزيد .....
٣٠١	٥ - علاقته مع مروان بن الحكم .....
٣١١	٦ - علاقته مع عبد الملك بن مروان .....
٣١٢	طلب عبد الملك من الإمام جعفر عليه السلام سيفه .....
٣١٣	اعتراض عبد الملك على الإمام عليه السلام لأنه أعتق أمته وتزوجها .....
٣١٤	عبد الملك يأمر واليه في المدينة بإذلال بني هاشم! .....
٣١٦	كان عبد الملك يلجأ إلى الإمام عليه السلام في أمور الدولة المهمة .....
٣١٨	الإمام عليه السلام يحلّ مشكلة النقد والعملة الصناعية .....
٣٢٤	كان عند عبد الملك هامش حرية استفادته الإمام عليه السلام والشيعة ..
٣٢٦	٧ - علاقة الإمام عليه السلام مع الحجاج بن يوسف الثقفي .....
٣٢٧	وقصص كفر الحجاج وطغيانه كثيرة! .....
٣٣١	٨ - علاقته مع الناصبي المتطرف «ابن الزبير» .....
٣٣٤	الإمام عليه السلام يتجنب شرّ ابن الزبير ويتخوف منه .....
٣٣٦	وكان الإمام عليه السلام يتحمل أذى آل الزبير .....
٣٣٨	٩ - مع الشاب المتطرف عمر بن عبد العزيز .....
٣٣٩	والحجة تامة على ابن عبد العزيز في ولاية العترة عليه السلام .....
٣٤٠	١٠ - علاقة الإمام عليه السلام مع الخوارج .....
٣٤٥	حصول البحث .....
٣٤٧	أهم مصادر الهوامش والتعليقات .....
٣٧١	المحتويات .....

